محمد واضح رشيد الحسني الندوي

إلى
نظام عالمي جديد

(مقالات وبحوث عن الحضارة الغربية والإسلام)

المجمع الإسلامي العلمي

ص ب ١١٩ـ لكناؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

الكتابة على الكمبيوتر: محمد عثمان خان الندوي

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي
ص ب ١١٩ ـ ندوة العلماء ـ لكناؤ (الهند)
رقم الهاتف: ٠٥٢٢٢٧٤١٥٣٩
فاكس: ٠٥٢٢٢٧٤٠٨٠٦
E-mail:info @ airpindia.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
الرئيس العام لندوة العلماء لكناؤ

العالم الإسلامي كله في محنة سياسية واقتصادية ودينية، يكتوي بنار الإجحاف، والظلم من القوى الاستعمارية بصورة مباشرة وغير مباشرة، كان يعاني في تاريخه القريب هذا الإجحاف والظلم من الاستعمار السياسي من بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، حيث أن هذه الدول الثلاث كانت تسيطر سياسياً على مختلف مناطق العالم الإسلامي، وكانت تستغل طاقات العالم الإسلامي الاقتصادية، وتدس في أذهان أهاليه المسلمين فكرتها وتصوراتها للحياة، وفكرة هذه الدول الاستعمارية الكبرى كانت شيئاً مزيجاً من العلمانية والمسيحية، ومن الغريب أن حكومات هذه الدول الاستعمارية كانت تيسر لأبنائها الغربيين سبيل العيش الحر في مجالات حياتهم السياسية والاجتماعية، والدينية كلها، ولكنها في نفس الوقت كانت تمهد لأبناء البلاد المختلفة طريقاً مخالفاً يسوقهم إلى الإلحاد والانحراف الديني، وتشهد بذلك أمثلة كثيرة لما كان يجري في المراكز التعليمية والفكرية، وفي الجامعات التي كانت تعمل تحت الوصاية الغربية، كما كان يدل على ذلك ما كان يجري في المستشفيات الخاصة وبعثات الإغاثة، فقد كانت هذه المنظمات الإنسانية وسائل تسريب الأفكار المنحرفة في أذهان أبناء هذه المنطقة

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين، ولم تكن أمريكا إلى ذلك الوقت من الدول التي تحتل بلداناً أخرى، ولكنها كانت صديقة للدول الاستعمارية.

ثم أراد الله أن يزول حكم هذه الدول الكبرى عن مناطق المسلمين، وتقدمت أمريكا في القوة والعتاد تقدماً هائلا، ثم تحطمت روسيا، وزال استعمارها المباشر أيضاً من مناطق اتحادها التي يسكنها المسلمون كأغلبية ساحقة، فأصبحت أمريكا هي القوة الكبرى الوحيدة في العالم من ناحية الاقتصاد، والقوة الحربية، وأصبحت تملك من القوة السياسية والاقتصادية ما تستطيع بها إخضاع أي دولة في العالم لمصالحها وأهدافها، فشاركت صديقاتها من الدول الاستعمارية الغربية في فرض إرادتها وآرائها على الدول الإسلامية الشرقية، وجعلتها محل ضغطها وتصرفاتها السياسية والاقتصادية، أما الشعوب الشرقية غير الإسلامية فلم تلاق الضغط إلا في المجالين السياسي والاقتصادي وحدهما، أما الشعوب الإسلامية فاتسع ضغط الدول الغربية عليها إلى الأفكار الدينية والمبادئ والعقائد أيضاً فأصبحت الشعوب الإسلامية تعاني من الاستعمار الثقافي والفكري مع الاستعمار الاقتصادي والاستعمار السياسي غير المباشر، فما يظهر نشاط ديني، أو يبرز تمسك بالدين والمحافظة عليه، إلا ويسرع الإعلام الغربي، وتنشط وسائل الضغط السياسي والاقتصادي من الغرب وأمريكا، لمحاربة هذا النشاط والحرية الدينية مع أن القوى الغربية تعترف بحرية الشعوب الإسلامية واستقلالها، وتدعى أن الحرية الديمقراطية ممنوحة لها، وهي تسمح لأبناء هذه الشعوب أن تقوم بوضع منهج لحياتها حسب إرادة أبنائها ومصالحهم، ويعترف

www.abulhasanalinadwi.org

الغرب بهذا الحق ، ولكنه يعترف به للشرقيين إعلامياً ودعائياً فقط ، ويمانع في تطبيقه عملياً ، ويشهد بذلك ما حدث ويحدث في بلدان الشرق الأدنى وآسيا الوسطى وبلاد آسيا الغربية ، وهي كلها أقطار إسلامية ، وفي بلدان آسيا الجنوبية والشرق الأقصى ، وفيها أقطار إسلامية عديدة ، تجد في غالبية هذه الأقطار أن الدول الكبرى ، وفي مقدمتها أمريكا لا تقصر في الضغط على الدول الضعيفة وبخاصة الإسلامية منها.

لقد قامت الدول الغربية في زمن من احتلالها لدول الشرق بشيء كثير من الاعتداء السياسي وكبت الحريات وإهدار الحقوق وإيجاد محن ، ومنها قيام دولة إسرائيل ، وقد غرستها بريطانيا في قلب الوطن العربي وبلد القبلة الأولى ، ثم قامت أمريكا بمساندتها وتقويتها وتوسيعها ، مهما كان ذلك سبباً لإزعاج أهالي هذه المنطقة وحرمانهم من حقوقهم الوطنية والسياسية والاقتصادية ، والآن تسعى لإجبار الدول المحيطة بها على مهادنتها وقبولها كإحدى صديقاتها ، ومنها إيجاد أزمات ومشاكل عنصرية ، ونجد أمثلتها في مختلف المناطق الإسلامية التي كانت تحكمها بريطانيا وفرنسا وتفرض عليها أمريكا الآن نفوذها ، ومنها تربية أجيال ناشئة على الشك في الدين ، والمبادئ الإسلامية المتينة ، ومساندة مؤسسات تقوم بالتشكيك في العقائد والتراث عن طريق وسائل الفكر والأدب ، وانقسمت الأمة الإسلامية بذلك إلى طبقتين ، طبقة غالبة سياسياً ، وطبقة شعبية عامة لا تملك وسائل الإعلام والقوة ، والشعوب المسلمة كلها تريد الإسلام ، ولكن تلاميذ الفكر الغربي وأذيال الغرب السياسيين يمانعون تنفيذه.

www.abulhasanalinadwi.org

ثم جاءت وقعة الخليج وأعلنت أمريكا عن النظام العالمي بحيث تصبح أمريكا فيه في مكان الصدارة ثم تليها الشعوب الصديقة لأمريكا حسب مصلحة أمريكا، أما الشعوب الضعيفة فهي لا تجد فيه مكاناً إلا بين المتسولين والفقراء والمحتاجين، وستنصرف أمريكا بقوة صدارتها في هذا النظام بمصائر الشعوب في العالم، وتفرض إرادتها عليها.

وتتبع أمريكا سلوك القوة والتبجح مع الشعوب الضعيفة، وتبدي قهراً وتعنتاً لكل من لا يتصالح معها في أهدافها وآرائها في الشؤون السياسية والمالية، نرى أمثلة هذا السلوك في أفغانستان والعراق وفلسطين، والتدخل في الدول الإسلامية ومطالبتها بتغيير مناهج التعليم، إنها لا ترضى من هذه الشعوب أن تخالف وجهة النظر السياسي الأمريكية ولا تتمسك بالطابع الإسلامي الصريح كذلك.

وما يلجأ شعب من الشعوب الإسلامية إلى صحوة إسلامية تتصل بالحياة السياسية إلا وتبدي أمريكا امتعاضها منه، وتشاركها في ذلك الدول الأوربية، ويتصالح زعماء هذه الدول، ويقيمون ضجة إعلامية ضد هذه الصحوة، وتعدها الرجعية والتخلف، وتتهم أصحابها بالأصوليين، هذا الانفعال المعادي للإسلام من شعوب الغرب المسيحي نحو القوة الإسلامية في العالم ناتج من شعورها بالعصبية المسيحية المنبثقة من تاريخ الحروب الصليبية التي استمرت بين القيادة الإسلامية والقيادة المسيحية في أوربا في القرون الماضية، لقد انتهت هذه الحروب، ولكن رجالات العلم والسياسة الأوربيين لم ينسوا هذا العداء، ولقد انتقم الغرب من المسلمين

www.abulhasanalinadwi.org

خلال استعماره لبلادهم طيلة قرنين، ولكن لا يكتفي بهذا القدر من الانتقام بل ويريد أن يقضي على البقية الباقية من الشعور الإسلامي الديني فيهم، ولكن الغرب لن ينجح في إرادته هذه لأن الصحوة الإسلامية في الشرق هي أقوى، ولأن الجماهير المسلمين المناصرين لها هم أكثر من أن يستهان بهم حتى أن قادة المسلمين إن استهانوا بهذه الصحوة، فإن الصحوة ستكتسح بهم أيضاً، فعلى قادة الغرب وأمريكا وأذيالهم في الشرق أن يفهموا الواقع ولا يعيشوا في الأحلام وإلا فمصيرهم سوف يكون كمصير الاتحاد السوفيتي غير المأسوف عليه.

لقد نشط الإعلام الإسلامي أخيراً في التنبيه على هذه الحقائق وتبصير الناس بالواقع المتغير في العالم حيث لم يعد من العقل أن يتبجح متبجح على قوته وتصرفاته، وصدرت في هذا المجال كلمات ومقالات في مختلف الصحف الإسلامية، ومنها مقالات لأخينا الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي في صحيفة "الرائد" وفي مجلة" البعث الإسلامي" اللتين هو في أولهما رئيس التحرير، وفي ثانيهما مشارك لرئيس التحرير، وكان الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية والحضارة الأوربية موضوع دراسته وشغل منصب مدير المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي في دار العلوم ندوة العلماء، وبعض المقالات التي نشرت فيما بعد محاضراته التي ألقاها أمام طلبة المعهد العالي، وقد استفاد في ذلك من المراجع باللغة الإنجليزية، وبصفة خاصة مؤلفات المهتدين إلى الإسلام في أوربا والمستشرقين المنصفين، بالإضافة إلى كتب الفكر الإسلامي باللغة العربية، ولذلك تحمل هذه المقالات قيمة علمية

www.abulhasanalinadwi.org

أيضاً ، وقد أثنى عليها عدد من أهل العلم واقترحوا بأن تنشر في رسالة ، فهذه المقالات تجمع في رسالة مفردة ، ويسرني تقديمها إلى القراء وندعو الله أن يتقبلها ويجعل فيها نفعاً وإفادة.

محمد الرابع الحسني الندوي
دار العلوم ندوة العلماء ، لكناؤ
١٢ / جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فهذه مجموعة مقالات كتبتها في مناسبات مختلفة، نشرت بعضها في صحيفة "الرائد" وأخرى في مجلة "البعث الإسلامي"، ونقلت عدة مقالات منها إلى الأردية واللغات الهندية الأخرى لصلتها بالأوضاع الراهنة، ولمحاولة الكاتب لإلقاء الضوء على القضايا المعاصرة.

وتمتد المساحة الزمنية لهذه المقالات إلى أكثر من ثلاثين سنة، مر فيها العالم الإسلامي بمحن، وأزمات، ومؤامرات الأعداء، وخيانات أو غباوة من القيادات الوطنية، كان فيها اختبار للقيادة الإسلامية، ومن هذه القضايا قضايا فقدت تأثيرها الذي كان على النفوس في عهد وقوعها بمرور الزمن، لكنها تساعد في الكشف عن طبيعة تفكير وتدبير القوى الاستعمارية التي سيطرت على العالم الإسلامي مدة من الزمن، ثم جلت، لكنها لا تزال تحاول الاحتفاظ بسيطرتها على نظام الحياة عن طريق الحكام، أو عن طريق المثقفين الذين نشأوا في البيئات الأوربية، وتكونت أفكارهم بالتيارات الجارفة في أوربا.

www.abulhasanalinadwi.org

وتتحدث بعض المقالات عن عناصر الحضارة الغربية، وعدم التوازن فيها، أو الاضطراب فيها، كما تتحدث بعض المقالات عن المؤامرات والدسائس التي حيكت ضد العالم الإسلامي، والإسلام.

وتركز المقالات على مصير الإنسانية إذا سارت على الخطط التي يدبرها الغرب أو يلقنها.

والسؤال الأخير ما هو الحل، فترد بعض المقالات في خاتمة المطاف أن الحل هو العودة إلى تعاليم الإسلام، وإنشاء مجتمع إسلامي أصيل، يستفيد من العناصر العلمية الحديثة، وترشده التعاليم الإسلامية السمحة، وتشكل بعض المقالات خواطر، وبعضها دراسات.

واستفدت فيها من المواد الإنجليزية وكتب المستشرقين والتقارير الصحفية أيضاً، وليس من اللازم أن يتفق مع كل ما في هذه المقالات من تصورات واستنتاجات كل دارس، ولكنها محاولة لعرض الحضارة الغربية، والإسلام، وهي بمثابة انطباعات دارس للأوضاع المعاصرة والتاريخ.

وقد كانت هذه المقالات مدفونة في دفاتر "الرائد"، و"البعث الإسلامي"، أو كانت محفوظة في الملفات، واستخرجها الأخ العزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي، ويرجع إليه الفضل في إخراج هذه المقالات المنشورة في الصحف والمجلات، أو المحاضرات التي ألقيت أمام الطلبة والدارسين لمناهج الفكر الإسلامي،وترتيبها، وساعده في ذلك ابني العزيز جعفر مسعود الحسني الندوي، وعلى طلب منه تفضل شقيقي الأكبر فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني

www.abulhasanalinadwi.org

الندوي الرئيس العام لندوة العلماء لكناؤ وخلف المفكر الإسلامي الكبير والداعية سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمة الله بمقدمة قيمة، وهي روح الأفكار المعروضة في هذه المجموعة.

وأشكر أخي الكريم الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري عميد كلية اللغة العربية وآدابها لدار العلوم لندوة العلماء على كتابة كلمة مفصلة كتعريف وتقديم للكتاب، وكلمته مستمدة من دراسته العميقة للحضارة الغربية، ومشاهدته وتجربته كذلك، فقد قضى فترة من حياته في مراكز الحضارة الغربية وشاهد آثارها الحسنة والسيئة، ونال كتابه عن الإعلام الغربي شهرة وقبولاً في الأوساط العلمية، ونقل إلى عدة لغات، وتضمنت مقدمته مواد علمية قيمة.

ولا يسعني إلا أن أصرح أني اقتبست من مشكاة فكر خالي الكريم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله عليه شخصياً، ومن كتبه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، و"الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية"، و"حديث مع الغرب"، و"إلى الإسلام من جديد"، وكتاب الدكتور محمد المبارك عن الفكر الإسلامي، وكتاب الدكتور محمد محمد حسين "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر"، وكتاب "حصوننا مهددة من أوكار الهداميين" للدكتور محمد حسين، وغيرها من الكتب المؤلفة حول الغزو الفكري، وكتاب المهتدية السيدة مريم جميلة بالإنجليزية(western civilization condemned). وكتاب "التبشير والاستعمار في البلاد العربية" للأستاذ الدكتور مصطفى خالدي، و الدكتور عمر فروخ، وكتاب "الغارة على العالم

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي "تأليف أ.ك. شاتيليه (نقلها إلى العربية محب الدين الخطيب) وغيره من مقالات وبحوث نشرت في المجلات العربية والإنجليزية.

قدمت ما استفدت حسب استطاعتي وصلاحتي للتعبير، تقبل الله مني ما صلح، وكان راشداً، وعفا عني ما أخطأت فيه من الفهم أو العرض.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي
رئيس الشؤون التعليمية
لندوة العلماء، لكناؤ
٦/ ذو القعدة ١٤٢٧هـ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تعريف وتقديم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم وبعد

فهذه مجموعة مقالات نشرت في صحيفة "الرائد" ومجلة "البعث الإسلامي"، دبّجها يراع الكاتب النابغ والأديب البارع الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي، وتنشر الآن من المجمع الإسلامي العلمي في صورة كتاب مستقل ليعم الانتفاع به على نطاق واسع.

بعد ما نقلت هذه المقالات إلى الأردية، ونشرت في الصحف الهندية والباكستانية.

الكتيبة المؤمنة التي جهزها سماحة الداعية والمربي الجليل أبي الحسن علي الحسني الندوي لمواجهة الغزو الفكري، ورفع الراية المحمدية في بداية الخمسينات، كان من أبرزهم فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي، والأستاذ محمد الحسني، والأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي، هؤلاء كانوا الساعد الأيمن بل على الجبهة الأولى مع قائدهم ومربيهم في صد تيار الردة الفكرية والعقائدية والحضارية والثقافية في عصر كان الدفاع فيه عن الدين يعنى الإيثار والتضحية في معنى الكلمة، بل كان بمثابة الانتحار، ولكن ثبتت هذه الكتيبة المؤمنة على الجبهة التي عينهم عليها قائدهم ومرشدهم، فكانوا مثل الجبال الراسيات في الاستقامة على سبيل

www.abulhasanalinadwi.org

الحق ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا في الصمود والثبات أمام معركة القومية العربية التي جاءت بحدها وحديدها تدعمها أقوى الحكومات وأشدها عناداً وحقداً على الدين وأهله ، ولكن هذه الفتية المؤمنة قامت بردّ هذه الفتن على أعقابها ، بل قضت عليها في عهدها وعقر دارها.

إن كانت هذه الكتيبة تتألف من أربعة رجال ، إلا أن كل واحد منهم كان بمثابة جيش مستقل يجاهد في سبيل الله مع الأسلحة والوسائل والمواهب والطاقات التي يملكها ، فقام الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوي خير قيام بأداء مهمات ألقيت على كاهله ، فكان يربي الشباب ويعدهم للصف الثالث في القيادة عن طريق التعليم والتربية والصحافة والإعلام كما تولى مسئولية إدارة المؤسسات الدينية والاجتماعية والأدبية ، وشارك في إعداد المقررات والمناهج الدراسية إلى جانب عنايته بإدارة هيئة التعليم الديني لولاية أترابراديش ، وهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية ، حتى أصبح نائباً عن خاله في حياته ، وأصبح خلفاً له في فكره ومنهجه ودعوته ، بارك الله في حياته.

أما الداعية الشاب والكاتب الموهوب الأستاذ محمد الحسني فكان شبيهاً بعمه الجليل في خَلقه وخُلقه ، ومثيلاً في فكره ومنهجه ، وساعده الأيمن في معركة الحياة ، وحامل الراية المحمدية ، تشهد بذلك كتاباته القوية التي كانت بمثابة منارة النور في ظلمات البر والبحر ، خاصة في العالم العربي في الخمسينات والستينات ، فاستنارت الأمة المحمدية واهتدت بهديها ، إلا أن هذا الفارس

www.abulhasanalinadwi.org

الشجاع والنجم اللامع هوى من سماء الدعوة، ولقي ربه وهو في ريعان شبابه، ولكن الراية لم تسقط أثناء المعركة الحامية الحاسمة بل أخذ هذا اللواء زميله المخلص وصديقه الوفي الأستاذ الكاتب القدير الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، فواصل مسيرة البعث الإسلامي وتغذية الجيل بكتاباته القوية ومؤلفاته القيمة، فبارك الله في حياته.

وأما الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي فاتصاله بهذا الموضوع - مواجهة الباطل والردّ عليه والدعوة إلى الإسلام من جديد - ليس بجديد، بل صلته به قديمة جداً، حيث نشأ وترعرع في أسرة تشتهر بالدعاة والعلماء الربانيين والمجاهدين الذين رفعوا راية الدعوة والجهاد عبر العصور، وعاش في ظلال تاريخ الدعوة الإسلامية وقصة بطولاتها وصنائعها وعجائبها، تتلى في بيته وأسرته الملاحم الإسلامية والأغاني الشعرية الخاصة بالسيرة النبوية، وأخبار الصحابة، وفضل الحضارة الإسلامية، ودور المسلمين في بناء العالم الجديد، وإنقاذ الإنسانية من أعدائها، فامتزج كله بلحمه ودمه، وتكونت به نفسيته وعقليته.

ولد الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي في أسرة كان شعارها منذ زمن طويل الجمع بين العقيدة السلفية النقية وبين الربانية الصحيحة، فتربى الأستاذ تحت إشراف خاله سماحة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -، فاستقى من فكره النير، ونظرته الثاقبة، وغيرته الدينية، وحميته الإسلامية، وقلبه المشرق اليقظ، وفراسته الإيمانية، وحسه المرهف، وذوقه الرفيع، وأسلوبه الدعوي والتربوي الحكيم،

www.abulhasanalinadwi.org

وعقله المتفتح، واتزانه في التأليف والنقد والتحليل، والاستنارة بنور القرآن وهديه والاستدلال به، فكان التوفيق حليفه في كل خطوة خطاها في الدعوة والتعليم والتربية، وفي مجال التأليف والإعلام.

تلقى الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي تعليمه في جامعتي ندوة العلماء، وعلي جراه الإسلامية، وعين بعد التخرج في بداية الخمسينات في القسم العربي للإذاعة الهندية بدلهي، وشغل هذا المنصب حوالي عشرين سنة، حيث هيئت له فرصة الاطلاع على الأدب العربي القديم والحديث، فقرأ كتابات الأدباء والمفكرين العرب في الرواية والقصة والمسرح، إلى جانب استزادته من دراسة الأدب الإنجليزي والفكر الغربي دراسة مباشرة، واطلاعه الواسع على الإعلام الغربي والصحافة الإنجليزية ومجلاتها الراقية المتخصصة الصادرة من الغرب، ومن ناحية أخرى كان يلتقي بحكم مهنته واشتغاله بالإذاعة مع قادة الشرق والغرب السياسيين والمثقفين ورؤساء الأحزاب والجماعات المختلفة الاتجاهات الذين كانوا يقومون بزيارة الهند، فكان يجري معهم المقابلات الصحفية، ويكتب عن موضوع الساعة، ويقوم بتحليل الأحداث الهامة، والتعليقات الإذاعية، إلى جانب نقل الأخبار من الإنجليزية إلى العربية على الهواء مباشرة، وبعد عقدين من هذه الخبرات والتجارب ترك الأستاذ وظيفته في الإذاعة التي كانت تدر عليه مالاً كثيراً، وآثر خدمة التدريس، واكتفى بالقدر الكفاف من القوت في رحاب ندوة العلماء، ولكنه استمر في استخدام خبراته الصحفية وملكته الكتابية لتقوية الصحافة الإسلامية ولسان حالها

www.abulhasanalinadwi.org

صحيفة "الرائد" ومجلة "البعث الإسلامي تحت إشراف خاله سماحة الشيخ الندوي وتوجيهه العلمي والدعوي، فرافقه في جولاته الدعوية في الهند وخارجها، فشاهد الحضارة الغربية في عقر دارها (لندن) كما زار مدينتي استنبول والقاهرة اللتين سبقتا في الاحتذاء بحذو الغرب وتقليده.

شغل الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي منصب مدير للمعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، وعميد لكلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء لكناؤ، وهو الآن نائب رئيس التحرير المشارك لمجلة "البعث الإسلامي" و رئيس التحرير لصحيفة "الرائد" والسكرتير العام للمجمع الإسلامي العلمي، وعيّن رئيساً للشؤون التعليمية لندوة العلماء، ولا يزال يكتب في صحيفة "الرائد" ومجلة "البعث الإسلامي" إلى جانب اشتغاله بالتدريس والإشراف على النشاط الإعلامي وإعداد الطلاب وتربيتهم وتغذيتهم بالفكر الإسلامي لمواجهة الغزو الفكري، كما تصدر تحت إشرافه مجلة إنجليزية شهرية (The Fragrance of East) من ندوة العلماء منذ سنوات.

صدر بقلمه إلى الآن: "مصادر الأدب العربي"، "أدب أهل القلوب"، " الشيخ أبو الحسن الندوي قائداً حكيماً"، "الإمام أحمد ابن عرفان الشهيد، الجزء الخامس من سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي"، "الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند"، "أدب الصحوة الإسلامية"، "المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي"، حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج"، " مختصر الشمائل النبوية صلى

www.abulhasanalinadwi.org

الله علـي صاحبـها وسـلم" ، "مـن صناعـة المـوت إلى صناعـة القرارات" ، " تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)" ، وغيرها كتب تحـت قيـد الطبـع في موضـوع الأدب العربـي ، والغـزو الفكـري ، والإعلام ، والسيرة.

ذكر سماحة الإمام أبي الحسن الندوي في كتابه الشهير "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" عن رزايا الإنسانية المعنوية في عـهد الاستعمار الأوربي بعـد التحليـل العلمـي الرائـع للحضـارة الغربيـة وفلسـفتها الماديـة وتأثيرهـا السـيء علـى العـالم الإنسـاني عامـة والمسلمين خاصة ، "بأن الذي يهمنا رزئية ،لإنسانية المعنوية وخطب المجتمع البشري في الروح والأخلاق والنفس ومعان أسمى من المادة ومـا يتصـل بالجسـم والأرض في عـهد النفـوذ الأوربـي وسـيل حضارتـه الجـارف فتلـك رزئيـة لا تقبـل العـزاء وكسـر لا ينجـبر، والذين أدركوه قليل والذين تحدثوا به أقل من أولئك القليل".

لا شك أن الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي يعتبر مـن أولئـك الأشـخاص المعدوديـن الذيـن أدركـوا أخطـار الغـرب الفكريـة البعيـدة المدى ، لأنـه اطلـع علـى الفكـر الغربـي دراسـة ، ومشاهدة ، تحـت توجيـه سماحـة الشيـخ النـدوي ، فقـرأ كثيراً من الفكر الغربي قرأة متأنية ، وأدرك آثاره في كتابات المتجددين العـرب الذيـن حملـوا رايـة التغريـب ، والغـزو الفكـري في العـالم العربـي ، فأدركتـه الغـيرة الإيمانيـة فوجـد في نفسـه اندفاعـاً قويـاً للـذب عـن حوضة الإسلام ، فقام بتشريح جثة الغرب الفكريـة تشـريحاً علميـاً حتـى وصـل إلى قـاع البحـر الزاخـر العـاتي ، وكشـف عـن أهـداف الغرب الحقيقية والمخططات الاستعمارية الـتي تبـذل كـل الوسـائل

www.abulhasanalinadwi.org

والمواهب والطاقات للقضاء على القيم الإنسانية.

قام الأستاذ الندوي بتحليل الفكر الغربي وفلسفته المادية تحليلاً علمياً، موضوعياً دقيقاً، مبنياً على الدلائل والبراهين القوية والدراسة العميقة للتاريخ الغربي الديني، والسياسي، والحضاري، ووصل إلى نتيجة حتمية صريحة وهي أن الحضارة الغربية حضارة الإرهاب، والاستغلال والثنوية، والازدواجية، وإن الشعور الإنساني مفقود في هذه الحضارة، وان العلم والثقافة الغربية انحرفت عن بناء الإنسان، بل الإنسان هو الضحية الأولى في هذه الحضارة، وأن الإنسان لا يزال مستمراً في الشقاء والانحطاط ما دام الغرب مسيطراً على مقادير الأمم والشعوب ويتعامل معها كالبلطجي بالحديد والنار للتركيع أمامه، لا يكتفي المؤلف بالنقد على الحضارة الغربية وفكرتها ونظمها السياسية، ومناهجها التعليمية والتربوية، وأهدافها الاستعمارية ووسائلها التبشيرية، وغزوها الفكري، بل يقدم حلول المشاكل في الدعوة إلى نظام إسلامي متكامل غني عن سائر الأنظمة الوضعية على طول الخط، يقول بكل صراحة واعتزاز وبكل ثقة وإيمان إن شقاء العالم الإنساني لا يزول ولا ينقضي إلا إذا غير العالم الغربي موقفه أولاً وقبل كل شيء نحو الإسلام والمسلمين، وأن يفيق من هول الحروب الصليبية ويتحرر من نفسية الخوف والقلق الذي سرى في الغرب كله، وبلغ حد الغليان، فيزيد الوضع تفاقماً وتأزماً، وتحدث مشاكل في حياة المسلمين الذين يعيشون في الدول الغربية، وهنا يقدم المؤلف النظام الإسلامي المتكامل كبديل واحد، ويبين خصائص النظام الإسلامي، يقول: " إن الإسلام يقوم ببناء المجتمع

www.abulhasanalinadwi.org

وتربية الفرد بغرس المثل والمبادئ والشعور بالمسئولية ، والتوجيه إلى قوة أكبر ويضرب له المثل ، وينصب أمامه أسوة للاقتداء بها ، ويزيل العبودية من كل نوع من كل مرحلة بين السيد والمسود ، ويسد منافذ الفتنة والفساد ولا تأخذه في ذلك رأفة ، أنه أقرب النظم إلى الطبيعة البشرية ، وأيسرها تطبيقاً وألينها سلوكاً وأعمها تأثيراً وأشملها لمرافق الحياة ومقتضياتها".

من أبرز الخصائص والسمات التي لمسناها خلال الدراسة لهذه المقالات هي :

١ - أسلوب العرض والنقد والتحليل علمي وموضوعي ، يتسم بالهدوء والاتزان ، مبني على الدراسة العميقة لتاريخ الحضارة الغربية وثقافتها ، وفلسفتها المادية ، والاطلاع المباشر على التيارات الأدبية والفكرية الحديثة ، والأنشطة السياسية ، والحركات الهدامة ، المتواجدة في الغرب ، فوراء كل لفظ وثائق ، ومستندات وشهادات من تاريخ الغرب نفسه ، فمثلاً يتحدث الأستاذ عن أوربا فيصفها بأنها مصدر الإرهاب في العالم ، مستنداً إلى تاريخ الحضارة الغربية والنظم المعاصرة والجماعات الإرهابية ، والمليشيات العنصرية والعرقية وشركات المرتزقة التي تدعمها حكومات الدول الغربية ، وأنها هي التي تقوم بتدريب الإرهابيين ، وتوزع عليهم الأسلحة وتمول العصابات الإرهابية ، وتساند حركات الانفصال والحرب مع النظم القائمة[1] .

---

[1] اقرأ الدراسة المفصلة التي أعدها الأستاذ الدكتور البروفيسور خورشيد أحمد حول المنظمات الإرهابية في أوربا وأمريكا ، فذكر بأن هناك اثنين وأربعين منظمة إرهابية في هاتين القارتين ، عدا المنظمات الإرهابية التي توجد في المناطق المختلفة في إفريقيا

www.abulhasanalinadwi.org

٢- يتدفق الدافع الإيماني القوي والغيرة الدينية من كل سطر بل من كل لفظ ، لا شك أن الخلفية التاريخية لأسرة المؤلف والبيئة التي نشأ فيها ، وترعرع ، والتوجيهات التربوية التي تلقاها ، والظروف القاسية التي شاهدها والحس المرهف الذي يملكه كان

وآسيا ، وأنها تقوم بالإبادة الجماعية وقتل المعارضين تحت إشراف الحكومات ، ودعمها ، (مجلة "ترجمان القرآن" العدد: ١١ ، نوفمبر ٢٠٠٦م) وجاء في إحدى الدراسات التي أعدها أحد الأساتذة في لندن بأن الحكومات الغربية أنشأت شركات المرتزقة لتحقيق أهدافها غير المعلنة ، ويذكر هذا التقرير أنه في الولايات المتحدة توجد ٣٥ شركة للمرتزقة تعمل تحت وزارة الدفاع الأمريكي ، وفي فرنسا ٢٠ شركة للمرتزقة ، وفي جنوب إفريقيا مائة شركة للمرتزقة ، وهناك شركات للمرتزقة تعمل في الجيش الصهيوني وفي القوات الأمريكية في العراق وأفغانستان ، وصلت نفقات هذه الشركات إلى ٢٠٠ مليار دولار في السنة ، مثلاً عدد القوات النظامية الأمريكية في العراق ٢٣٥ ألف جندي ، منهم ٤٠ ألفاً يسعى للحصول على الجنسية الأمريكية ، و٢٥ ألفاً تابعاً لمنظمات المرتزقة ، وذكر التقرير الرسمي للحكومة الأمريكية عن واقعة سجن أبو غريب بأن هناك شركة للمرتزقة تعمل بمزانية سنوية ٨٥٠ مليون دولار ، ويعمل في مكتبها ٧٦٠٠ شخص (مجلة" المجتمع" الكويتية ، العدد: ١٥٥٣) وتشير دراسة أخرى نشرت في مجلة "المجتمع" الكويتية عن الجماعات العنصرية والمليشيات المتطرفة الموجودة في المجتمع الأمريكي يصل تعدادها إلى ٢٧٤ حسب الاحصاءات الرسمية التي قدمتها المخابرات الأمريكية F.B.I عن الجماعات المتطرفة وهجماتها المسلحة بين عامي ١٩٨٢ إلى ١٩٩٥م ، ضد المؤسسات الحكومية والمباني التجارية والسكنية والمنشآت العسكرية ، وصلت خسارة الممتلكات إلى نصف مليار دولار ، وقتل وجرح فيها ٣٢٣٢ شخص ، إلى جانب هذه الهجمات المسلحة توجد مائة منظمة متطرفة ينتمي إليها أكثر من ١٥٠ ألف شخص ، وانتشرت هذه المنظمات في أكثر من ٢٠ ولاية أمريكية من كاليفورنيا إلى بتسلفانيا (المجتمع : العدد ١٣١٠ -١٩٩٨م) اشترك في إعداد هذه الدراسة الأستاذ إبراهيم درويش (لندن) والسيدة غادة المصري (واشنطن) وأما ما يتصل بتوريد الأسلحة إلى البلاد النامية فعن البحر حدث ولا حرج ، تشير دراسة أخرى إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بتوريد الأسلحة إلى البلاد الآسيوية في عام ٢٠٠٦م وقيمتها تصل إلى ٠٠٠ ، ٠٠٠ ، ٥٣٣ جنيه استرليني ، ونظرة سريعة على صناعة الأسلحة وتوريدها إلى البلاد النامية تعطينا فكرة إجمالية عن البلاد الغربية التي تقوم بتجارة الأسلحة على الصعيد العالمي ، هذه الإحصائية أخذناها من انترنيت :

الولايات المتحدة الأمريكية: ٠٠٠ ، ٠٠٠ ، ٥٣٣ ، روسيا: ٠٠٠ ، ٠٠٠ ، ١٥٣٠ ، كندا: ٠٠٠ ، ٠٠٠ ، ٩٠٠ ، فرنسا: ٠٠٠ ، ٠٠٠ ، ٤٠٠ ، دولار أمريكي.

htpp.EN.WIKIPEDIA ORG/WIKI/ARMS TRADE

www.abulhasanalinadwi.org

عـاملاً قوياً في كتابة هـذه المقـالات، لذلـك يحس القـاري الحــرارة الإيمانيـة، والعاطفـة الدينيـة خـلال المطالعـة، كـأن الكتـاب جيـش جديـد مسلـح بـأمضى الأسـلحة الحديثـة يجهزه مجاهد لمواجهـة ألـد الأعداء وأقواهم.

٣- الاسـتنارة بنـور القـرآن وهديـه تمنـح الكـاتب قــوة الاستدلال والميزان الصحيح للنقد والتقويم فيأتي المؤلف في عرض الوقائع والأحداث بأسلوب تحليلي جديد وطريف.

٤- الخصيصة البارزة لهذا الكتاب بأنه يفضح العالم الغربي مـن جميـع جوانبـه، ويزيـح الستار الكثيـف الـذي أسـدلته الدعايـة الغربيـة علـى وجـه الغرب القبيـح الكـالح والـذي يعتبر أكثر خطراً وأشد ظلاماً من القرون الوسطى لدرجه أن الإنسان في هذا العصر المتحضر يكاد يشعر بأنه يعيش في عصر الغابات ويواجه عـهد الرق والعبوديـة، فيغلـب عليـه اليـأس ويكـاد يقطـع رجـاءه مـن مسـتقبل الإنسـانية، لكـن الفصـل الأخـير مـن الكتــاب يفعـم قلـب المؤمـن بالطمأنينـة، ويوجـد في نفسـه الاعـتزاز بـالدين، ويعيـد إليـه الثقـة بخلـود رسـالة الإسـلام، وصلاحيتـه لقيـادة النـوع البشـري في كـل عصر ومصر، ويحل العقدة النفسية والعقلية الـتي أوجدتـها الثقافة الغربية، وإن الإسلام هو وحده ينقذ الإنسانية من الانتحار، فيعود الإيمان إلى القاري من جديد بعد ما ينتهي من الكتاب.

هذه المقـالات تنشـر في صـورة كتـاب مـن المجمـع الإسـلامي العلمي الذي تم تأسيسه على يـد عبقـري عصـامي - سماحـة الإمـام السيـد أبـي الحسـن علـي الحسني النـدوي - واجـه الحضـارة الغربيـة بشجاعة وذكـاء، وشق لأمته وللعالم الإسـلامي طريقـاً مبتكـراً بـين

www.abulhasanalinadwi.org

مناهجها ومذاهبها وبين فضائلها ورذائلها، طريقاً ترفع فيها عن التقليد والمحاكاة وعن التطرف والمغالاة، متمسكاً بالحقائق وأسباب القوة، وباللباب دون القشور، ينشر هذا الكتاب من المجمع الإسلامي العلمي الذي كان هدفه الأساسي: إعداد أدب صالح قوي مؤثر يعيد إلى الشباب والجيل الجديد إيمانه من جديد، ويزيل الشبهات حول الإسلام وصلاحيته لقيادة النوع البشري، ويزيح الغبار والأتربة التي تراكمت على وجه الإسلام الناصع، وضعها المستشرقون والحاقدون على الإسلام، ويبرز دور الإسلام القيادي في إنقاذ الإنسانية من الأزمات والمحن التي ابتليت بها هذه الأمة.

هذا الكتاب بمثابة جيش قوي أعد للقضاء على الدهشة والإرهاب ومركب النقص في الشباب المسلم.

﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾

نذر الحفيظ الندوي
عميد كلية اللغة العربية وآدابها
لدار العلوم بندوة العلماء لكناؤ (الهند)
غرة محرم الحرام ١٤٢٨هـ

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

عاشت أوربا قروناً طويلة تتسكع في ظلمات الجهل والفقر والصراع الداخلي من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر للميلاد، كانت الكنيسة قد سيطرت على أوربا كلها، وألقت عليها أستاراً كثيفة سوداء، وكانت تحارب العلم والبحث الحر، واستولى الرهبان على جميع السلطات في هذا العهد، وقد أغلق هؤلاء القساوسة جميع منافذ العلم، واتخذوا إزاء العلم موقف الرفض الكامل، وأقفلت جميع كتب الفلسفة والطبيعة لكيلا يدرسها أحد، لأنها كانت تتعارض مع العقيدة المسيحية، وتسربت هذه الكتب في عهد الرشيد والمأمون إلى العاصمة الإسلامية، ودرسها العلماء المسلمون وأتقنوها وبرعوا فيها، ونالوا درجة الأستاذية في الفلسفة والطبيعة، والعلوم الرياضية، فنبغ في المسلمين علماء كابن سينا، والغزالي، وابن رشد، وأمثالهم الذين كانوا حجة في دراسة أفكار أرسطو، حتى سمي بعضهم بأرسطو الثاني، ولم يقف العلماء المسلمون عند الفلسفة اليونانية المنقولة، بل أضافوا إلى الفكر ببحوثهم للقضايا وقدموا حلولها.

وقد اعترف بذلك الغربيون، وأبدوا شعورهم بخوائهم العلمي قبل عهد النهضة، فعدوا ذلك العهد، أي عهد ما ٥٠٠-١١٠٠ للميلاد عصر الظلام، وقد وصف هذا العهد أحد المؤرخين

www.abulhasanalinadwi.org

بالكلمات الآتية :

"حينما كان أصحاب المقامات الرفيعة من الغربيين في القرن الحادي عشر ذوي الأخلاق العظيمة يفاخرون بأمتهم كان للأندلسيين مكتبة في قرطبة فيها ستون ألف كتاب خطي".

وفي أثناء ما كان العثور على كتاب في كل من "فرنسا" و"ألمانيا" ، و"إيطاليا" في القرن الثاني عشر يعد من النوادر ، كان الأندلسيون ينتقلون ما بين سبعين مكتبة فيها كتب قيمة.

ولما بحثت أوربا عن العلم بادرت لاقتباس النور إلى أطراف الوادي الكبير "الأندلس" حيث كانت جامعات قرطبة ، وطليطلة ، وبلنسية.

كان القرن العاشر من أصعب فترات التاريخ في أوربا ، فقد كان يجري فيها صراع شديد بين رجال العلم والكنيسة ، فواجه كثير من العلماء محناً وشدائد لموقف الكنيسة المعادي للعلم ، وخضوع الحكومات المسيحية لأحكامها ، فأعدم عدد منهم بتهمة الكفر.

ويذكر درابر قصة طريفة : أن سلفستر الثاني Sylvestre # الفرنسوي (١٠٠٣ـ ٩٣٠م) الذي كان يدرس في دير بمدينة في أوربا ذهب إلى الأندلس ، وأقام في أشبيلية وقرطبة ، وتخصص في الحساب ، والطبيعيات على رياضيين عرب ، فلما عاد إلى أوربا مضطلعاً بالعلوم والمعارف حسبه الناس ساحراً ، واتخذه بعض الملوك مؤدباً لأولادهم ، وتنقّل في مراتب عالية إلى أن وصل إلى رتبة البابوية سنة ٩٩٩م ، ولما عرف الرجعيون قتلوا الملك وألحقوا به البابا أيضاً ، كلفت محكمة التفتيش الأوربية بأيدي البابوات في

www.abulhasanalinadwi.org

القرون الوسطى ، كلفت عشرات الضحايا من باحثي العلم ، وقد كان الأساقفة يعتقدون أن القول بكون الأرض مدورة يتنافى مع الدين ، وصنف كوبر نيكس كتاباً في حركة الأرض ومركزية الشمس ، فصدر الحكم بتكفير من يقرأ الكتاب ، ويؤيد ما اكتشفه كوبرنيكس ، فسجن ومات في السجن ، وأحرق بروتو حياً لأنه كان يعتقد بتعدد العوالم.

بدأت الحروب الصليبية في عام ١٠٥٥م ، ونفخ البابوات روح الكفاح في العالم الأوربي ، فأتاحت هذه الحروب فرص الاختلاط بالمسلمين والاختلاف إلى العواصم العربية ودراسة نظم التعليم والتربية لدى المسلمين والتعرف على مدى ما وصلت إليه الحضارة في العالم الإسلامي ، وما كانت عليه المدن الإسلامية من النظام والتأنق ، والرقي ، وما يتوفر في أسواقها من وسائل.

يقول مؤرخ غربي : كان للحروب الصليبية تأثير عظيم على مدنية الأجيال ، فإنها عجلت النهضة السياسية والاجتماعية التي كانت تنتظر للظهور ، ونشطت التجارة والصناعة ، فهيأت أسباب النهضة العلمية والصناعية.

ويقول :

"من ذلك الوقت بدأ ارتقاء العلوم ، فأدخلت إلى الغرب الأرقام المسماة بالأرقام العربية ، وقامت مقام الرومانية ، وأن مصدر اسم الجبر الذي أتقنه العرب هو من لغتهم".

وقال :

" إن العرب هم معلمونا الأولون لعلوم الفلك والطبيعيات والكيمياء والطب".

www.abulhasanalinadwi.org

وقال إي ايم برنسن في كتابه :

"إن التقدم الأوربي العقلي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مدين للتجارة المتبادلة مع الشرق الأدنى. وأعمال العلماء والمترجمين في الأندلس وصقلية، أكثر من الحروب المقدسة ضد الأتراك".

بدأ اقتباس الغرب للعلم من مراكز العلم في طليطلة وقرطبة وغرناطة في القرن العاشر، وفتحت مدارس على غرار تلك المدارس، ويقول برن في كتابه :

"إن أقدم الجامعات في أوربا ترجع إلى القرن الحادي عشر، وبين القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر فتحت جامعات كثيرة في أوربا، وفتحت الجامعة الأولى في ألمانيا في القرن الرابع عشر، بينما فتحت أكسفورد، وكمبردج في بريطانيا في القرن الثالث عشر للميلاد.

الحقد ضد المسلمين رغم اكتساب المعرفة من المسلمين:

كانت الفترة التي أقبلت فيها أوربا على العلم والمعرفة فترة الحروب الصليبية العنيفة التي كانت تبث الكراهية بين المعسكرين، فقد استمرت هذه الحروب بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر (١٠٩٩ـ ١٣٦٩م) وفشلت أوربا في معظم هذه الحروب، وسقطت القسطنطينية في أيدي المسلمين في القرن الخامس عشر للميلاد ١٤٥٣م، فأيقظت هذه الحروب والنكسات التي واجهتها أوربا، أوربا كلها، وأقبلت أوربا على العلم وتوسيع المعرفة، باعتبارها الوسيلة الوحيدة للتغلب على المسلمين الذين كانوا في ذلك العصر في نشوة الانتصارات العسكرية، وانصرفت عنايتهم عن التقدم في

www.abulhasanalinadwi.org

العلم، واكتفوا بما حققه المتقدمون، وداروا حول بحوثهم، ووجد انفصال بين العلم والحياة، وتركوا مسائل الحياة وحلها في ضوء العلم، وقد كانت الحكومات الإسلامية تحت أعباء وضغوط مالية وتخلف ركب المسلمين العلمي واعتدوا على نظامهم ا لقديم.

قال رينان: حدثت بعد الحملة الصليبية الثامنة التي قام بها بولس ملك فرنسا عام ١٢٧٠م ومات على أبواب تونس، حركتان واضحتان من جهتين مختلفتين الأولى انحطاط العالم الإسلامي والأخرى نهوض العالم المسيحي، لأن العلوم الإسلامية لما لقحت جراثيم الحياة في جسم البلاد الأوربية انطفأت جراثيم حياتها في العالم الإسلامي، وأخذ العالمان يسيران في وجهتين معاكستين علواً وهبوطاً.

الاكتشافات العلمية في أوربا تمنح

حركة العلم الغلبة على الكنيسة

ويقول في موضع: منذ القرن الثالث عشر إلى السادس عشر حينما أخذت روح العلم تستيقظ في البلاد اللاتينية على إثر درس كتب أرسطو وابن سينا واصلت الكنيسة المجهزة بالقوة كسر عدوها غير أن الاكتشافات العلمية في القرن السابع عشر صارت وافرة الازدهار، حتى لم يعد القضاء عليها ميسوراً.

إن أوربا التي ثارت على الكنيسة وطورت نظم حكمها تطويراً جديداً، وادعت أنها تخلت عن الدين، عندما اقتحمت البلدان الإسلامية عن طريق علمائها، وأطبائها، ومدرسيها، اقتحمت كقوة تبشيرية، ووجد تحالف عظيم بين العلم والدين، بل بين العلم والدعوة إلى المسيحية، وصدرت أوربا مبشرين،

www.abulhasanalinadwi.org

وقامت بتربية الأطباء والمدرسين للعلوم وللغات الأوربية ، والعاملين في المصانع والمختبرات ، والمدارس الابتدائية ليعلموا أثناء ممارسة مهنهم العقائد النصرانية ، وعندما استولت أوربا على أجزاء العالم الإسلامي قامت بالتنصير الإجباري ، وعاملت معاملة التمييز بين المسيحيين وغير المسيحيين ، وانتشرت الجمعيات التبشيرية ، وأنشأت مطابع لطبع الكتب الدينية ، ولم تقم بعمل التبشير فحسب ، بل قامت بطمس معالم الحضارات الأخرى ، وإلغاء الشرائع الأخرى ، والقضاء على اللغات والثقافات للأمم التي استولت ، وأكرهتها على تغيير معتقداتها وثقافتها ، وكان موقفها موقف الانتقام وأخذ الثأر من المسلمين بصفة خاصة.

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الأول

الحضارة الغربية
واقعها
الاستعمار
التبشير
الاستغلال الاقتصادي
التحريف والتزوير الفكري

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الأول

تناقضات واقع العالم الغربي

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

أوربا القرون الوسطى وأوربا العصر الحاضر [١]

تعتبر القرون الوسطى عهد التخلف والاستبداد، والعصبيات الدينية، والعنصرية، والجهالة، والفقر، والحرمان، حيث كان الحكام يتمتعون بسائر الحريات ويملكون سائر السلطات للتصرف مع رعاياهم، وكان كل من يملك قوة يستضعف الضعيف، ويستغله لمصالحه، ويفرض عليه سيادته، ويخضعه لكبريائه وغطرسته، فانتشرت في تلك القرون الحروب، وعم قتل النفوس بتهم ملفقة بدون تحقيق، أو إتاحة فرصة للدفاع عن النفس، وقد عاشت أوربا خاصة في هذا العهد الطويل الذي يمتد إلى قرون عديدة، سيطرة المستبدين من الحكام والمتطرفين من رجال الدين المستبدين، وتجرعت مرارة الحروب الطاحنة، فعرفت القرون الوسطى بذلك بعهد الشقاء، والاستبداد، والحرمان، والظلم والقهر، وقمع الحريات المدنية.

كانت هذه الحروب باسم الدين، وباسم العنصر، وباسم السيادة، فلما دخلت أوربا في عهد التقدم العلمي وتغلبت على مشاكلها الداخلية، تطورت هذه الطبيعة إلى طبيعة استعمار الأمم الضعيفة، ففرضت على العالم المتخلف سيادتها باسم

[١] نشر هذا المقال في مجلة "البعث الإسلامي" العدد الرابع يناير وفبراير ٢٠٠٥م

www.abulhasanalinadwi.org

الوصاية، والانتداب، والحماية، واتخذت وسائل قمع الشعوب التي خضعت لاستعمارها، وقامت بتشويه تاريخها، وثقافتها، ومعتقداتها، ومقدساتها، وقدم حملة العلم فيها تاريخاً جديداً يستهين بالشعوب المقهورة، ويطمس معالمها، ومفاخرها.

ثم تحررت الشعوب المستضعفة المستعمرة بعد نضال طويل بعد أن أنهكت الحربان العالميتان الدول الاستعمارية، فنالت هذه الشعوب استقلالها، وقامت فيها حكومات وطنية، وجاء بعد ذلك عهد الأحلاف، وأنشأت الدول الضعيفة التي نالت الحرية، كتلة لها، لتتخذ موقفاً موحداً إزاء الأخطار والتحديات من الدول الكبرى، وأبرمت معاهدات تضمن سيادة هذه الشعوب التي تحررت ونالت عضوية الأمم المتحدة.

كانت هذه المعاهدات والمواثيق تضمن الاحتفاظ بسلامة الدول المتحررة التي نالت عضوية الأمم المتحدة، وعدم تدخل أي بلد، مهما كان قوياً، في الشعوب الداخلية لأي بلد، وتم التوقيع على مواثيق للحقوق الإنسانية، التي كانت تضمن حرية الملكية، وحرية العقيدة، وعدم التمييز على أساس اللون والجنس والعنصر والعقيدة الدينية، وتوصلت الدول الموقعة على الميثاق إلى تفاهم للتعايش السلمي، وحل المشاكل بدون اللجوء إلى قوة السلاح، وبذلت جهود لإقرار السلام العالمي، وكان فيها ضمان حرية الفرد المتهم، للدفاع عن النفس، وعدم حجز أي إنسان بدون محاكمة، لمدة طويلة.

ولتأمين هذه الحقوق نشطت وكالات ومنظمات وجمعيات بأسماء مختلفة كجمعية حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية،

www.abulhasanalinadwi.org

وللاحتفاظ بالتراث والثقافة والعلم منظمة اليونيسف، ولحماية الأطفال، والنساء جمعيات، وحتى للرفق بالحيوانات، والطيور جمعيات، وبلغ هذا الحرص على وقاية كل من له كبد حري، حتّى وقاية الحيوانات المفترسة الضارية، وفرض الحظر على صيد وقتل هذه الحيوانات والبهائم، وعوقب بعض الناس على معاملة الكلاب والقط بالقسوة، كما حرم في بعض المناطق إجراء تجارب طبية على الحيوانات، كان ذلك من مكاسب الحضارة الأوربية، وكان رواد الحضارة المعاصرة يفاخرون بهذه المنجزات، فلم تنل عناية هذه الحضارة المدن المعاصرة فحسب، بل نالت عنايتها الغابات، والصحارى، والبحار.

كان تركيز هذه الحضارة الأوربية على الحرية والرفق، والرفاهية، وتوسع تصور الحرية إلى حد يشمل كل مجال من مجالات الحياة، ونعت هذه الحضارة على كل عمل يؤدي إلى تحديد هذه الحرية، حتى العقائد، والمسلمات والأفكار والنظريات الثابتة لم تستثن من هذه الحرية، فإذا اعتدى أحد على شخصية، أو عقيدة، أو فكر، فاحتج عليه من يتمسك بهذه العقيدة، أو يقدس تلك الشخصية أو يتبع ذلك الفكر، كان يعتبر احتجاجه خرقاً لحرية الرأى والتعبير، فاعتبرت الحضارة الأوربية حرية الرأى وحرية التعبير، وحرية العقيدة، ومنهج الحياة حقاً إنسانياً مشروعاً، وكان منع أي إنسان منهم عن حق الدفاع عن النفس خرقاً لحقوق الإنسان، كذلك اعتقاله لمدة طويلة بدون محاكمة خرقاً لحقوق الإنسان.

لقد خرج العالم من عهد القرون الوسطى التي كانت عهد

www.abulhasanalinadwi.org

القمع والاستبداد، والعصبيات، والتميز العنصري، والرق والعبودية، والفقر والحرمان، إلى عهد الحرية، واحترام الإنسان، وصيانة حياته وممتلكاته، والاحترام بالسلامة الإقليمية للكيانات السياسية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والنظم لوقاية هذه الحريات، والسيادات الإقليمية، فقامت دول صغيرة، ونالت حماية دول كبرى للاحتفاظ بسلامتها الإقليمية إلى أن وصل عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة التي لها أعلام خاصة وجيوش مستقلة، وحدود فاصلة، ونظم خاصة، أديان أو فلسفات اجتماعية إلى ١٩٤ دولة في الوقت الحاضر.

وكان للأمم المتحدة الدور الرئيسي في الاحتفاظ بسلامة هذه الدول وذاتيتها، فإذا حدث نزاع أو صراع أو نشأ تهديد لسلامة أي بلد، أو لثقافة، بتصرف طامع أو طامح من الزعماء تدخلت هذه المنظمة بوكالاتها المختلفة، لمنع المعتدي من الاعتداء، وقامت بترميم وإصلاح ما أفسدته الأيدي العابثة، وقد أنقذ تدخل هذه المنظمة عدة دول من أن تكون فريسة لاعتداء مسلح، ولم تنجح دولة من الدول في محاولتها لتغيير خريطة أي بلد، أو محو شخصيتها القومية، أو الثقافية، حتى الآثار نالت عناية الأمم المتحدة، وقد تدخلت الأمم المتحدة لوقاية عدة آثار تاريخية من الاندثار أو الاعتداء.

وقد أدت هذه المنظمة هذا الدور المطلوب مدة من الزمن، وأنقذت الدول التي تعرضت لتهديد الدول الكبرى، ولمنع اعتداء بلد على بلد أنشئ مجلس الأمن لبحث الطوارئ، ومنحت الدول الأعضاء الكبرى حق النقض لكيلا تتصرف دولة أو دولتان تصرفاً طائشاً.

www.abulhasanalinadwi.org

إن هذه الإجراءات كانت تشير إلى تقدم العالم بتعاون سائر الدول بروح التكافل، والتكامل، وكان يرجى أن تتحقق أحلام بناة الحضارة الحديثة للوصول إلى عالم أفضل ذي رفاهية وسيادة وشرف يشعر فيه كل إنسان بأنه حر، وأنه سعيد.

كان ذلك حلم بناة الحضارة المعاصرة، وسار العالم المتمدن مدة على هذا الدرب المؤدي إلى هذا الهدف المنشود.

ولكن حدث انقلاب عالمي باسم نظام عالمي جديد، أو باسم العولمة في العهد الأخير، كان يهدف ذلك في الظاهر إلى إسعاد العالم، ومعالجة مواطن الضعف في مختلف أنحائه بمساعدة الدول السعيدة فوقعت أحداث سريعة قلبت اتجاه العالم، من السعادة إلى الشقاء، والحرمان، وأثبتت هذه الأحداث أن هذا النظام يقصد سلب الحريات، ويربط الدول الحرة في رباط واحد، لتدور حول قطب واحد.

بدأ العالم يعود إلى عهد الاستعمار، عند ما فرضت عليه سيادة بلد أو بلدين، أو حلفاء من الدول التي تملك الوسائل المادية الجبارة، ثم بدأ العالم يعود من عهد الاستعمار إلى عهد القرون الوسطى عند ما تفرض عليه العصبيات الدينية والقومية والعنصرية، وتسفك دماء المواطنين الأبرياء، وتفرض عليهم حروب، بأعذار سطحية، تخسر فيه الشعوب حريتها في العقيدة، والعمل حسب العقيدة، وتخسر فيه حرية الملكية، وحرية كسب العلم والرزق حسب رغبتها، وحاجتها، وتفرض عليه قوانين البطش، والقهر، وتُمارس وسائل التعذيب والتنكيل، والإجراءات الوحشية البربرية، والسجن بدون محاكمة، تحرق فيها

www.abulhasanalinadwi.org

الأحياء، والمدن، وتدمر المصانع، والمساكن، ولا تستثنى منها مدارس الأطفال ولا المستشفيات، وتفرض فيها عقيدة وثقافة، وتطمس عقيدة وثقافة.

لقد فقدت الأمم المتحدة، ووكالاتها التي تضمن حقوق الإنسان والدول وسلامتها الإقليمية وزنها، فلا توجد اليوم قوة تمنع المعتدي من الاعتداء، وتحمي المعتدى عليه من التعرض للاعتداء، إنه وضع أخطر من وضع القرون الوسطى، فقد كانت في القرون الوسطى دول عديدة تملك عدة وعتاداً، وكان فيها رجال يحملون الضمائر الحرة، مهما كانت عاقبة تعبيرهم عن ضمائرهم الحرة.

وقد أصاب من كتب في صحيفة إنجليزية، أن عدد دول العالم اليوم يبلغ ١٩٤ دولة، ولكن في الحقيقة هناك بلد واحد، والدول الأخرى ولايات أو مدن تابعة، وكتب كاتب في مقال نشر في صحيفة Times of India أن بلداً واحداً وهي أمريكا تسيطر على العالم كله، إلا فرنسا التي لا تزال تقاوم هذه السيطرة العالمية، إن المسألة اليوم لم تعد مسألة الإرهاب الإسلامي، وإنما تجاوزت إلى حد معاناة الإنسانية كلها، فإن عهد الرق والعبودية يخشى أن يعود ويغطي العالم كله، إذا تركت الأمور على مسيرها الطبيعي، وللتدليل على ما سبق نورد هنا ما كتبته "الجارديان" البريطانية، وهي تشير إلى هذه الرجعة إلى العهد القديم:

"إن الوحشية المتزايدة والخداع في حرب العراق يعكسان التاريخ القريب للإمبراطورية البريطانية، وإن إعادة نشر القوات البريطانية لدعم هجوم أمريكي على" الفلوجة" تشير إلى العودة

www.abulhasanalinadwi.org

لأسلوب عصر الاستعمار، عندما كانت الثورات الشعبية ضد الاحتلال تقمع بالقوة الساحقة".

وقد أفادت الأنباء ويجري التحقيق حولها في بريطانيا أن الخسائر في الأرواح في العراق في الحملة الأخيرة بلغت أكثر من مائة ألف.

هذا، عدا ما يجري في أفغانستان، وما يتجدد من تهديدات للدول الأخرى، وما يتخذ من إجراءات لسلب حريات الدول المتحررة، وتفرض عليها نظم التعليم والاقتصاد والسياسة المغايرة لطبيعة البلاد، وشعوبها.

وفي هذا السياق يأتي بيان أستاذ جامعي أمريكي، يسير على خط بيانات الزعماء الصليبيين في عهد الحروب الصليبية، وهو يعبر عن طبيعة التفكير السائد في أوربا، فيقول الأستاذ الذي يدرس مادة الإدارة في جامعة" أمبريال" فالي كوليدج، الواقعة في جنوب كاليفورنيا: إن استئصال الإسلام هو الطريق الوحيد، لإنهاء ما أسماه بالإرهاب الإسلامي، وطبقاً للتقارير الصحفية، قال: إن قتل جميع المسلمين هو الأسلوب الوحيد لوضع نهاية للحرب ضد الإرهاب (رسالة الإخوان).

إن هذا البيان وبيانات قادة إسرائيل التي تهدد بإبادة جنس كامل والإجراءات التي تتخذ لمكافحة ما يسمى بالإرهاب الإسلامي، أكثر ضراوة عن بيانات وإجراءات رجال الحكم، وقادة الفكر في عهد القرون الوسطى، وإن الإجراءات التي تتخذ ضد المتهمين والسجناء في سجون دول العالم المختلفة أكثر وحشية من إجراءات عهد القرون الوسطى.

وكل ذلك يدل على أن أوربا اليوم بقيادة أمريكا بدأت

www.abulhasanalinadwi.org

تعود إلى عهد القرون الوسطى، وطبقاً للقول المأثور: الناس على دين ملوكهم، ظهر انعكاس هذه السياسة القمعية، والعصبية الدينية السلبية في أنحاء مختلفة في العالم، ومن أمثلة ذلك ما حدث في تايلاند، فقد أفادت الأنباء بأن ٧٨ مسلماً قتلوا خنقاً وكسراً بعد حشر قوات الأمن مئات منهم بعضهم فوق بعض في شاحناتها، وذلك إثر مظاهرات احتجاجية قتل فيها ستة من مسلمي جنوب تايلاند، ومن ذلك رفض الدول الأوربية المتعصبة عضوية تركيا رغم نظامها العلماني المعاند للإسلام، في الاتحاد الأوربي لمجرد انتماء البلاد إلى الإسلام، ويدل كل ذلك على العودة إلى العصبية الدينية رغم كل دعاوى العلمانية والحرية والفكرية، وسار المستر لال كرشن إيدواني رئيس حزب بهارتيا جنتا حالياً ونائب رئيس الوزراء و وزير الداخلية الهندي سابقاً على نفس الخط عندما صرح في بيان أمام أعضاء حزبه في رانشي: إن حزبه مرتبط بالدين، وإنه أداة مختارة من الإله لإخراج البلاد من مشاكلها الحاضرة إلى التقدم والازدهار، وقال المستر كليان سنغ: إن المسجد البابري لم يهدمه أحد وإنما كان الهدم عملاً إلهياً.

وعلقت صحيفة The Indian Express أن هذه البيانات تعكس طبيعة التصور الديني السائد في أوربا في القرون الوسطى.

ويدل على هذا الاتجاه انتشار الإرساليات في العراق وأفغانستان وحمل الدبابات، والمدافع الصليب، وإجبار الناس على اعتناق المسيحية، وفرض الحظر على كل رمز إسلامي، وإغلاق سائر المنافذ وأبواب الدعم المالي للعمل الإسلامي، ويدل كل ذلك على العودة إلى القرون الوسطى.

www.abulhasanalinadwi.org

واقع العالم الغربي[1]

مهما تكن دعاوي قادة العالم المعاصر عن تقدم الحضارة الغربية، وصلاحية أوربا لقيادة العالم، فإن العالم المعاصر لا يقدم صورة تبعث على التفاؤل، وإنما يقدم صورة مليئة بالأخطار، صورة العودة إلى الحياة القبلية لغلبة التزمت، والعصبيات واستغلال القوى للضعيف، وقد بدأت آثار هذه الرجعة تظهر وتبرز ملامحها في كل مجال من مجالات الحياة، وبدأت تزول وتنطمس معالم الطريق إلى نظام يعيش فيه الإنسان بحرية، غير مقيد بقيود ومكبل بأغلال، فقد بدأت تظهر عوامل التفرقة التي كانت مغمورة ومسيطراً عليها لوجود قوى عالمية كبرى، لكنها عادت وبرزت للعيان بقوة واندفاع اليوم، وتزداد كل يوم بسقوط القوى التي كانت لها سيطرة على الأذهان، فيواجه العالم اليوم صراعات عادية بدون أن تبرز قوة تحمل دافعاً إلى التغلب عليها.

كان تقسيم أوربا على أساس القوميات الإقليمية، وكان ذلك حلاً لمشاكلها التي كانت تسبب الصراع الداخلي، وجرت أوربا إلى حروب طاحنة، ثم انقسمت أوربا سياسياً واقتصادياً، وطموحياً إلى قوتين كبيرتين كان لهما تأثير على مصير العالم، وقد تفكك الاتحاد السوفيتي وسقط الرباط الشيوعي الذي كان يربط

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٤٣، العدد: ٢ ١٦ يوليو ٢٠٠١م.

www.abulhasanalinadwi.org

بين عدد كبير من الدول، وكان عاملاً لوجود كتلتين، وكانت الدول الواقعة في الكتلتين متحالفة إحداهما مع الأخرى، فانفصلت هذه الدول التي كانت ترتبط بكتلة من الكتل، وكانت مصالحها مشتركة وأمنها مضموناً فتواجه أوربا خطراً جديداً وهو أخطر من الشيوعية، خطر التفكك والتناحر فيما بينها لوجود صراع داخلي بين مختلف دولها، التي يوجد بينها تفاوت كبير في المجال التجاري، والمجال الاقتصادي والتعليمي والثقافي، وتوجد بينها نزاعات قوية، عنصرية وإقليمية.

ويلاحظ هذه الفروق أو نزعات العصبية كل من يزور بلداً من البلدان الأوربية، ويختلط بسكانها فيجد أن هناك أفلاكاً كثيرة يدور فيها الإنسان الأوربي وأنه موزع على أساس اللغة، والثقافة، والسلالة، والقوة الدفاعية، والتجارة، وتوجد هذه الفروق في أوربا الشرقية من جهة، وأوربا الغربية من جهة أخرى، وبين أوربا من جهة والدول النامية من جهة أخرى، وكان من مظاهر هذه النزعات العنصرية ما حدث في يوغوسلافيا السابقة، ونلاحظ هذه الصراعات في مسألة ألبانيا والدول المجاورة، ويظهر ذلك أيضاً من مواقف بعض الدول الغربية المختلفة إزاء المسائل العالمية لاختلاف مصالحها السياسية والاجتماعية، وبين الدول الأوربية، وأمريكا التي تسلمت قيادة العالم، وتظهر خلافات عنيفة بين هذه الدول وأمريكا التي كانت في الماضي كتلة واحدة في وجه الكتلة الشيوعية وفي داخل روسيا هناك كيانات تحب الانفصال على أساس اختلاف المصالح المادية والثقافية.

www.abulhasanalinadwi.org

وفي العالم الغربي يلاحظ من يراقب الأوضاع الخلافات بين ألمانيا وفرنسا، وأمريكا وبريطانيا، وإيطاليا، وأسبانيا، وهولندا، و البرتغال وهي دول استعمارية قديمة، ولكل بلد من هذه البلدان مصالح، وفيها سباق لتحقيق مصالحها الخاصة، وهذا الاختلاف في المصالح أدى إلى حروب في الماضي وتعود هذه الطبيعة، وتتصاعد في ألمانيا النزعة إلى الاعتماد الذاتي في الدفاع، بتقدمها في التجارة والصناعة ويتزايد شعور شعبها بعد الاتحاد بين الجزء الشرقي والجزء الغربي بأن تصبح البلاد ذات سيادة كاملة وتتحرر من نير حلفاء الحرب العالمية.

وتعرف أوربا هذه البذور للشقاق الدفينة في أرضها، وتعرف أنها كانت في الماضي سبباً لإراقة الدماء.

وهناك نزاع في أوربا وراء هذه النزعات السياسية والثقافية، والاقتصادية والعنصرية، وهو وجود طبقة قوية من الأصوليين النصرانيين ولا يمكن إغفال هذا العنصر، وهي قوية في أمريكا، وألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، وفي كل بلد أوربي، وقد كانت أوربا تستغل هذا العنصر لمحاربة الإسلام والمسلمين وتزودها بوسائل واسعة، وكانت تصرف اهتماماً إلى الخارج لممارسة نشاطاتها، ولكن المؤسسات التي تعد جنود التبشير تكوّن أيضاً ذهناً أصولياً، وقد بدأت الآثار تظهر لوجود قوة تنازع السلطة السياسية من رجال الدين الذين قهرهم السلطان السياسي، ويظهر الاتجاه في الشباب إلى الرجوع إلى الدين لإرواء غليلهم، وإرضاء نفوسهم، ومعالجة تذمرهم بالحياة الصاخبة، وازداد هذا الاتجاه بتصاعد نفوذ الأديان الشرقية، فشعر رجال الدين بضرورة

www.abulhasanalinadwi.org

دعم الفكر الديني في أوربا نفسها ، ووجد شباب طامحون كما يبدو من تقارير جماعة فوريش التي تحدت الحكومة ، ثم قامت بالانتحار ، وقد جذبت عدداً من الشباب وسبق ذلك وجود جماعة متزمتة أخرى ، وأمثال هؤلاء الشباب كثيرون في أوربا ، وستتصاعد هذه الحركة بتصاعد كل حركة بتفخيم خطر الأصولية الإسلامية.

وفي أمريكا عوامل كثيرة للصراعات ، فإن غلبة اليهود ، وسيطرتهم على كل قطاع من قطاع الحياة يحدث تذمراً ورد فعل في الأوساط من غير اليهود ، وقد بدأ الاتجاه إلى التحرر من هيمنتهم ، ثم إن هناك صراعاً مقهوراً بين الجنس الأسود والجنس الأبيض ، وبين الجنسيات الأخرى ، التي استوطنت أمريكا ، بالإضافة إلى رد الفعل في أوربا ضد هيمنة أمريكا على العالم.

لقد تعودت أوربا منذ استعمارها للدول الشرقية على غض بصرها عن مواضع الضعف في بلادها ، واعتادت أن نبحث عن عيوب غيرها ، ولا يزال هذا اللون سائداً على سياستها ، فلا يبحث كاتب ، أو معلق مساوئ الحضارة المعاصرة ، أو الأخطار التي تواجه أوربا الناشئة من داخلها ، وإنما تسلط الأضواء على العالم الخارجي ، فمثلها كمثل النعامة التي تخفي رأسها في الرمال.

وكذلك النزعة الإقليمية تتهدد الحضارة الأوربية التي قامت على الثورة على القيم ، ونواميس الحياة المقررة ، وقد أدت هذه الثورة على الدين والقيم إلى اتجاهين فبينما يتجه عدد من الشباب إلى الحياة الروحية الرهبانية يتجه عدد آخر من الشباب إلى حياة التجرد عن أي التزام بالقيم ، فوجد بذلك تناقض في المجتمع

www.abulhasanalinadwi.org

فيريد أفراده أن يعيشوا كالبهائم، أو كالكلاب، لا فرق بين النساء والرجال، فتصبح حياة البعض مثل حياة الهمج، وكثير من أمثال هؤلاء الشباب يزورن البلدان الشرقية، ويعيشون في المعابد، أو في الملاهي، ثائرين على حضارتهم، يصبحون موضع سخرية، يصفق لهم الأطفال في القرى، كأنهم قرود وهذه المشاهد ليست غريبة بل مشهورة في كل مكان، وكثير منهم يحلقون رؤوسهم وينزعون عنهم ملابسهم في البحث عن السلام، وفي الوقت نفسه يميل الآخرون إلى أن يحتجزوا أصحاب الأموال كرهائن ويقتلوهم إذ خابوا في رهانهم.

إن القوة المادية، والقوة العسكرية هي الستر الأخير الذي تخفى أوربا وجهها البشع وراءها، وهي الغطاء الأخير على هذه النزعات التي تهدد مصير أوربا، ولكن تعود الشاب على الجرائم، وإقبالهم على قتل النفس، والاستمتاع بالتدمير كما يدل عليه حادث التفجير الذي قتل بطله أخيراً يثبت فشل أوربا في تحقيق السعادة كما يثبت فشل أوربا في حل المشاكل العالمية حسب رغبتها.

وقد زالت هيبة أوربا على العالم أخيراً بفشلها في حل عدد من القضايا العالمية في العالم كالخليج وفلسطين والبلقان وعجزها عن منع القوى المتصارعة من استخدام العنف كذلك تبرز قوة جديدة بتكتل جديد بين روسيا وحلفائها السابقين، وإذا قويت هذه العناصر المفرقة فإن القوة العسكرية لا تستطيع أن تحمي أوربا كما فشلت هذه القوة في أن تحمي الاتحاد السوفيتي.

www.abulhasanalinadwi.org

١

معاداة دين وترويج دين[1]

عاش العالم تحت النفوذ الأوربي الفكري والسياسي مدة تتراوح بين مائة وخمسين سنة، ومائتي سنة، وفرض في هذا العهد الطويل نظام أوربي للتعليم والتربية، ونقلت فيه الأفكار الأوربية في الأدب، والفكر، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، وتعلمت أجيال من المسلمين في المدارس الأوربية، فشاعت في العالم الإسلامي مذاهب عقلية، وأفكار واتجاهات تستمد جذورها من الفكر الأوربي، واختلفت بعض هذه الأفكار الدخيلة بالأفكار الأصيلة، وأصبحت جزءاً من الفكر السائد، بحيث أنه يصعب التميز بينها وبين الأفكار الأصيلة، وعمت ألفاظ وتعبيرات مستوردة لها خلفيات تاريخية وسياسية، وأصبحت جزءاً من اللغة العامة، وزالت بعض القيم الشرقية والقيم الدينية للمجتمع الإسلامي من الحياة العامة، وغلبت هذه التصورات الحديثة عن الحياة، فغلبت الحياة الفردية مثلاً على الحياة الاجتماعية، والأثرة على الإيثار، وحب المال على القناعة، ومستوى معيشة أعلى، والشغف الزايد بالكماليات على العيش بالكفاف، وهي ظواهر عامة كانت نتيجة لتأثير الحضارة الغربية المادية.

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٥، العدد: ١٢، ١٦/ديسمبر ١٩٩٢م

www.abulhasanalinadwi.org

وقد أثرت الحضارة الغربية على الفكر في العـالم الإسـلامي تأثيراً عقلياً وفكرياً، فتغير التفكير أو الموقف إزاء بعض الأمور التي لها صلة وثيقة بالحياة، والسلوك الإنسـاني، والعقيـدة، ونظـام الحكم والأخلاق، ومنهج الحياة.

وقد كان من التأثير المباشر للفكر الأوربي الموقف المعاكس إزاء الدين والأخلاق، وكان ذلك نتيجة لتجربة أوربا مع رجال الدين المسيحي الذين كانوا متزمتين، والصراع الذي قام بين رجال الدين وبين رواد العلم والبحث الحر، وقد كانت تجربة أوربا خلال ألف سنة تجربة وقوف رجال الفكر الديني المتزمتين في طريق البحث الحر، والعلم الحر، وقد كانوا يساندون الحكام والإقطاعيين، فمرت أوربا بمرحلة طويلة لاضطهاد العلماء بأيدي هؤلاء الحكام المستبدين، ونشأ به في الباحثين عن العلم والفكر الحر تصور سيء عن الدين ورجاله، ولكن الإسلام لم يقف عقبة في سبيل العلم، وإنما دعا الإسلام إلى التوسع في المعرفة، وجميع علماء الدين بين مختلف شعب العلم، فكان منهم فلاسفة، وأطباء، ومهندسون، وسياسيون، بجانب براعتهم في العلوم النقلية، ولم يمارس الإسلام أي تمييز في طلب العلم.

إن الإسلام لم يحدد دائرة العقل والتدبر، وإنما دعا إلى التفكير الحر، وتطبيق العقل بشروط أن لا تتجاوز ممارسة العقل دائرته، لأن العقل نفسه محدود الدائرة، ومقلد للبيئة والنشأة، إن الذين يدعون إلى جعل العقل المجرد أساساً للقبول والرفض لا يطبقون هذا التصور في حياتهم ومعتقداتهم عامة، فبينما يقوم بعض الكتاب بنقد الدين والأخلاق يستثنون من النقد شعب الحياة

www.abulhasanalinadwi.org

الكثيرة، فلا يقومون بنقد القانون الوضعي وقوانين النظم السياسية في بلادهم، ولا يمارسون عقلهم في قبولها ولا الحرية في مناقشتها، وينتقدون الآثار والنصوص، ويعارضون شرح السلف لها، ويقومون بتأويل تلك النصوص أو المفاهيم المألوفة عقلياً ورفضها إذا تعارضت مع فهمهم، ولا شك في أن العقول والأفهام تتفاوت في الناس، كما يتفاوت فهم الإنسان العقلي وصلاحيته بالإدراك العقلي باعتبار بيئته، وظروف نشأته، وعمله، وتجربته، ومكانته الاجتماعية، وحالته الذهنية، فإذا تركت الأمور على العقل الإنساني كاملاً فإن النتائج والاستنتاجات تختلف اختلافاً بائناً، ويكون لكل عصر دين، ولكل بيئة دين، ولكل طبقة دين، وبسبب هذه النزعة العقلية المجردة قد رفض بعض العقلانيين عدداً من الأحاديث، وأولوا مفهوم بعض الألفاظ التي وردت في القرآن، وأولوا بعض المصطلحات الدينية تأويلاً عقلياً مغايراً لتأويل السلف، ورفضوا بعض الأحكام.

وبسبب الصراع بين الكنيسة والعلم، وسيطرة الكنيسة على الدولة، واضطهاد العلماء في عهد غلبتها، نشأت فكرة العلمانية و تهدف العلمانية، إلى تحديد دور الدين، وتجعله مسألة شخصية لا تتعدى العبادات والطقوس الدينية، ولا دخل له في الحكم والاجتماع، وقد شاعت هذه الفكرة في العقول المتأخرة من القرن العشرين، فقامت حكومات علمانية من معظم دول المسلمين واستطاعت أوربا بهذه الفلسفة إقصاء الدين عن الحكم، واتجهت بعض الحكومات إلى محاربة الدين ورجاله باعتبارهم معارضين للعلمانية، وكانت هذه الفكرة سبباً لاضطهاد العلماء المسلمين

www.abulhasanalinadwi.org

الدينيين في كثير من الدول الإسلامية ، ولا تزال هذه المحنة تستمر.

وقد جلبت العلمانية إلى العالم الإسلامي مذاهب غير إسلامية كثيرة وأفكاراً غير دينية في العالم الإسلامي وأفسح المجال بها ، لنظريات ومعتقدات لا تتطابق مع الفكر الديني ، وشاعت الإباحية والإلحاد ، وسمح للزنادقة والملاحدة بنقد الدين ، والأخلاق ، بحرية بينما لا يسمح لهم بنقد النظم الاستبدادية القائمة.

ولقبول العلمانية ازداد نفوذ غير المسلمين في الدول الإسلامية ، وانكمشت قوة المسلمين رغم كونهم في الأغلبية ، وبلغ شغف بعض الحكام بالعلمانية حداً احترزوا عن استخدام لفظ الإسلام وعارضوا كل حركة بهذا الاسم ، وحذفوا اسم الدين والإسلام من دساتير البلاد.

أصبحت العلمانية تستخدم اليوم كأداة لمحاربة الدين ، والدعاة ، والمصلحين ، ويبعد أصحاب الاتجاه الديني من مواقع النفوذ والعمل وخاصة من الإعلام والتعليم ، والتربية والثقافة ، ويجري الاعتماد على الذين نشأوا في الأوساط البعيدة عن التربية الدينية ، أو في الأوساط الملحدة ، ويزداد نفوذ غير المسلمين الذين لا يحملون في قلوبهم أي وفاء ، ولا ولاء للبلاد التي يعملون فيها ، ويتشجعون لمحاربة الاتجاهات الدينية التي يتقيد بها رجال الأغلبية في البلاد ، ويسخرون من المقدسات والشعائر الإسلامية في بلاد المسلمين ، وإذا احتج أحد من المسلمين من أصحاب الحمية الدينية اعتبر ذلك إرهاباً ، أو تزمتاً ، أو أصولية.

كانت هذه النظرية سبباً لترجيح كفة الميزان في صالح غير

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين، بل في صالح أعداء الإسلام في بلاد المسلمين، فتفرض قيود على تحركات الإسلاميين، وتطلق الحرية لمن يمارس أعمالاً عدوانية بالنسبة للإسلام والمسلمين.

إن هذا الوضع وضع غير طبيعي، فإن الأغلبية لا يمكن أن تسحق طويلاً، ولا يمكن غسل دماغ رجال الأغلبية، أو أن يوضع حولها حصار، أو يفرض عليها ستار من حديد لمدة طويلة، ولا يدل هذا العمل إذا أقدم عليه أحد إلا على إنكار التاريخ، ورفض المبادئ النفسية للأمم والشعوب، فإن الاستعمار سواء كان عسكرياً أم كان فكرياً ومهما طال يزول، وتنتصر إرادة الأمم، ويتغلب الوعي القومي.

www.abulhasanalinadwi.org

السياسة المجردة عن القيم الدينية عنصر هدم للإنسانية [1]

تواجه البشرية اليوم بتأثير التربية الاستعمارية مشاكل معقدة، لا تعاني منها الدول النامية وحدها، بل إنها تهدد سلامة الدول المتقدمة الراقية، وتعرقل تقدمها الحضاري في وقت واحد، إنها مشاكل ناتجة عن الأفكار المجردة عن الأخلاق والدين اللذين كانا عدوين أولين للحضارة الأوربية، الشرقية منها والغربية، وقد كانت الضربة الأولى عليهما من قبل جميع المذاهب والفلسفات الناشئة في أوربا، وعكف أدعياء التقدم على مكافحة أثرهما ونفوذهما من القلوب.

وبهذه التربية اللادينية واللاأخلاقية نشأ مجتمع كان يبدو في الظاهر منطلقاً لكنه كان في الواقع منطوياً على الذات ومنزوياً على النفس، فإذا تعدى الإنسان إلى إطار أوسع من النفس والذات تعدى إلى أسرته وبيئته التي يعيش فيها، فنشأت بذلك الأنانية الزائدة ثم العصبية الزائدة للمجموعة التي ينتسب إليها الإنسان أو لقطعة أرض ينتمي إليها، وهو رغم ذلك في خداع كبير أنه يعيش في مجتمع عالمي، أو أن المجتمع اليوم هو مجتمع حر مطلق، لا تفرق بين أجزائه الحدود الجغرافية أو السلالية أو العرقية والعنصرية،

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٢، العدد: ٣، ١٩٩٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

ويتصور أنه يعيش في جو التآلف والتآنس وهو في الواقع يعيش في جو التناحر والتباغض.

لقد تعززت التفرقة العنصرية رغم كل ما بذل من جهد لمكافحتها ، وتعززت النخوة الذاتية رغم كل ما بذل من جهد لخلق الروح الاجتماعية ، وتعززت الإقليمية رغم كل ما بذل من جهد لخلق مجتمع عالمي ، وتعززت الطائفية ، رغم كل ما بذل من جهد لإخراج الإنسان من الانتماءات الطائفية وإيجاد مجتمع مفتوح لا تفاوت فيه ولا تمييز على أساس العنصر والطائفية ، ولم يستطع المجتمع المعاصر لأن يتغلب على أي نوع من الاستغلال والاستعباد والقمع ، فإن جميع هذه الأنواع تسود اليوم بشكل من الأشكال.

لقد وضعت جميع الدساتير العالمية الراقية نصب عينها إزالة التمييز بين مختلف أجناس البشر ومنح حرية العقيدة والعمل والملكية بغض النظر عن الفروق على أسس اللون والجنس والعقيدة ، وكانت الدول الراقية في مقدمة هذه الدول التي ادعت بالعلمانية والمساواة الاشتراكية ووحدة الإنسان وحقوق الإنسان الأساسية.

لكن رغم كل هذه الضمانات والقوانين والإعلانات ، تواجه البشرية اليوم تياراً جارفاً للعنصرية والطائفية والإقليمية والأنانيات الذاتية ، وتهدد هذه النزعات مصير الإنسانية ، وأخطر ما في الأمر أن الإنسان في الماضي كان لا يملك وسائل التدمير ما يملكه اليوم ، فكانت هذه النزعات في الماضي محدودة التأثير لا تلحق أضراراً كبيرة ، لكنها اليوم تسبب خسائر جسيمة بوسائل فتاكة تتهيأ لكل فريق.

www.abulhasanalinadwi.org

إن الوضع الذي يسود اليوم في مختلف أرجاء العالم، وضع مخيف للغاية تعجز عن مواجهته وحله القيادات السياسية القائمة رغم ما تملك من قوة إدارية وعسكرية، لأن هذه النزعات لم تعد نزعات فكرية ولا ذهنية، وإنما تعدت إلى حركات مدعمة بقوة السلاح ووسائل الإعلام والتأييد الشعبي والتأييد الخارجي، فإذا نشأت حركة انفصالية، أو حركة إرهابية طائفية أو عنصرية تدفقت عليها الأسلحة الحديثة، وإذا كانت تنقص في القوة البشرية تهيأت لها قوة بشرية من الخارج في شكل المتطوعين أو المرتزقة، أو عملاء دولة مجاورة، أو مدربين وموجهين، توفر خدماتهم منظمات إرهابية، أو حكومات إرهابية تسرع إلى دعم كل من يحتاج إلى معونتها من الأسلحة والفدائيين، وإذا توفرت هذه الحوافز والمدعمات للعمليات الإرهابية، ووجدت منظمات وهيئات لتعزيز النزعات الانفصالية والعنصرية، فكيف يمكن التغلب على هذه النزعات المفرقة.

أخفقت القيادات السياسية في حل مشكلة "لبنان" حيث تتصارع فرق متعددة، و"باكستان"حيث تتصارع عناصر وطوائف مختلفة رغم انتماءها إلى الإسلام، و"سريلانكا" حيث يستمر سفك الدماء، ولم يتوقف رغم تدخل قوات الهند المسلحة، وفي مختلف أنحاء الهند حركات ونشاطات انفصالية وطائفية، ويرجع كل ذلك إلى تدفق الأسلحة وتأييد العناصر الخارجية وتوجيهها لكل حركة انفصالية أو صراع طائفي أو حركة إرهابية، وتهدد هذه النزعات الانفصالية سلامة كل بلد، وتعرض حدود كل بلد للتغيير والتعديل، وتعرض الحياة والممتلكات للخسائر والتدمير.

www.abulhasanalinadwi.org

إن الخطر الحقيقي للحضارة أو المجتمع البشري اليوم هو تصعد هذه النزعات الإقليمية والانفصالية أو الطائفية التي تهدد سلامة كل بلد وتقوى عنصر الصراع بين مختلف طبقات البشر وسهولة تزودها بالسلاح ولا تكافح هذه النزعات الانفصالية والنفسية إلا بغرس محبة الإنسان وكرامته وتنمية الشعور بالأخوة ، ولا تحقق ذلك إلا بالعودة إلى الدين والأخلاق ، فإن الدين والأخلاق هما أقوى الرباط الإنساني وأقوى أواصر الأخوة البشرية والمنطلق للإنسانية ، وكان الدين عنصر وحدات كبرى في العالم وبانحسار الدين وجدت كيانات ضيقة.

إن أوربا اليوم تعيش في هيبة من الإسلام والمسلمين والمهاجرين من العرب ، وتفكر في وقف ما تصفه من الزحف الإسلامي ، لأنها لم تعرف حقيقة الإسلام ، ودوره في البناء الخلقي ، ولكن المسلمين والإسلام لا يشكلون أي خطر للإنسانية أو الحضارة لأوربا ، وعلى العكس أنهم يشكلون عنصر وحدة إنسانية ، وحدة لا تساويها وحدة ، فيها احترام الإنسان وشرفه ، وهو الحل الوحيد للأزمات التي تهدد الإنسانية اليوم فلا بد من تعزيز الروابط الدينية والخلقية بين مختلف الطوائف والفرق ، ولابد من إيجاد الوعي الديني الذي يعلم الإنسان مسئوليته ودوره في الحياة.

www.abulhasanalinadwi.org

النصرانية في عهد الظلام والنصرانية المعاصرة[١]

إن الدعاة إلى النصرانية يعرفون دينهم بدين المغفرة والرحمة، وأن الحب هو جوهر تعاليم النصرانية، ويجعلون المحبة والمغفرة رمزاً لهذا الدين، ويتظاهر به دعاة النصرانية، في سائر نشاطاتهم، ولذلك اختاروا رموز المحبة كالإسعاف، ومعالجة المرضى، وتقديم إعانات إلى الفقراء، وتعليم أطفال الذين لا يحتملون نفقات التعليم، فينشئون المدارس، والمستشفيات، ودور الإسعاف، ويوجهون اهتمامهم إلى المناطق المتخلفة، ولإظهار هذه السمة والطبيعة لدينهم يحملون الصليب، الذي يرمز إلى التضحية، والفداء، ويدعون أن دينهم يعلمهم عدم الانتقام، بل يلقنهم الإحسان إلى من يسيء، فإذا لطم أحد فعلى ملطوم الوجه أن يوجه الجانب الآخر للوجه.

وقد كانت رقة القلب والاحتساب، والاعتراف بالحق وقبوله، ميزة هذه الديانة، وقد عانى أتباع هذه الديانة بأيدي اليهود في تاريخهم الطويل، ووصف القرآن الكريم الفارق بين النصارى واليهود وقال:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ

[١] نشر في "البعث الإسلامي" العدد السادس، أبريل ٢٠٠٥م.

www.abulhasanalinadwi.org

أشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[1] .

كانت هذه طبيعة النصارى قبل احتضان أوربا لهذا الدين واتخاذه كأداة لتحقيق نواياها السياسية ، فقد كانت الكنيسة في العهد السابق تسيطر على الدولة ، وسياستها ، فلما انقلبت الأوضاع بدأت السياسة والدولة تسيطر على الكنيسة ، وكانت هذه السيطرة السياسية بمثابة تسييس الدين المسيحي ، وكل من يتابع النشاط التبشيري الذي بدأ بعد القرن الخامس عشر في ظل الحكومات القائمة في أوربا ، يدرك أن حملة التنصير التي بدأتها الدول الأوربية بعد أن خضعت الكنيسة للقوة السياسية ، وفقدت سيطرتها ، كانت وسيلة من وسائل الاستعمار ، ويتضح ذلك من تصريح بعض المنصرين أن المقصود من التنصير ليس إدخال غير النصارى في النصرانية ، فإن ذلك يشكل شرفاً لهم ، وإنما المقصود هو إخراجهم من عقائدهم ، أو بث الشكوك والشبهات في معتقداتهم ، وذلك لينضموا إلى صفوفهم ويخدموا مصالحهم ، وينقطعوا عن مجتمعهم ، فقد قال زعيم المنصرين زويمر : "مهمة التبشير ليست إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هو شرف لهم وتكريم" .

إنه موقف سلبي لدعاة التنصير ، فإن طبيعة الدعوة إلى دين وعقيدة ، تقتضي إقناع المدعو بتعاليم ذلك الدين ، أو العقيدة ، كما

---

[1] – المائدة : ٨٢–٨٣.

www.abulhasanalinadwi.org

هو طريق الدعوة الإسلامية، وقد اختار الدعاة إلى النصرانية سائر الطرق السياسية لغلبة العنصر السياسي على النصرانية المعاصرة، ومن هذه الطرق الاعتماد الزائد على الهجوم على الديانات الأخرى، وفي مقدمتها الإسلام، لأن المقابل الوحيد لها هو الإسلام، فركز حملة الأقلام النصرانيون في أوربا كلها على الهجوم، ويعرف ذلك كل من يتابع تاريخ الاستشراق، فقد كان موقفهم إزاء الإسلام من وراء دراساتهم الإسلامية موقف الهجوم وتشويه الحقائق، وعدم الاعتراف بأي فضل فيه باستثناء عدد قليل منهم ممن كان موقفهم موقف الاعتراف، وأحدث هذا الموقف المعاند كراهية في النفوس وحقداً، وعداوة، لاتزال تراود النفوس في أوربا كلها، وهذه البحوث الحاقدة هي السبب الرئيسي لموقف العداء للإسلام في أوربا، وكل من يدرس الإسلام دراسة مباشرة يكتشف دجل هؤلاء الكتاب، ولعب عدد من المستشرقين المنصرين دوراً كبيراً في هذا التزوير، وحجب الحقائق عن الدارسين، والتلفيق، وهذا الموقف يتعارض مع طبيعة النصرانية الحقيقية، فإن الطبيعة الأصيلة هي كما وصف القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[1].

وعلى عكس ذلك أنهم قاموا بعرض صورة مشوهة لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وحاولوا الطعن فيها، وسائر الكتب عن السيرة الشريفة، تدل على هذه المحاولات المشينة.

ولغلبة العناصر السياسية وتنازل الكنيسة عن موقفها أمام

[1] المائدة: ٨٣

www.abulhasanalinadwi.org

ضغط السياسيين اتخذت الكنيسة موقف التودد إلى اليهود بدلاً من المسلمين، والعداوة بين اليهود والنصارى عداوة معلومة عبر التاريخ، ولتأثير العناصر السياسية أصدرت قرارها بالعفو عن اليهود، وازداد هذا التودد إلى حد غلبة اليهود على أوربا النصرانية كلها وتغلغل نفوذهم، وسيطرتهم على النظام السياسي، والاقتصادي، وذلك على حساب المسلمين الذين يشكلون ثلث العالم في السكان والمساحة الأرضية.

ويتصعد هذا العداء مع المسلمين والإسلام لصدور كتب وبحوث ملفقة ضد الإسلام ونشر وكالات الإعلام مواد العداء والتنفير عن المسلمين وبوصفهم إرهابيين، ووصف دينهم بدين الإرهاب، وبذلك يشتد الصراع بين المسلمين وغيرهم، وتفرض قيود على النشاطات الإسلامية، والدعوة الإسلامية حتى تواجد المسلمين في أوربا أصبح في موضع خطر، وقد أجرى استفتاء أخيراً لمعرفة موقف المواطنين المسحيين إزاء تواجد المسلمين بينهم، فأدلت نسبة كبيرة منهم برأيها ضد تواجدهم، وتتخذ حكومات أوربا المختلفة إجراءات تحديد نسبة تواجد المسلمين.

وعلى الجانب الآخر تعلن الجمعيات التنصيرية بين حين وآخر برامجها لتنصير المسلمين، وتحويل بعض البلدان الإسلامية إلى بلدان نصرانية، كما تطالب الحكومات الأوربية الحكومات الإسلامية بحماية مصالح المسيحيين وإن كانوا في نسبة ضئيلة، وتعارض إذا فرض أي قانون يطابق الشريعة الإسلامية، فتثور ضجة كبرى في العالم المسيحي، ولكن الإجراءات القاسية ضد المسلمين في بلدان الغلبة المسيحية لا تقلق أحداً من دعاة حقوق

www.abulhasanalinadwi.org

الأقليات ، وحقوق الإنسان.

إن الوسائل التي تتسلح بها جمعيات التنصير في العالم من الميزانية ، ووسائل الإعلام ، ووسائل المواصلات والاتصالات ، والقوة البشرية ، التي نالت التدريب اللائق ، وفيهم علماء ومهندسون ومخططون ، لا يمكن حشدها بالجهود الشخصية وإنما هي مدعمة من الحكومات والدوائر السياسية ، أوعلى الأقل تنال هذه الجمعيات هذه المعونات بمعرفة الحكومات ، فإن كثيراً من هذه الجمعيات تملك طائرات ، ومحطات إذاعة ، ووسائل الوصول والعمل في المناطق القاصية المنعزلة ، ولا يمكن ذلك إلا بمعونة نظم الحكم في العالم المسيحي ، ولكن أدنى نشاط للدعوة الإسلامية يصبح تحت رقابة شديدة ، وتصدر تعليمات من هذه الدول بتجفيف سائر منابع الدعم لهذا النشاط ، وتنفذ الحكومات الإسلامية سائر هذه التعليمات ، فتوقف النشاط الإسلامي ، وفي الوقت نفسه تسمح للمنصرين بنشر شبكتهم.

نشرت صحيفة "زمان" التركية في عددها الصادر ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٤م ، فقرات من التقرير الذي حمل عنوان"الأنشطة التنصيرية في تركيا والعالم" وجاء فيه أن جماعات تنصيرية تخطط لتنصير ١٠٪ من الأتراك الذين يدين ٩٩٪ منهم بالإسلام ، وأشارت الصحيفة إلى أن هؤلاء المنصرين يعتزمون توزيع أكثر من مليون نسخة من الإنجيل بين أفراد الشعب التركي ، خلال الـ ١٦ عاماً المقبلة لتحقيق هدفهم ، كما ذكر التقرير أنهم يعتزمون إنشاء معهد لإعداد جيل من علماء اللاهوت في تركيا.

وأضاف التقرير أن : "١٥ ألف مسلم تركي تحولوا إلى

www.abulhasanalinadwi.org

الديانة المسيحية وإلى طوائف أخرى كالبهائية خلال السنوات القليلة الماضية".

وفي نفس الوقت تفرض في تركيا قيود على سائر النشاطات الإسلامية، ومثل هذا الخبر ورد من موريتانية.

ويقول تقرير نشرته مجلة "المجتمع" الصادر في ٤/فبراير ٢٠٠٥م:

" في الوقت الذي تشن فيه حرب واسعة على العمل الإغاثي الإسلامي كما حصل سنة ١٩٩٤م حيث أغلق أكثر من عشر منظمات إسلامية عاملة في المجال الخيري، وكما حصل سنة ٢٠٠٣م و ٢٠٠٤م حيث أغلق أكثر من عشر جمعيات إسلامية، من بينها كلية للشريعة ومعهدين إسلاميين بينما تحمي السلطات كل الوسائل غير المشروعة التي تستخدمها المنظمات التنصيرية الصليبية، بهدف كسر الوازع الديني".

وأضاف التقرير أن انتقاد هذه النشاطات غير المشروعة في الصحف لا تحتمله الحكومة، فإذا تطرق أحد إلى هذا الموضوع تصادر هذه الصحيفة، وقد قال أسقف كنيسة نواكشوط في الثمانينيات "ألقينا البذور ونحن الآن ننتظر الحصاد".

يجري هذا العمل عن طريق المدارس والمستشفيات وأعمال البر والإحسان، وبطرق إغرار الشباب من بيوت الدعارة، والإباحية.

والأخطر من ذلك هو ما نقلته الصحف، وهو تحول العمل التنصيري إلى نشاط مسلح.

يقول تقرير نشرته مجلة "المجتمع" عن ليبيريا، حيث يشكل

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون أقلية كبرى، وتجري فيها عمليات التنصير قسراً.

"قرر مجلس الكنائس العالمي في مؤتمره الذي عقد في لندن عام ١٩٩٥م تخصيص الجزء الأكبر من ميزانيته لصالح النشاط التنصيري في ليبيريا، وكان حصاد ممارسات تايلور ضد المسلمين في هذه الفترة ما يلي:

١- قتل ما لا يقل عن ٣٥٪ ألف مسلم.

٢- تشريد قرابة نصف مليون مسلم.

٣- هدم مئات المساجد.

٤- هدم قرابة مائة مدرسة إسلامية.

والجدير بالذكر أن تايلور من أحد الأوفياء المخلصين لواشنطن والكنائس الأمريكية التي تضع ليبيريا في أولوياتها لدرجة، وأن وزير الخارجية الأمريكية ـ المستقيل ـ كولن باول قام قبل زيارة الرئيس بوش الأخيرة للقارة عام ٢٠٠٣م بتقديم تقرير عن أوضاع التنصير في ليبيريا إلى القس بلجراهام أحد أشهر المنصرين في العالم.

يدل كل ذلك على التواطؤ بين جمعيات التنصير، والحكومات في أوربا وأمريكا، ولا يخفى ذلك على أحد، ويدل عليه تصاعد هذا النشاط التنصيري في العالم كله، وقد سقط القول بفصل الدين، والدولة الذي ادعى الأوربيون، إلا أن الوضع قد انقلب، كانت الكنيسة في الماضي تسيطر على الدولة واليوم تسيطر الدولة على الكنيسة، وهوأخطر وضع من الوضع السابق، فإن الحكومات تستخدم سائر الوسائل للتنصير وتقوم بسد سائر منافذ وطرق مكافحة هذا العمل، وتهيئ الفرص لممارسة هذا النشاط

www.abulhasanalinadwi.org

وتحقيق هدف التنصير، بالوسائل الرسمية من فرض الضغوط على الدول الإسلامية، ومراقبة المجتمعات الإسلامية، وكسر شوكة المسلمين بالوسائل الحربية كما حدث في العراق وأفغانستان.

إن هذا الوضع ينذر بخطر جسيم للعالم الإسلامي، ويتطلب مجهوداً جباراً لوقاية المسلمين من هذا الخطر، وذلك بطريقين، طريق التعليم والإعلام، وطريق الدعوة وإصلاح المجتمع الإسلامي وتوعيته.

عبودية التقدميين

كانت التقدميـة الـتي رفعـت أوربـا هتافهـا خـلال استيلائهـا على العالم ، قد جـرت المثقفين بالثقافـة الأوربيـة إلى قطـع صلتـهـم بكـل مـا يربطـهـم بالمـاضي ، والثـورة عـلى كـل مـا يرجـع أصلـه إلى التقاليد والعرف ، والسلوك الإنساني المتوارث ، والقيم الاجتماعية والخلقية ، وكانت هذه العملية عمليـة التجـرد عـن كـل مـا يمت إلى المـاضي بصلـة ، عمليـة كاسـحة ، فتخلـي المشـغوفون بالحضـارة الغربيـة عـن التقـاليد المتصلـة بـالأكل والشـرب والتحيـة والمسـكن والملبس وأدوات الأكـل والشرب ، وبدأوا يحـاكون الغـرب في كـل مظهر من مظاهر حياتهم ، وتجردوا عن خصائصهـم القوميـة ، وقـد كتب أحد عقلاء العرب الذين نشأوا في أحضـان الغـرب أن الغـرب علمنا كيف نأكل ونشرب ، فقد كنا نأكل جالسين على الكراسـي ، ودعـا أحـد الكتـاب في ذلـك العصـر إلى تقليـد الغـرب في الكـلام والقيـام والجلـوس ، وبنـاء المعـابد ودور السكن ، فطبقـت التقدميـة على كل عمل إنساني خـارج عـن الأصـول والعـرف ، واعتـبر هـذا الخروج تطوراً وثقافة عصرية ، كان الناس مثـلاً يـأكلون مجتمعـين ، فبدأوا يـأكلون متفرقـين ، كـانوا يـأكلون صـامتين بـهدوء ، شـاكرين لنعمـة الله تعـالى ، فبـدأوا يـأكلون واقفـين متحـركـين مـن مكـان إلى مكان حاملين صحونهم في أيديهم ، يتكلمون ، وأحياناً يضطر هذا

www.abulhasanalinadwi.org

التقليد للغرب إلى إخلاء المكان من الكراسي ، وإذا كانت متوفرة لتيسير الضيوف أن يأكلوا واقفين على الأقدام ، وتصاعد هذا التقليد باسم التقدمية إلى اقتناء مأكولات غير مألوفة ، وجمع أطباق غير متجانسة ، بل غريبة على الأكلة.

كذلك جر التقليد للغرب إلى اختيار ملابس خاصة ومنهج خاص للأكل ، وفي بعض الأماكن يدخل الناس في القاعة للأكل في مسيرة ثم يتفرقون في القاعة عند الأكل تقليداً لعرف أوربي قديم ، فكان تقليد الغرب بالذات يسمى في معجم العقلاء العبيد في الشرق بالتقدمية في كل مجال من مجالات الحياة ، ولا يعرف هؤلاء المقلدون أن كثيراً من هذه العادات التي أخذت من الغرب هي تقاليد قديمة في الغرب ، لأن الغرب يرجع كل عمل من أعماله أو فكر من أفكاره إلى هذه الحضارة اليونانية حقيقة ، ولا يخلو عمل من هذه الأعمال من كونه مرتبطاً بأصل قديم.

وقد جر هذا التقليد بعض المثقفين بالثقافة الغربية إلى أن ينطقوا لغتهم بلهجة غربية ، ويتحرروا من قيود النحو في الكلام ، ولا يفرقوا بين التأنيث والتذكير ، والواحد والجمع ، ليظهروا مثقفين بالثقافة الغربية ، والناشئين في أفكار الغرب ، ويبدو أنهم ينتمون إلى طبقة عليا ، ومن هذا النوع من التقليد الإكثار من الألفاظ الأجنبية في اللغة المحلية ، فيصبح الكلام مثقلاً بالألفاظ الأجنبية ، وأصبحت الآداب في كل لغة متأثرة بالنفوذ الغربي خلال الحكم الأجنبي ، وتغيرت تراكيب كل لغة ، وتضيع بذلك جهود العلماء الذين يجتهدون لترجمة الألفاظ الأجنبية إلى لغاتهم ، لأن هذه الألفاظ لا يستعملها المثقفون لكيلا يوصفوا بأنهم رجعيون.

www.abulhasanalinadwi.org

وتصاعد هذا التقليد في بعض الخط الروماني للكتابة، ففقدت هذه اللغات قيمة التراث العلمي الوافر، واقتصر هذا التقليد باسم التقدمية على العقيدة والثقافة والمعاملات، والأخلاق، والأكل والشرب والملبس، والمسكن والنطق واللهجة واللغة إلى حد كبير.

أما مجال التعليم والصناعة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي و الدفاع فلم يتأثر بالتقدمية بل بقي على حاله السابق في غاية من التخلف والكساد، والرجعية، فإذا دخل أجنبي في بلد من البلدان المقلدة للغرب وجد هناك صراعاً بين الماضي والحاضر، وجد رقياً في مجالات وتخلفاً في مجالات، تقدمية في العقيدة والأخلاق والمعيشة، ورجعية في الوسائل أو بتعبير أصح تقدماً في الصورة وتخلفاً في الحقيقة، فلا يوجد في مثل هذه البلدان نظام سياسي ثابت، ولا قانون محترم، ولا حرية للإنسان، ولا حقوق أساسية له، ولا نظام راق للمواصلات ولا اقتصاد راق ليضمن العمل للمواطنين ولا نسبة عالية للتعليم.

وقد أرادت أوربا أن يبقى هذا التناقض في الدول التي استعبدتها لتعيش دائماً عبأً عليها، فإذا أراد زعيم أن يرتقي ببلاده ويتقدم حقيقة، واتخذ وسائل للرقي في الصناعة، والاكتفاء الذاتي في الاقتصاد وقام بتطوير التكنولوجيا، واتخذ سياسة متطورة فرضت أوربا القيود على تلك البلاد، ووجهت ضغوطاً سياسية واقتصادية أو قامت بمؤامرة لقلب نظام الحكم في تلك البلاد، واغتيال الزعيم الصالح، ويعنى ذلك أن البلد مرغم على أن يبقى متخلفاً في هذه المجالات، مرغماً على أن يتحرر ويتقدم عن ما

www.abulhasanalinadwi.org

يتميز به من خصائصه القومية والفكرية والعقدية، بل يثور على كل ما يميز ذلك البلد من مثل وقيم خلقية.

ومثل التقدمية تجري الحرب اليوم على الأصولية، وهي أيضاً حرب مزدوجة، يعني دعوة إلى التجرد من أصول ومبادئ كان يتميز بها ذلك البلد أو الأمة والتحرر من معتقداتها ومناهج حياتها وتقليد الغرب في أصوله ومبادئه.

تدعى هذه الدول إلى التخلي عن معتقداتها وثقافتها وأفكارها التي تشكل تاريخها، وتتكون منها شخصيتها المتميزة، ثم تدعى في الوقت نفسه إلى اختيار النصرانية فيصبح بناء المسجد أصولية، وبناء الكنيسة تحرراً وتقدماً، والصلاة في المسجد أصولية، وحضور الكنيسة يوم الأحد تقدماً، والآذان أصولية، والناقوس تقدماً، والدعوة إلى الإسلام أصولية ورجعية، والتبشير والتنصير تقدمية ورقياً فكرياً، والحجاب أصولية، وقضاء الحياة كلها كالعوانس راهبات تقدما.

إنه لمنطق غريب، ولكن سهل فهمه لأنه مشاهد وملموس، يلمس آثاره كل شخص.

كذلك الإرهاب، فقد دبرت أمريكا مؤامرات كثيرة ثابتة بالوثائق بقتل زعماء العالم الطامحين، ولكنه لم يكن إرهاباً، وكانت أمنية حاكم في بلد شرقي لقتل رئيس أمريكا لأنه اعتدى على بلده بدون أي تدبير واقعي لتحقيق هذه الأمنية إرهاباً يليق بالمعاقبة.

كان امتلاك إسرائيل أو أي بلد أوربي صغير لأسلحة نووية حقاً مشروعاً للدفاع عن النفس، ولا يشكل إرهاباً أو خطراً

www.abulhasanalinadwi.org

عالمياً، ولكن إذا بذلت دولة من دول الشرق محاولة لتطوير صلاحيتها لإنتاج قوة نووية صار ذلك العمل خطراً عالمياً، وتفقد الدول الأوربية التوازن.

يقوم النصرانيون في كثير من دول العالم باضطهاد الأقليات الأخرى ويحرمونهم من حقوقهم الأساسية، ويجبرونهم على الهجرة من أوطانهم، ولا يقلق أوربا هذا العمل، ولكن إذا حدث ذلك في بلد غير نصراني، كان ذلك مبرراً للتدخل في الشؤون الداخلية وتقف دول أمريكا كلها في صف واحد لمقاتلة ذلك البلد.

ويعني ذلك - وهناك أمثلة كثيرة لهذا التمييز - أن أوربا هي التي تعين معاني الألفاظ ومستعملات المصطلحات، وأنها وحدها تملك حق اتخاذ القرار والإرادة، أما الآخرون فهم عبيد لها، وإذا كان ذلك تقدماً وتحرراً في أذهان المثقفين الغربيين فطوبى لهم، وبارك الله في تقدمهم وعبوديتهم.

www.abulhasanalinadwi.org

قهر الشعوب باسم تحرير الشعوب [1]

إن الغرب رغم ذكائه وصلاحيته للبحث والدراسة، واستعداده التام للاستفادة من التجارب، وتغيير المواقف حسب الظروف المستحدثة وتقدمه في دراسة نفس الإنسان وطبائع الأمم والتعامل معها حسب دراسة طبيعتها وظروفها الاجتماعية وعقليتها، يبدي غباء في سلوكه مع الأمم الإسلامية ويتمسك بخطه الذي رسمه في عهد الجنون للانتقام الصليبي، ولا يستفيد من تجاربه مع هذه الأمم ولا من انحراف عدد كبير من عقلائه وانضمامهم إلى المعسكر الإسلامي.

لقد حاول الغرب تطوير الشعوب الإسلامية تطويراً يخدم مصلحة الغرب، ولتحقيق هذا الهدف المنشود وضع النظام التعليمي والتربوي لسلخها عن طموحها ودمجها إلى الحضارة الأوربية، ووضع جهازاً للإعلام بتخطيط دقيق، لكن أخفقت هذه الوسائل كلها في تغيير عقلية الشعوب الإسلامية في كل بلد جربت فيه هذه الوسائل، فإن الشعوب المسلمة تتمسك بإسلامها وتحرص عليها كما كانت تتمسك به في الأجيال السابقة.

وليست الحضارة الغربية التي تشاهد مظاهرها سائدة في هذه الدول إلا كالنظم السياسية التي تصل إلى الحكم بفضل

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٠، العدد: ١٤، ١٦/يناير ١٩٨٩م.

www.abulhasanalinadwi.org

استفتاءات مزورة أو ثورات عسكرية، فإذا أطلق العنان وسمح لهذه الشعوب بأن تدلي بصوتها برغبتها وبحرية لسقطت هذه النظم السياسية كأوراق الخريف، وكسرت الأصنام التي تعبد وتقدس، ولتغير مجرى الحياة وثارت الشعوب الإسلامية على المؤسسات الغربية.

إن أوربا وأعداء الإسلام يعرفون ذلك ويدركون أنهم لا يستطيعون أن يحتفظوا بوجودهم إلا تحت تدابير وقائية خاصة ولذلك يؤيدون النظم التي تقمع الأصوات وتكبت الحركات، وتستبد بالشعوب، وتغلق كل منفذ، وتشوه الصورة، ولكن الاضطهاد مهما تكثف لا يستطيع أن يدوم، ويشهد به تاريخ أوربا نفسها، فكم من أباطرة مستبدين سخروا بالإنسان، وعاملوا شعوبهم كالعبيد بالسلاح والقوة والبطش، لكنهم ذهبوا في مجاهل التاريخ، وقد كانت الشعوب الأوربية في العهود الوسطى والعهود التي سبقت الثورة الفرنسية تعاني من حكومات استبدادية عليها رغم أنها كانت تحب العافية، وتصبر على الرزية والمكروه، أكثر من الشعوب الأخرى، ولكنها احتملت هذه النظم مدة، ثم نبذت نير العبودية، وليست الحضارة الأوربية المعاصرة إلا نتيجة لانطلاق الشعوب وإسقاط النظم المستبدة، وقيام حكومات تحترم رغبات شعوبها وتسعى إلى تحقيقها، وإتاحة فرص مواتية لكل مواطن.

فكيف يتصور القادة في أوربا أنهم يستطيعون أن يدعوا الشعوب في البلاد الإسلامية ترسف في الأغلال، ويخدعوا هذه الشعوب بوعود ماكرة، وشعارات فاشلة لتعيش هذه الشعوب في ظروف عهد الاستبداد الشخصي، والعبودية، لأبطال مزورين.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد ظهر فشل هذه السياسة التي تلعبها الدول الكبرى في العالم الإسلامي في كل مجال من مجالات الحياة، فإنها فشلت في إسعاد الشعوب وإقناعها بمكاسب النظم المفروضة ضد رغباتها، وفشلت في إقناعها بنفعية الصداقة مع الدول الأوربية شرقيها وغربيها، وفشلت في كسب الثقة بالنظم القائمة لحماية الدول الأوربية وإخلاصها في تحقيق رغبات الشعوب، كما فشلت في إرغامها على قبول الحضارة الغربية ومنهج حياتها، رغم مرور الزمن، ورغم خسائر جسيمة فلم تقدر في هذه المدة الطويلة من الحكم الموالي للغرب على قمع الحرص على العودة إلى الإسلام، وتطبيق شريعته والنفور من الحضارة الغربية، فإن سائر الدول الإسلامية تواجه اليوم التيار الإسلامي رغم القيود والأغلال، وتتجدد فيها المطالبة بالعودة إلى الحكم الإسلامي مهما وصف هذا التيار بالتزمت والانعزال والتشنج ومعاناة الحضارة، واتخذت إجراءات مشددة لقمعه، فإن هذا التيار سيغلب ويحطم القيود، فإن تجربة تركيا تدل بكل وضوح على أن القوة لا تستطيع أن تقتلع جذور الإيمان بالإسلام من القلوب المسلمة.

لقد كان من الحكمة أن تفهم هذه الحكومات التي لا ترى إلا بعين سادتها في الغرب، الظروف المتغيرة وتفهم عقلية شعوبها وتنسجم معها، وتتصالح مع طموحها وتلتقي بها، ولو على منتصف الطريق، فإن هؤلاء الدعاة والمناضلين مخلصون لأوطانهم أكثر من المثقفين المزعومين الذين يلتفون حول الحكام، إنهم لا يريدون الحكم، وإنما يريدون أن يكون الحكم لله، وأن يكون الحكام عادلين في حكمهم مطيعين لله ولرسوله، وقد أعلن بعض

www.abulhasanalinadwi.org

قادة هذه الدعوات أنهم لا يريدون الحكم بأيديهم، وإنما يريدون تحقيق ما يرغب فيه الشعب المسلم وهو أن يسود الإسلام، فلو تولى هؤلاء الحكام تطبيق الإسلام وسعوا مخلصين إليه لخففوا من متاعبهم الناشئة عن محاربة شعوبهم قدراً كبيراً ولسارت بلدانهم في طريق التقدم والبناء بدون عقبات في سبيلها.

إن الرقابة على المواد الدينية، وتطويق الدعاة الإسلاميين ومحاكمة الكتاب العاملين للإسلام والرقابة على الأنشطة الإسلامية وسائل قديمة تطبق في هذه البلدان منذ عهد الاستعمار، ولكن هذه الوسائل باءت بالفشل في القضاء على هذه الحركات على مصادرها ولم تصرف الشعوب جهتها، فكلما خفف من القيود، ظهر اتجاه الشعب وتجلى تمسكه بالإسلام، والحرص على العودة إلى الحياة الإسلامية.

إن هذا الطموح لم يقمع في الصين رغم جميع الوسائل القاسية ضد الدين، ولم يقمع في تركيا رغم كل ما فعله كمال أتاترك، وأتباعه لتغريب تركيا، وإبعادها عن الدين، وفي كل بلد تمارس فيه الإجراءات القاسية لإخماد العاطفة الدينية وحالما تطلق الحريات الطبيعية تعود تلك الشعوب إلى الإسلام.

أليس من السفاهة إذن التفكير في تطبيق سياسة ثبت فشلها، وإنكار الواقع رغم وجود موشرات صريحة إلى الاتجاه القومي، إنه واقع يدركه كل من أوتي عقلاً عادياً، فضلاً عن الأذكياء والحكماء والساسة الذين لهم عيون كعيون الغراب، وشامة كشامة النمل، ولكن طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون.

لقد ظهر فشل النظم القائمة في البلدان الإسلامية لانفصالها

www.abulhasanalinadwi.org

عن الشعوب الإسلامية ، وتبعيتها لأعداء الإسلام في كل مجال من مجالات الحياة ، فلم تحقق تبعيتها التقدم الاقتصادي ولا الاستقرار السياسي ولا التضامن الاجتماعي ولا القوة العسكرية الرادعة ولا الكرامة من الحقل الدولي ولا الحرية السياسية ، ولا الوحدة الفكرية ، بل زادت من تمزق هذه البلدان ومن البلبلة الفكرية ، وظهر هذا الفشل لكل ذي عينين ، لا يصعب على هؤلاء القادة ، ومعهم موجهوهم في الغرب أنهم كانوافي خداع عن هذه الشعوب وسياستهم معهما حيث إن الحرمان والتشتت والتخلف الاقتصادي يزداد فيها وتتكثف الديوان والضغوط الاقتصادية ، وتتصاعد الأخطار ، إنها لبلادة ما فوقها بلادة ، وغباء ما فوقه غباء.

www.abulhasanalinadwi.org

من النور إلى الظلمات [1]

إن الدين هو الرادع الأقوى لطغيان الطغاة، وتمرد الماردين، لأنه يحمل التعاليم السماوية، فينظم الحياة الفردية والاجتماعية، ويضع لها أصولاً وحدوداً، ويذكر الإنسان فرائضه و واجباته في حياته، ويحدث فيه الشعور بالمسئولية والإحساس بالنجاح والخسران ليس في هذه الحياة القصيرة وحدها، بل بعد الممات أيضاً يوم الدين، ويعلمه التمييز بين الخير والشر، ويوجد في الإنسان العواطف النبيلة للمؤاساة، والإيثار، والقناعة، والرضى بالكفاف، والعمل للثواب عند الله تعالى، ويحدث فيه نفسية للمحاسبة الذاتية التي تمنعه من ارتكاب الجريمة، وتدفعه إلى عمل الخير في السر والخفاء حيث لا يراه الناس.

إن القوة، والثروة والغني والقدرة على الانتفاع تحدث في الإنسان الطموح الزائد للمزيد، وتدفع من يملك تلك الوسائل إلى الطغيان وتحدث فيه التطاول، والنخوة، والتعالي، فإذا لم يكن لهذه القوة أو الثروة، رادع خلقي أو وازع ديني، فإن هذه القوة أو الثروة تجلب لصاحبها شقاء وعناءا في الاستزادة منها وطغياناً على غيره من بني جلدته، ولا يسلب الدين هذه القوة أو الثروة، أو الوسائل من يد من يملكها، ولا يحرمه منها كما تفعل الشيوعية،

[1] نشرته الرائد السنة: ٣٦ العدد: ٥ ١٩٩٤م

www.abulhasanalinadwi.org

كذلك لا يترك الدين صاحب هذه القوة أو الثروة حراً يتصرف في قوته أو ثروته ، كما يشاء ويطغى فيها ، فيعيش كثور لا يهمه إلا أن يملأ بطنه بما شاء ، وينطح كل من يعترض سبيله ، أو كذئب ليس له إلا الانتهاس والفتك ، وإنما ينظم الدين الحياة ، وينسقها ، ويصلح مسار الحياة ، ويبين المزالق ، ويضع الحدود ليقف عندها الإنسان ، ولا يتعداها ، أو يدخل في حمى غيره ، لأن الدين يقوم على أساس تصور كون الخلق كله عيال الله ، والمجتمع الإنساني كله أسرة واحدة ، ويحمل كل فرد من أعضاء الأسرة مسئولية غيره ، فيساعد القوي الضعيف بقوته ، والغني يساعد الفقير بغناه ، والعالم يساعد الجاهل بعلمه ، فيكون المجتمع الذي يعم فيه هذا الشعور الإنساني مجتمعاً متكافلاً ، ولا تكون فيه فجوات ، وإن وجدت هذه الفجوات أزالها من عنده فضل من ماله وقوته وعلمه.

إن المجتمع الذي يفقد فيه الدين تأثيره على النفوس هو مجتمع جامح وهائج لا يسير إلا إلى الفساد سواء كان هذا المجتمع مجتمع الإلحاد ، وإنكار الدين وتعاليمه ،أو كان هذا المجتمع منطلقا عن تأثير الدين على الحياة ، لا يبالي فيه أعضاء المجتمع بالتعاليم الدينية والأصول الخلقية ، ولا تراعى فيه الحدود ، وتشتبك في هذا المجتمع المسائل ، وتتصاعد المشاكل ، فإن بحث عن حل لمشكلة كان هذا الحل مؤقتاً ، وأحياناً أدى هذا الحل إلى مشكلة جديدة ، مثل العقاقير السامة التي تعالج أمراضاً وتسبب أمراضاً جديدة.

كان المجتمع قبل الإسلام مثل هذا المجتمع الجامح ، كانت تتصاعد فيه المشاكل الإنسانية ، وكان الإنسان يصطاد الإنسان ، وكانت القوى تتصارع فيما بينها ، وكان الإنسان وقوداً للنيران التي

www.abulhasanalinadwi.org

كان يشعلها الطغاة الماردون.

وقد وصف أحد المؤرخين المجتمع الرومي قبل الإسلام بقوله:

"كان هناك تناقض هائل في الحياة الاجتماعية للبيزنطيين، فبينما كانت الرهبانية شائعة في طول البلاد وعرضها، كان الناس في جانب آخر حريصين أشد الحرص على كل نوع من أنواع اللهو واللعب، والطرب والترف، فقد كانت هناك ميادين رياضية واسعة تسع لجلوس ثمانين ألف شخص، يتفرجون فيها على مصارعات بين الرجال والرجال، وبين الرجال والسباع أحياناً أخرى، وكانوا يقسمون الجماهير في لونين لون أخضر ولون أزرق، وكانوا يحبون الجمال، ويعشقون العنف والهمجية، وكانت ألعابهم دموية ضارية أكثر الأحيان.

وكانت عقوباتهم فظيعة تقشعر منها الجلود، وكانت حياة سادتهم وكبرائهم عبارة عن المجون والترف والمؤامرات والمجاملات الزائدة وللقبائح والعادات السيئة".

ويقول مؤرخ عن الإمبراطورية الإيرانية في العهد القديم:

"انتهكت الأعراض، وعم خلع العذار، ونشأ جيل لا كرامة فيه ولا عمل، ولم يكن له رصيد ولا ماض مجيد، وليس له هم بمصير الشعب، ولا أشفاق عليه، ولا يتصف بكمال ولا مهارة، كانت تسيطر عليهم اللامبالاة، والبطالة، وكانوا بارعين في النميمة والخبث والافتراء والبهتان، وقد اتخذوا ذلك وسيلة لكسب القوت والوصول إلى الثروة والجاه".

إن هذا التصوير للمجتمع القديم هو في الواقع تصوير كل مجتمع يقوم بلا أصول وقواعد خلقية، وكل مجتمع يخلو من تأثير

www.abulhasanalinadwi.org

الدين، ولا يتمسك بالتعاليم الخلقية، وهو المجتمع الجامح الذي لا يأتي إلا بالطغيان، ولا تصلح فيه الحياة، بل يعم الفساد فيه، وتتفاقم فيه المشاكل، فإذا حلت مشكلة نشأت مشكلة جديدة.

وإذا قارننا الوضع الذي تعيش فيه الإنسانية اليوم، وجدنا أن العالم اليوم بحضارته ووسائله وقدراته يتجه إلى الوضع الذي صوره المؤرخون لعهد ما قبل الإسلام، وإن الحرب التي تجري اليوم على من يريد أن يكون للإسلام تأثير على النفوس، وأن تطبق تعاليمه على النفوس، وأن تطبق تعاليمه ومثله وأصوله على الحياة، ستوصل الإنسانية إلى تلك الهاوية التي كانت قائمة قبل الإسلام، وإلى حياة شبه إلى حياة الغاب.

إن الثقافة ليست علوماً وأفكاراً، وإنما هي مناهج الحياة، وسلوكيات الإنسان والفارق الرئيسي بين المثقف وغير المثقف هو أن المثقف له حدود وقواعد مقررة ينطلق منها وغير المثقف هو الذي يركب نفسه ويخلع عذاره ويتبع هواه.

إن الحضارة المعاصرة التي تحارب الدين وأصوله، وتسوق الإنسان إلى اللامبالاة، وإلى انحلال عن كل قيد وتحفظ، وإلى عدم الالتزام بالمبادئ في الحياة هي حضارة تقود الإنسان إلى حياة الغابة، إلى حياة الذئاب، والفئران، والكلاب وإن كانت على أجسادهن ثياب مزركشة، وفي أعناقهن ربطات مذهبة زاهية الألوان، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾[1]

لقد فسد المجتمع الأوربي حقاً فساداً لا حد له، وتفكك لانسلاخه من القيم والمبادئ، ويشعر العلماء والمربون بذلك

---

[1] الأعراف: ١٧٩

www.abulhasanalinadwi.org

الخواء، ويتكهن بعض الفلاسفة أن ذلك المجتمع يسير إلى الفناء، وقد صرح رجاء جارودي وهو خبير الحضارة الغربية، أن طريق الحضارة الغربية مسدود، وهو أمر لا يخفى على أحد، فنسبة الانتحارات والاعتداءات وانتهاك الأعراض، ونسبة الجرائم، ترتفع كل يوم، وليس هذا الارتفاع ظاهرة المدن أو البلدان المتخلفة التي تنتشر فيها الجهالة أو توجد فيها كثافة السكان، وإنما ترتفع وتزداد نسبة الجرائم في موسكو، ونيو يورك وواشنطن، ولندن وباريس، وبرلين، وفي مدن إيطاليا، وأسبانيا، واليونان، حيث يغلق الناس أبواب بيوتهم قبل المساء، ويخاف المارة أن يعتدي عليهم أحد، وبتأثير هذه المدن والمجرمين الذين ينشأون فيها تفسد الأوضاع في الدول المتخلفة أيضاً حيث كان الناس متمسكين بالقيم الروحية، لأن العصابات الإجرامية في هذه الدول تصدر الأسلحة، وتربى الأبرياء على ارتكاب الجرائم، ولأن إعلام الدول المتقدمة المنحلة خلقياً يغزو العالم الشرقي، ولا يخفى على أحد أن أكبر إرهابي في العالم وهو معروف بإرهابه وذكائه الإرهابي هو أوربي، وليس بشرقي، وأكبر عصابات الإرهاب مصدرها البلدان الأوربية.

أما الحياة الخلقية النبيلة والعلاقات بين الإنسان فهي كعنقاء مغرب، وتعكف أوربا على قلب الأوضاع في سائر أنحاء العالم، فتحارب القيم، وتعقد المؤتمرات والندوات لإشاعة الفحشاء، وتوجه تعليمات إلى الحكام في البلدان الضعيفة التي تعيش على فتات مصانع أوربا، وصدقاتها لتقضي على كل اتجاه لتنظيم الحياة على أساس الأصول والمبادئ، وإذا تحقق هذا المخطط التخريبي

www.abulhasanalinadwi.org

للأخلاق ، فإن العالم سيعود إلى ما كان عليه قبل عهد النور.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

[1] البقرة: ٢٥٧

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثاني

حضارة الغرب حضارة هدم وإرهاب ومنبع حرمان وشقاء

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

أوربا مصدر الإرهاب في العالم [١]

تجري محاربة الإسلام، وتطويق الدعوة الإسلامية بطرق مختلفة في العالم الإسلامي، حسب توجيه الدول الكبرى التي تضغط على الحكومات القائمة في البلدان الإسلامية لاتخاذ إجراءات صارمة لتحديد نشاطات الدعاة إلى الإسلام لكيلا يصبح الإسلام قوة تهدد أو تتصدى للحضارة الأوربية المادية، تختلف هذه الضغوط في طبيعتها باعتبار الظروف وطبيعة الدول الإسلامية، ففي الدول التي عرفت بالانتماء إلى الإسلام لظروف تاريخية وسياسية لا يحارب الإسلام علناً، بل تتخذ سياسة لدعم العمل الإسلامي في الظاهر، ولكن يراقب فيها على الحركات التي تنعش روح الكفاح ضد الحضارة الغربية ومصالح الاستعمار الغربي، وتوجد في المسلمين ذهن مقاومة، والشعور بالذاتية الفكرية، وفي الدول التي لا يتطلب الوضع فيها الارتباط بالإسلام أو إظهار الولاء له، يجري الصراع بين الدعاة، أو المحبين لعودة الإسلام إلى الحياة وتطبيقه، وبين الحكام، ويواجه الإسلاميون ضغوطاً وقيوداً على تحركاتهم وتهماً وحملة كراهية، وتجري حملة علنية ضد الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية، ورجال الدين، والمظاهر الإسلامية، وتشجع الحكومات أصحاب الأقلام

---

[١] نشر في "الرائد" السنة: ٣١، العدد: ٣، أول أغسطس ١٩٨٩م

www.abulhasanalinadwi.org

وحملة الفكر الغربي على نشر أفكارهم ضد التاريخ الإسلامي، والشخصيات الإسلامية، والسلف الصالح.

وقد اتخذ المعادون للإسلام طريقة جديدة لمعاداة الإسلام في العصر الأخير، فقد كانوا في السابق يعادون الإسلام علناً وبصراحة، وكانوا يحاربون كل من يستعمل لفظ الإسلام، أو يدعو إلى الوحدة الإسلامية، أو تطبيق الإسلام ويتهمونه أنه رجعي ومتخلف، ومعاد للحضارة، فكان يستعمل بعض المعادين الاشتراكيين في العهد السابق لفظ العمالة للدول الرأسمالية أو أمريكا بصفة خاصة، لكل من يدعو إلى الجامعة الإسلامية، أو يطالب بتطبيق التعاليم الدينية، فكانوا يتهمونه أنه عميل للاستعمار، أو أمريكا، وقد اتهم الدعاة إلى الجامعة الإسلامية مدة طويلة بأنهم عملاء للاستعمار الأوربي، أو الرأسمالية، أو أمريكا، ولم يكن يخطر ببال هؤلاء البلهاء الذين بهرت عيونهم الاشتراكية أن "أمريكا" و"فرنسا" و"بريطانيا" هم الأعداء التقليديون للإسلام يحملون الحقد، والكراهية للمسلمين أكثر من أي قوة في الأرض، كذلك عداء الاشتراكيين للإسلام والمسلمين عداء متوارث، لأنهم ينتمون إلى القومية الأوربية، والنصرانية، أو اليهودية، فقد قادت الحروب الصليبية الدول التي تأتي اليوم في مقدمة الدول الأوربية الغربية، وفي مقدمتها الإنجليز والفرنسيون والألمان، والإيطاليون، والبرتغاليون، والأسبانيون، وهم الذين سفكوا دماء المسلمين، وهم الذين وضعوا خططاً لتضليل المسلمين واستعمار عقولهم، وأنشأوا مكتبات التضليل والافتراء، والكذب، وحشدوا الأباطيل ضد الإسلام، الأباطيل التي يخجل

www.abulhasanalinadwi.org

أمامها كل ذي عقل وثقافة متوسطة، ولم يحتشموا عن استعمال تعبيرات نابية، لا يستعملها إلا السوقة، واختلقوا قصصاً، وروايات عن نسيج خيالهم تنحط من مستوى الرجل العادي، وطعنوا في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن والسنة، والتاريخ، وهم الذين أثاروا الفتن في الدول الإسلامية، فكيف يمكن إذاً أن تكون الدعوة إلى الإسلام والوحدة الإسلامية دعوة في صالح القوى المعادية للإسلام والمسلمين.

كلام لا يصدر عن عقل، ولا تزال هذه الحملة تجري، رغم أن السحب قد انقشعت كثيراً وغلب العقل السليم، واعترف كثير من العلماء والفلاسفة في الغرب أنهم عند ما درسوا الإسلام دخل الإيمان في قلوبهم، وأنهم كانوا في ضلال قديم، واعترف كثير من المنصفين أن الإسلام عاش مدة طويلة مفترى عليه، ولم يعرض الإسلام الصحيح.

في ذلك العهد الذي كان الإسلام متهماً ولم يكن يسمع شيء في الدفاع عنه، وعاشت أوربا كلها في ظلام وضلال، وإخفاء الحقيقة، كان العمل للإسلام متهماً بالتخلف والرجعية، ولكن الوضع تغير اليوم، فلا يحارب هؤلاء المعادون للإسلام باسم الإسلام، وإنما يحاربونه باسم الإرهاب، والتطرف الديني، وحربهم الجديدة بالاسم الجديدلا تختلف عن حرب الإسلام بالاسم القديم، وسيسقط هذا القناع كما سقطت الأقنعة القديمة.

كانوا يحاربون الإسلام بقولهم إن الإسلام دين السيف، وأثبت التاريخ أن الذين يعادون الإسلام يستخدمون السيف ضد من يختلف معهم أكثر، وأن عدد ضحايا سيفهم في فترة قصيرة

www.abulhasanalinadwi.org

يزيد عن ضحايا سيف الإسلام في ألف سنة.

كانوا يحاربون الإسلام أنه عدو للعلم، وأثبت التاريخ أن الذين يحاربون الإسلام أكثر عداء للعلم، فإنهم عند ما دخلوا في دول غيرهم مستعمرين، وأبادوا جميع مصادر العلم، وحتى اللغة والثقافة، والتقاليد، والعادات لم تنج من حملة تصفيتهم، فأغلقوا المدارس والمكتبات، وفرضوا الرقابة على صدور الكتب، وفرضوا إعلاماً مضللاً، يقوم بالتشويه.

كانوا يحاربون تعدد الزوجات بأنه دليل على غلبة الشهوة الجنسية، لكنهم أشاعوا في عهدهم الفحشاء، والمجون وجعلوا تعدد الحبيبات دليلاً على التقدم الحضاري، والاختلاط في التعليم والرياضة، وفرص العمل، وإقامة علاقات جنسية واسعة النطاق مظهراً من مظاهر الثقافة المعاصرة.

وأمثال هذه الحجج بعداء الإسلام كثيرة، وقد سقطت جميع هذه الحجج، فتركوا معاداة الإسلام باسم الإسلام، واختاروا عنواناً سياسياً منفراً وهو الإرهاب، والتطرف، ولكن إذا درس أحد تاريخ الحضارة الغربية، والنظم المعاصرة التابعة لها وجد أنها تعتمد على الإرهاب، والتطرف اعتماداً كلياً، وجميع مصادر الإرهاب توجد في أوربا، وهي التي تدرب الإرهابيين، وتوزع عليهم الأسلحة، وتمول العصابات الإرهابية، وتدعم نشاطاتها، وتساند حركات الانفصال، والحرب مع النظم القائمة، ولا يخفي ذلك على أي مطلع، على الظروف المعاصرة، ومن يطالع الصحف يعرف تقارير المنظمات الإرهابية العالمية في "إيطاليا" و"فرنسا"، و"ألمانيا"، و"كيوبا"، تمثل دوراً رائداً في تدريب

www.abulhasanalinadwi.org

الإرهابيين، وهم متوغلون في مختلف أنحاء العالم، فإن "مازيني" و"مكيافيل" كانا إيطاليين، ولهما تأثير على الفكر المعاصر، ويرجع الإرهاب في العالم المعاصر إلى أفكارهما، وإن انتشار عصابة مافيا، وقيادتها للإرهاب في العالم اليوم أمر معروف، كذلك الحركات الماسونية مقرها الدول الأوربية، وهي التي تدير الإرهاب في البلدان المختلفة.

وهذه الدول الأوربية هي التي تدعم الصهيونية في أعمالها الإرهابية، وتخالف ضمير العالم كله، وهي التي تساند النظم التي تمارس التمييز العنصري، وتقمع الحريات الأساسية، وهي التي تحارب الدعاة الإسلاميين علناً في بلاد الأغلبية الإسلامية، وليس ذلك إلا ممارسة إرهاب واسع النطاق، وهي التي تهدد المسلمين الذين يسكنون في الدول الأوربية بتهجيرهم ومنعهم من أداء شعائرهم وهو أيضاً نوع من الإرهاب والتزمت.

فأي إرهاب يشكل خطراً للعالم، إرهاب الجماعات الإسلامية المجرد عن جميع الوسائل المحدودة أم إرهاب الدول الأوربية المدعمة بالوسائل الحربية الواسعة؟

إن الذين يدعون إلى الإسلام يدعون إلى المثل العليا، يدعون إلى طرق الخير، والسعادة الحقيقية، يدعون إلى كرامة الإنسان والمساواة، وتحرير الإنسان من العبوديات المادية المختلفة، ويرفعون صوتهم ضد الفساد، والتدمير، وأما الذين يعادونهم فإنهم يدعون إلى الإباحية، والإخلال بالأمن، ويسببون شقاء الإنسان، ويحدثون قلاقل واضطرابات، ويعرضون سلامة الدول والمجتمعات البشرية للخطر، ويخترعون وسائل التدمير، ويتاجرون

www.abulhasanalinadwi.org

ويساومون على شرف الإنسان وكرامته ، ويدعون إلى ثقافة إقليمية ، مادية محدودة ، ويكرهون الأمم الأخرى على الخنوع لهم ، ولهم تاريخ طويل للاستعمار ، وإذلال الأمم ، وهم يسيطرون على اقتصاد الأمم ، ويمنعونها من التقدم والاعتماد على الذات ، فمن هو أخطر للإنسانية ؟.

www.abulhasanalinadwi.org

الحضارة الغربية حضارة بناء وهدم [1]

لقد ازدهرت الإنسانية في ظل الحضارة الحديثة، وارتفع مستواها في جوانب كثيرة، وسعدت الإنسانية بها، وحلت مشاكل كانت تعاني منها منذ قرون طويلة.

فقد فتحت للعقل الأبواب، وتقدم العلم تقدماً هائلاً، واخترعت وسائل تحار حولها العقول، وأضافت الحضارة إلى التراث اليوناني الإسلامي إضافة هائلة، وزادت المعلومات البشرية، فاستطاع الإنسان بهذه المعلومات أن يسيطر سيطرة كبيرة على جزء كبير من الطبيعة، حيثما كان اكتشاف سفينة بخارية ومراكب تجري بالبخار، والبترول اكتشافاً مدهشاً في عصر، اكتشفت الآن مراكب تزيد سرعتها عن الصوت، وتقدمت الحضارة في المواصلات، والاتصالات تقدماً مدهشاً لا يتصور، ورفعت من مستوى رفاهية الإنسان، وهيأت له وسائل الراحة في مأكله ومشربه، ومسكنه، ووقايته، ونوعت رغباته، وملذاته، واخترعت وسائل التسلية والترفيه، وعمت فوائدها، ويسرت تحقيقها، وهيأت فرص إمتاع النفس لعامة الناس و وسائله التي لم تكن ميسرة للأغنياء والأمراء، ولم تضع سياجاً لها أو حدوداً لتمنع من سوء استخدامها.

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٨، العدد: ٢٠، ١٩٩٧م.

www.abulhasanalinadwi.org

رفعت الحضارة الحديثة من قوة الارتباط والوفاق فيتمتع الفرد في المجتمع بشرف وكرامة وطمأنينة، وضمانات في ظل نظم وقوانين لحقوق الإنسان، وأنشأت وكالات تراقب عليها وتنظمها، وتدرس إمكانيات رفعها، وتدين كل مخالفة لها.

رفعت الحضارة الحديثة نسبة التعليم والتربية بشعار محو الأمية، وأوجدت إمكانيات لتخريج نبغاء برفع مستوى التعليم، فوجد بذلك عدد ملحوظ من العلماء والباحثين في كل موضوع من مواضيع العلم في معظم البلدان، كما اعتنت برعاية الصحة العامة بتوفير تسهيلات للطب، ومواصلة البحث الطبي التجريبي الذي كان محدوداً في السابق، كما رفعت الحضارة المعاصرة مستوى إنتاج الطاقة واستعمالها في أغراض نفع الإنسان، واستخدمت هذه الطاقة في البحوث الطبية والزراعية، والصناعية، وازدادت بها الإنتاجية العامة، ولا شك أنها جوانب النفع في الحضارة المعاصرة ومكاسبها وتستحق أن يشاد بها، ولكن ظهر نقص الحضارة المعاصرة في مجالات كثيرة.

فإن الحضارة الغربية المعاصرة رغم دعواها بانفصالها عن المدرسة اليونانية القديمة لا تزال تحتفظ بكثير من الأفكار و المبادئ اليونانية القديمة، إنها احتفظت بتصور تفوق الجنس الأبيض، وحب الغلبة والاستمتاع في الحياة، والاهتمام الزائد بالتسلية والمتعة، ورغم الثورة على المذهب الأرسطي يحاول كل كاتب ومفكر أن يصل إلى أرسطو في فكره، ويجعله منطلق الأفكار الحديثة في الاجتماع، والنفس، والتربية، والأخلاق، كذلك ارتباط الحضارة الغربية المعاصرة بالمسيحية ارتباط نفسي،

www.abulhasanalinadwi.org

واجتماعي، وشعوري غير منفصل رغم الدعوى بالعلمانية والثورة على الدين، وقد ظهرت هذه الجوانب للانحياز خلال سيادة الحضارة الأوربية على العالم، فاتضح اهتمام الدول الأوربية المعاصرة بنشر الدين المسيحي في العالم، ونفقاتها الباهضة على الشبكات الإرسالية، وحرصها على تحويل مناطق شائعة في إفريقيا وآسيا إلى المسيحية، وهي لا تزال تحمل مرارة الحروب الصليبية وتحركها عواطف الانتقام من غير المسيحيين، والتي تظهر خلال سلوكها مع الدول الإسلامية وتوجيه الضغط على الدول الإسلامية لضرب الحركات الإسلامية، ومنعها من تطبيق الشريعة، وانفعالها الزائد إذا حدث أي اعتداء على حقوق المسيحيين في بلاد المسلمين، وبهذه الاعتبارات لم تعد الحضارة الأوربية علمانية ولا علمية كاملة.

ومن المفارقات الأخرى أن الدول الأوربية التي نشأت فيها مذاهب وأفكار لحقوق الفرد والجماعة، وحقوق الإنسان، ونزعات لمكافحة جميع أنواع الكبت والقمع، ودفع الإنسان إلى دوافعه وغرائزه، وتحقيق مآربه، تسلك سياسة القمع والكبت، والاستعباد مع الشعوب التي تخضع لها، وتصر على فرض ثقافتها عليها، وقد استعمرت معظم أنحاء العالم التي كانت تعاني الفقر والجهل مدة طويلة، وقامت بتغيير طبائعها وتزوير تاريخها، ومحو خصائصها القومية، ولا تزال هذه الدول تساند النظم المستبدة التي لا تتمتع بتأييد شعوبها، فتحميها وتدعمها.

ومن المفارقات للحضارة المعاصرة، إنها رغم حبها للعلم، ونشره، وحرية الرأي، وخدمة التراث العلمي والفني، تعامل علوم

www.abulhasanalinadwi.org

الأمم الأخرى، وفنونها وتراثها معاملة استعمارية حاقدة، فتقوم بالتعكير والتزوير فيها كما فعل المستشرقون، وعلماء الغرب الذين بذلوا مجهودات جبارة للقضاء على اللغات والآداب العالمية، أو للتدسيس فيها، وأرادوا فرض الخط اللاتيني، وإبادة الخطوط القومية، وقطع صلة الشعوب المستضعفة عن ماضيها الحضاري، فتحققت في عهد غلبة هذه الحضارة إبادة الجنسيات، وإبادة العلوم من الآداب واللغات في كثير من أنحاء العالم، وروجت الدول الأوربية بنشر حضارتها أسطورة تفوق الجنس الأبيض على سائر الأجناس، واتضح ذلك التميز في كثير من مناسبات الإغاثة والنجدة من الوكالات العالمية، وأكبر دليل حي على ذلك ممارسة سياسة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا، وروديشيا قديماً، وأمريكا أخيراً، كل ذلك وأمثال ذلك كثيرة يدل على الازدواجية في الحضارة الأوربية أي مقاييس للداخل، ومقاييس للخارج، أو مقاييس لطبقة، ومقاييس أخرى لطبقة أخرى.

لقد ظهرت هذه الازدواجية في عهد الاستعمار وبعد انحسار الاستعمار، فقامت أوربا بالبناء من جهة وبالهدم من جهة أخرى، وبالتحقيق والبحث من جهة، وبإبادة ثمار التحقيق والبحث من جهة أخرى، وبرفع مستوى المعيشة من جهة، وبإحداث المعاناة والمقاساة من جهة أخرى، وسياسة الاستغلال والسعي وراء النفع المادي، فقد مات ملايين من الناس في إفريقيا رغم التضخم الغذائي في أوربا وإبادة كميات هائلة من الغذاء وإلقاؤها في البحر، إنها حلت مشاكل الحياة، والصراعات، وخلقت مشاكل وصراعات تسفك فيها دماء الناس.

www.abulhasanalinadwi.org

حضارة الإرهاب والاستغلال [1]

كان تقدم العالم اليوم في العلم والتكنولوجيا تقدماً لم يكن يقدر إنسان العالم الغابر أن يتصور، فضلاً أن يتصور أبعاده، فما يشاهده الإنسان العادي اليوم، من مرافق الحياة، ومتعها، لم يكن يتخيله الحكام والملوك في السابق.

وقد تحقق تضييق نطاق الجهل والفقر، وتوسيع آفاق العلم، وتكديس وسائل الراحة، واخترعت وسائل العلاج لأمراض فتاكة كانت تقتل الملايين في الماضي، وكانت ترادف الموت، فأصبحت قابلة للعلاج، وانتصر العلم في المواصلات والاتصالات انتصاراً عظيماً أمكن التغلب به على مشكلة المسافة، والمساحة، فتطوى الأرض وتلف بالأقمار الصناعية، ووسائل السفر السريعة، قاطعة الصوت، فلم يعد شيء في الخفاء أو بعيد المنال، فتحقق بذلك ما كان خيالاً شعرياً رائعاً، يطير الإنسان في الفضاء ويسبح في الهواء والماء، ويصل إلى أعماق البحر، وينقل الجبال، ويحول الصحراء إلى مزارع وبساتين.

إنه حقاً تقدم العلم والعقل، ولكن الإنسان رغم هذا التقدم لا ينتهي شقاؤه، وعنته، سواء كان في الدول الفقيرة المتخلفة، أم كان في الدول الراقية، لأن هذا العلم والوسائل

---

[1] نشر في الرائد، السنة: ٣١، العدد: ٢٠، ١٦/أبريل ١٩٩٠م

www.abulhasanalinadwi.org

عززت قدراته وخبراته البهيمية التي أقر بها العالم المعاصر، ومنحها مكانة لائقة في الدراسة والعمل، إن الاستغلال والإرهاب، والاستبداد وأعمال القهر، والقمع، والمطامع الفردية، والجماعية، والتضليل، وقلب الحقائق، يسبب شقاء الإنسان المستمر مستمداً قوته من العلم فتوسعت آفاقه، وأحجامه، وأبعاده بمدى تقدم العلم.

اخترع العلم وسائل الراحة، ولكنه اخترع وسائل التعذيب أيضاً فإذا كانت تتوفر في الأسواق وسائل كمالية متنوعة دقيقة للغاية يتناولها كل من يستطيعها بماله، تتوفر في السجون في الدول الراقية، وهي عامرة في كل بلد، كما تعمر دور السينما والمسارح، آلات للتعذيب، ووسائله، مما لم يكن يتصوره إنسان العهد الغابر، واستبداد لم يكن يتصوره مستبد في الماضي.

إن المؤرخين اليوم يصورون استبداد القرون الوسطى، وقهر الشعوب، وقمع الحريات فيها ويسردون قصص ظلم الحكام الذين كان أصلهم قبلياً كالمغول، والبربر، ولكن هل كان أحد الملوك المغول يتصور ما فعله النازيون، وما يفعله الصهاينة، وما فعلته أمريكا في فيتنام، وما فعلته روسيا في أفغانستان، وفي الجمهوريات الإسلامية في بلادها من تشريد واضطهاد، وقمع للحريات، وهل كان هؤلاء الحكام السابقون يتصورون ما يمارس من وسائل الوحشية والبربرية في السجون المعاصرة التي يفضل الإنسان الموت عليها.

لقد أصبح التعذيب تسلية الحكام المعاصرين، فانتشرت ممارسته في سائر أنحاء العالم، يجري تطبيقها على

www.abulhasanalinadwi.org

السياسيين، والعلماء المعارضين، والأدباء والشعراء، والدعاة، أما المجرمون فهم في رعاية وحماية، ويتمتعون بكل حرية، ويعيشون عيشة رخية، ومنهم قطاع الطريق، والقتلة، ومنتهكو الحرمات، وإذا نقلوا لمصلحة إلى السجون توفر لهم وسائل الراحة.

أليس من السخرية، أن تدرس وسائل توفير الراحة في السجون للمجرمين الخلقيين، والسفاكين للدماء، ومهدرين لكرامة الإنسان، وفي الوقت نفسه تخترع آلات، وتدرس وسائل لتعذيب المثقفين، والدعاة إلى الخير، وأصحاب الكفاءات العالية، والضعفاء والشيوخ باسم مسايرة العصر، والتقدم الحضاري، والانتفاع بمعطيات الحضارة الغربية وبتعليمات من السادة في الغرب.

أما الإرهاب فهو ظاهرة متفشية اليوم، توجد له مدارس ومعسكرات التدريب، كما توجد معسكرات للتعذيب، وتوجد وكالات ومؤسسات لتدريب من يحمل ميول الإرهاب، ثم تنقل خدمات من يحملون خبرة إرهابية، إلى من يحتاج إليها، لتحقيق أهدافه، بغض النظر عن طبيعة هذه الأهداف.

وهناك منظمات لتوفير خدمات المرتزقة لإحداث قلاقل في أي بلد، أو لقتل أي شخصية كبيرة، أو صغيرة، وتحدث كثير من هذه الحوادث، حوادث القتل، إحداث الفتنة، إحداث أزمة في قطاع عن طريق هذه الوكالات الأجنبية ومعظمها في الدول الأوربية، الشرقية والغربية، وفي مقدمتها "الولايات المتحدة" و"المملكة المتحدة"، و"روسيا"، و"ألمانيا" وتقوم هذه الوكالات بتربية المجرمين في كل بلد، وتنقل إليهم الخبرة العلمية والفنية

www.abulhasanalinadwi.org

والتكنية في مجال الإرهاب، وتنقل إليهم وسائل كفيلة بالإرهاب، كأسلحة حديثة تلائم طبيعة العمل، وبذلك فإنها تسيطر على العالم كله لأنها تستطيع أن تحدث في أي بلد في أي وقت فتنة أو أزمة تهز كيان الدولة، ويعيش الزعماء والقادة في العالم بنشاطات هذه المنظمات وعملائها، تحت ضغط نفسي دائم.

وتختلف وسائل الإرهاب باختلاف الظروف، فهناك إرهاب يقوم باغتيال الشخصيات التي لا تخدم مصالح الدول الأوربية، وإرهاب يقوم بإحداث القلاقل لفرض الضغط على القيادات، وإرهاب يقوم بإحداث الفتن، ودعم الحركات الانفصالية لتشتيت شمل البلاد، وإرهاب حكومي سافر لفرض ضغوط اقتصادية وعسكرية، لإجبار هذه الدول على تغيير سياستها، وإرهاب يقوم بإثارة الشحناء وإحياء القضايا الدفينة لتوريط هذه الدول في الحروب، وقد شهدت ذلك منظمة الشرق الأوسط في أبشع مظاهره، وتكبدت خسائر جسيمة في الأرواح، والممتلكات.

هذه مظاهر سافرة لشقاء الإنسان اليوم، فإذا كان كل بلد يقوم بهذه النشاطات بأسماء مختلفة، فإن سكان جميع البلدان معرضون لهذا الشقاء، فلا يسعد إلا شقي ولا يشقى إلا سعيد، وقد زاد من خطورة هذا الوضع الذي يهدد مصير الإنسان السعيد، أن تولى الحكم في عدد من البلدان من نشأ في البيئات الإجرامية، فلا يعرف رحمة ولا هوادة، ولا رأفة، بل يجد لذة في إهدار كرامة الإنسان، وتعرف شعوبهم أنهم مجرمون، سجلت ضدهم قضايا، ثم وجدوا رعاية لجرائمهم أو أنهم ممثلون

www.abulhasanalinadwi.org

مسرحيون لا يعرفون إلا الحركات البهلوانية فلا تصدر منهم أعمال إلا ما يضحك المتفرجين.

وعلاوة على هذه الظواهر، هناك أدوية، وأغذية، لا تشفي ولا تنعش كما يرجى منها، بل تحدث أمراضاً، وتسمم الأذهان والأجسام، فتحدث أمراضاً جديدة، تفتك بالإنسان، وغازات تلوث الفضاء، يختنق فيه الإنسان، ومما يدل على ذلك قرار الحكومة الأمريكية بالسماح بتصدير الأدوية التي ثبت أنها تضر بصحة الإنسان إلى الخارج في الوقت الذي يبقى الخطر عليها في الداخل.

وأكثر هذه الوسائل سبباً لشقاء الإنسان الإعلام الذي يعمل تحت ضغوط منظمات الإرهاب، أو الحكومات المستبدة التي تجعل الإجرام وسيلة للمتعة، فتنقل وسائل الإعلام أحدث ما يرتكب من جرائم في الدول الراقية، لتربية الشباب على هذه الجرائم، وقد ثبت بتحقيق وكالات حرة عن الجرائم أنها تنبعث من مشاهدة الأفلام والتلفزيون، والفيديو، والقصص، والروايات الإجرامية، وأكثر هذه الأفلام مخربة للذهن هي الأفلام الأمريكية، و يتجرع المجتمع الأمريكي نفسه مرارة هذه الأفلام.

وتروج هذه الأفلام، وتعمم الأجهزة السمعية والبصرية لمشاهدتها كأنها خدمة كبرى من نشر العلم والثقافة، وتحرص الحكومات عليها أكثر في حرصها على الخبز للجائع، والقماش للعاري، والمأوى للمشرد.

هكذا ينشأ المجتمع الإنساني اليوم في ظل الحضارة الغربية، في شقاء دائم من حالة نفسية مربكة، فتتزاحم الفتن

www.abulhasanalinadwi.org

والقلاقل في العالم، وتنتشر الحروب، وأعمال القتل، فما مصدر هذا الشقاء إلا الغرب، فلذلك يصدق من قال: إذا نشأت حرب بين الحيتان في البحر، فاعلم أن هذه الحرب جرت بإيعاز الإنجليز أو نتيجة لعمل قاموا به، وقد كان الإنجليز رمزاً للأوربي، لأنهم احتلوا بلاد المسلمين، واليوم وصل الإنجليز إلى آخر أدوار الشيخوخة، ولكنهم يولون زمام إحداث القلاقل تلاميذهم وأشقاءهم الصغار.

لقد شقي العالم في ظل الحضارة الغربية أكثر مما سعد بتقدم العلم، ويزداد شقاؤه، وإذا استمر هذا الوضع فإن الإنسانية كلها تحول إلى اللاجئين، أو يقتل بعضهم بعضاً.

www.abulhasanalinadwi.org

حضارة الثنوية والازدواجية [1]

الثنوية والازدواجية ظاهرة من ظواهر الحضارة المعاصرة، أو النظم والفلسفات التي تسود العالم اليوم، وهي شائعة ملحوظة لا تحتاج إلى دراسة عميقة ولا إلى بحث دقيق، ولا تنقيب، بل تلاحظ سطحياً، وتبرز في كل تصرف وسلوك للزعماء، وتشكل عنصراً مهماً لسياسة كل بلد.

تلاحظ هذه الثنوية، في موقف الفكر المعاصر إزاء الدين، والاقتصاد، والاجتماع، والسياسة، والإعلام، وفي تفسير الحرية وتطبيقها، والأمن الخارجي، وفي كل مجال له صلة بالحياة العامة.

ولهذا التناقض أمثلة شائعة فمثلاً، يطالب الاشتراكيون بحرية العمل، وحرية العمال، وضمان حقوقهم، في بلاد لم تذق الاشتراكية، البلاد التي يعتبرونها برجوازية، فيثيرون العمال على المطالبة بحقوق عن طريق تشكيل اتحادات، ونقابات، ولكنهم في بلاد يحكمونها يخدعون هؤلاء العمال بأنهم هم الحكام فلا مبرر لإضرابهم أو تشكيل نقاباتهم، والمطالبة بحقوقهم الإضافية، ويفرضون عليهم ظروفاً، وأجوراً للعمل، سواء رضوا بها أم لم يرضوا، وتدل الأحداث الجارية في بولندا على هذه الثنوية.

وكذلك موقفهم إزاء الحريات السياسية، فإذا استولوا على

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٢٦، العددان: ٣-٤، ١-١٦/أغسطس ١٩٨٤م.

www.abulhasanalinadwi.org

بلد فرضوا عليه الحصار الحديدي ، وقاموا بتكميم الأفواه ، وأمموا كل قطاع ، وجعلوا الصحافة والإذاعة تابعة للدولة ، بل تابعة للطغمة الحاكمة ، ترى بعين الحكام وتسمع بآذانهم ، وأحدث مثال لذلك أن روسيا قد قاطعت الألعاب الأولمبية ، فقاطعت أخبارها فلم يعلم الشعب السوفيتي متى بدأت الألعاب الأولمبية ، وتصور وسائل الإعلام السوفيتية أن الإنسان من الدول الرأسمالية في شقاء وحرمان ، فيعتبر العامل الذي يسد رمقه بصعوبة في الاتحاد السوفيتي أنه يعيش في جنة.

كان برزنيف يعيش حياة المترفين المتنعمين ، في قصور وجنات ، يعيش حياة لا يعيشها الملوك ورؤساء الدول الرأسمالية وكان عاملاً ، زعيم العمال وكان الشعب السوفيتي يعتبره زاهداً متقشفاً.

كذلك موقف الشيوعيين إزاء الدين ، موقف غريب متناقض ، فإنهم يخرجون الناس من تقديس أمجادهم واتباع عقائدهم ، ويرغمونهم على التخلي عن العادات والتقاليد والقيم ، ويفرضون عليهم عقيدتهم الإلحادية ، وأفكارهم التي نشأت في ظروف طارئة لا قرار لها ، فيصبح زعيم الاشتراكية أكثر قداسة وتبجيلاً "من اليابان" أو أي زعيم ديني في العالم .

أما حرية التعبير فهي الضحية الكبيرة في المعسكر الاشتراكي ، لأن كل ما تفعله الطغمة الحاكمة يكون دائماً في صالح الشعب ولا يمكن أن يعترض عليه ، حتى كبار المثقفين والقادة ، وإذا تجرأ أحد على إبداء رأي معارض لمصلحة الطغمة الحاكمة فلا يعرف مصيره ، بل يحول إلى الجحيم.

www.abulhasanalinadwi.org

وأحدث مثال على هذا الموقف المتناقض ما يفعله الاتحاد السوفيتي بالأديب العالمي الشهير سخاروف، فإن مصيره غير معلوم منذ أن تفوه ببضع كلمات عن تدخل الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، وأعرب عن رغبته في السلام فجرد عن مناصبه وأوسمته.

وأرسل إلى مكان لا يعرفه حتى زوجته، فتفيد الأخبار بأنه على قيد الحياة، لكنه يعيش كعامل في مصنع، وأخبار أخرى تفيد أنه من المعتقلين، والأخبار الأخرى تقول إنه أضرب عن الطعام، ويواجه الموت، ولم يسمح له بالسفر إلى الخارج، ولا لزوجته، فيتجرع مرارة الحياة الاشتراكية.

هذه بعض الأمثلة البارزة أما ما تفعله الحضارة الغربية في العالم المعاصر بشقيها الشرقي والغربي من تدخل، وقمع الحريات، وإثارة الفتن، وتكديس وسائل التدمير، والإفساد، وأعمال التشويه، فهي أيضاً لا تخفى على من له أدنى إلمام بالظروف السائدة في العالم، فإن معظم مشاكل العصر ناتجة عن هذا الموقف وأدهى وأمر أن هؤلاء القادة الشيوخ قد أنجبوا جيلاً في تلاميذهم وعملائهم الذين يسعون إلى أن يسبقوا أساتذتهم في الإفساد في الأرض، وفي الجدل والدجل، ولا تقتصر هذه الازدواجية في المعسكر الاشتراكي، وإنما هي طبيعة الحضارة المعاصرة فهي ملموسة كذلك في المعسكر الغربي.

www.abulhasanalinadwi.org

واقع الإنسانية لم يتغير رغم تقدم الحضارة[1]

من الآراء الكاسحة التي روجها الكتاب الغربيون، واستساغتها عقول المتغربين في العالم الإسلامي، رأي يقول بأن القرون الوسطى كانت قرون الاستبداد، وقهر الحريات، وسفك الدماء، والجهل المتفشي والصراع، ويطبق هذا الرأي على بلاد المسلمين، والمسلمين عامة، ويخضع لهذا الرأي الكاسح جميع حملة الأقلام، ومنهم الإسلاميون الذين يصورون ذلك العهد بالجمود، والتصلب في الرأي، والانزواء في العلماء، ورجال الدين، والظلم والاستبداد، وقهر الشعوب في الحكام والملوك.

لا شك أن العصر الماضي كان عصر الحكم الفردي، ولم تكن فيه فرص كسب المال وتحسين المستوى متاحة لكل شخص، كما تتاح اليوم لانتشار مراكز العلم، ووسائل الإعلام، ومؤسسات التمويل، والمعامل، وشيوع الخبرة العلمية والفنية، وغلبة طبيعة التبادل في العلم، والاقتصاد.

ولكن رغم انتشار هذه الفرص، وقيام نظم تدعي بالاشتراكية والديمقراطية والمساواة والحرية، لو استعرض محلل وباحث العالم المعاصر بدون تحيز وجد أن كل ما كان يوصف به

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٢، العددان: ١٣-١٤ ، ١-١٦/يناير ١٩٩١م

www.abulhasanalinadwi.org

العصر الماضي، يوجد اليوم بشكل أو آخر، إلا أنه يوجد بمظهر جديد وبعنوان جديد، وتحدث وقائعه باستمرار في مناطق مختلفة وبنطاق أوسع وأقسى.

ولمعرفة حقيقة الحرية، والمساواة، وكرامة الإنسان، تكفي دراسة تقارير منظمة العفو الدولية، التي تقتني من واقع العالم المعاصر، أحداث الاستبداد والقهر، والتدخل، والحرمان، والقسوة التي يعامل بها شعب من الشعوب وجالية من الجاليات، لاختلاف في العقيدة، ولاختلاف في منهج الحياة، ولاختلاف في الفكر السياسي، وهو شائع في جميع أنحاء العالم غربيه وشرقيه، فالحروب مثلاً وسفك الدماء، وإجراءات القسوة، أصبحت ظاهرة متفشية للعالم المعاصر، تنغمس فيها الحكومات الكبرى والصغرى، فتدفق سيول النازحين واللاجئين من بلد إلى بلد، ويخرج أصحاب الكفاءات والصلاحيات والعقول النابغة من بلد إلى بلد بحثاً عن اللجوء السياسي، وفيهم أدباء، وساسة، ومفكرون وصناعيون، ووزراء سابقون، كما تتوجه جيوش مجهزة بالأسلحة الفتاكة والمواد الكيماوية المدمرة لقهر الشعوب، وهي أيضاً ظاهرة من الظواهر الاجتماعية للعالم المعاصر، ويصادفها كل من له إلمام بأخبار العالم.

كذلك المؤامرات والدسائس لقلب نظم الحكم، وحملة الكراهية والاغتيالات السياسية، شائعة اليوم بحجم لا يوجد له نظير في تاريخ العهود المتوسطة فتتأرجح بها كفة الميزان، وتتغير الوجوه، والأعلام، والسياسة، يكثر وقوع مثل هذا الانقلاب في بلدان لا يتمكن زعماؤها من إعداد دستور، أو سياسة معينة،

www.abulhasanalinadwi.org

فتظهر أيد أخرى تلغي ما فعله الأوائل، وتصب عليهم اللعنات، وتوجه البلاد إلى جهة جديدة، وتخرج رجالاً من الزنزانات وتزج بآخرين إليها.

كانت الحروب والغارات تقوم في العهود السابقة ولكن الهجوم على مخيمات اللاجئين، وقتل النائمين المسالمين في بيوتهم، وقتل الأولاد، والأطفال، حتى الجنين، بمآت وألوف، وإحراق المعامل، والمصانع، والمعابد، والمساجد، وإهانة المقدسات وحرمان طوائف عن العمل وكسب العلم والمعرفة وكسب المال لاختلاف في العقيدة، والفكر، والتمييز على أساس العنصر واللون، لم يكن شائعاً بهذا النطاق الواسع الذي يشيع به اليوم، حيث تؤمن به وتمارسه حكومات متقدمة راقية، تدعي بالحرية والمساواة، وتلقي نظرة احتقار على العهد القديم.

إن واقع العالم المعاصر، واقع مؤلم للغاية، مهما ادعى أصحاب العقول التابعة للغرب بتقدم وحضارة، فإن التمييز العنصري شائع في أمريكا، وأوربا، وفي إفريقيا يمارسه البيض المتحضرون، بمساعدة الدول المتحضرة، وأن القضية الدينية شائعة في سائر البلدان الأوربية، التي استعمرت البلدان الإسلامية، فشوهت وجهها، وطمست معالمها، وأن الحروب وسفك الدماء يجري بتأييد الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، فقد انغمست أمريكا في أسوأ مسرحية دامية في "فيتنام"، و"هيروشيما"، و"ناجاساكي"، و"لبنان"، وما فعلت روسيا في أفغانستان، وحاولت أن تستعبد شعباً كاملاً وما مارسته الحكومات التي تستظل بظلها من وسائل قمع وكبت ولا يزال العالم المعاصر على

www.abulhasanalinadwi.org

فوهة بركان لسياسات طائشة لبعض الحكام.

هذه أمثلة شائعة، أما ما يجري تحت الستار وتخفيه وسائل الإعلام فهو أيضاً يبلغ من الضخامة ما لا تبلغه وقائع العالم الماضي، ولكن تمجيد الحضارة المعاصرة رغم الحروب، رغم قتل الحرمات، رغم فرض نظم لا ترغب فيها الشعوب، رغم إبادة ملايين من الأبرياء، ورغم تفشي الخلاعة والمجون والانحلال الخلقي، ورغم تفشي الفقر في مساحات شائعة من الدول التي يحكمها أذناب الغرب بنظم غربية، يستمر في كل مكان ولدى كل شعب، لأن صلاحية التمييز بين الخير والشر، والتفكير الحر قد تلاشت، ووضعت غشاوة على العقول.

www.abulhasanalinadwi.org

١ القلق النفسي

القلق النفسي أصبح ظاهرة عامة في هذا العصر، عصر الكشوف والدراسات، والتجارب، والتحليل، والتنافس، والتزاحم، عصر المطالب النامية والدوافع إلى حياة أفضل، وكسب مزيد من التفوق والسبق، ليس في ميدان واحد، بل في ميادين كثيرة في وقت واحد، وصار الإنسان لا يكبح جماحه ولا يشبعه ويروى غلته شيء مهما كسب من سمعة، ومهما قهر من عدو، وبسط أمره على غيره، فيظل دائماً متعطشاً نهماً يعاني من الشعور بالنقص - لا نقول مركب النقص لأن طبيعة الإنسان اليوم أنه يشعر بالتفوق الذاتي والكمال الذاتي في الصفات والشمائل، ويشعر بالنقص في المادة في آن واحد.

وكل ما نشاهده في العالم من حروب، ومشاحنات، ومن حركة وضجة، ينبع من هذه الظاهرة، فيعاني الإنسان من شعور التضايق، والخناق في كل بيئة ومحيط، بقدر التقدم في المدنية والحضارة، وبقدر الدراسة، وكسب العلم، وبقدر استيلائه على المواهب الطبيعية، والمادية، وبقدر دعاويه الباطلة والحقيقية.

وقد زاد هذا التضايق بالتلوث الفضائي، والبحري، والجوي، وبالتلوث الفكري والعقلي، فيحتاج إلى وسائل للهدوء

نشر في "الرائد" السنة: ٢٨، العدد: ٧ أول أكتوبر ١٩٨٦م

www.abulhasanalinadwi.org

الفكري وتطهير البيئة ، وتصفية الجو ، أما التلوث فيزداد ، والمضايقة ، والاختناق ، فيستمران بإطراد ، لتضارب النظرات والفلسفات وتزاحم بعضها للآخر ، ولتعكير الحياة الصناعية.

وقد كثرت حوادث هذا القلق الذي ينشأ من جماح الإنسان وتلوثه ، وتلقيح الأفكار المتعارضة ، وغلبة المادية الجامحة ، وتضاؤل روح التسامح والاقتناع في البلدان المتحضرة ، بحيث صار ذلك مسألة تشغل بال المفكرين وعلماء النفس ، والاجتماع ، والسياسة.

صار القلق النفسي مرضاً نفسياً نتيجة للصراع الفكري ، وللظواهر الاجتماعية المزاحمة ، لأن الحضارة الحاضرة كانت باعثاً على زيادة طموح الإنسان في حياته ، وحمله على كسب مزيد مما يتمتع به من رفاهية ، أو سيادة ، أو نفوذ ، أو قدرة ، بدون أن يكون هناك رادع أو توجيه خلقي ، فيزداد في الإنسان الجشع والنهامة ويكدس لنفسه ما استطاع إليه سبيلاً ، وإن كان على حساب غيره من بني جلدته.

إن هذا التهور والجماح في طبيعة الإنسان المثقف اليوم الذي ترك الحبل على غاربه بعد أن انسلخ من تعاليم الأديان ، ومثل الأخلاق ، وطغت عليه المادة ، والنفعية الذاتية ، خطر كبير للأجيال القادمة ، وقد زادت الموازين الجديدة للعلم والثقافة هذا الجموح ، وزادت من القلق النفسي للإنسان نتيجة له ، بالإضافة إلى ما يعاني الإنسان من أمراض طبيعية معقدة ، نتيجة للتلوث الصناعي ، وزحمة الحياة ، والإرهاق في المعيشة.

وأكثر البلدان تعرضا لهذه الظاهرة ، والقلق الصحي ،

www.abulhasanalinadwi.org

والقلق النفسي، هي البلدان المتقدمة المتحضرة، حيث تمت ميكنة الحياة، وهي التي تشعر الآن بضرورة الهدوء النفسي.

كان هذا القلق النفسي هو الدافع الكبير إلى نزح عدد كبير من سكان المدن المتحضرة إلى أماكن يستريحون فيها، وإلى اكتشاف وتهيئة فرص للانسجام، فتوجه أفواج من الباحثين عن الراحة والطمأنينة، إلى دول الشرق، فراراً من ضوضاء المدن، وضجيجها، وتعب الحياة، وذلك هو الدافع وراء الشباب الذين يحومون في البلاد الشرقية في البحث عن الحرية وهدوء الفكر، وقد استغل هذه الظاهرة عدد من اليوغيين الهنود، وجذبوا إلى مذهبهم، وطرق تربيتهم عدداً كبيراً من الشباب في الغرب الباحثين عن هدوء النفس، وفتحوا في الهند مراكز تربية في مختلف المناطق، يحضرها ألوف من الشباب الغربيين، ويقضون فيها مدة على طريقة النساك الهنود، ويرتدون أزياءهم الخاصة ويقاسون خشونة العيش، ويقومون برياضات وتمرينات شاقة يتجردون عن سائر مستلزمات المدنية الحاضرة.

تقدم الإنسان في الثقافة والمعيشة في كثير من العهود السابقة في التاريخ، وأدى التقدم في العلم والاجتماع والمدنية إلى مسائل للإنسان، فقامت الأديان والفلسفات والمذاهب الأخلاقية بدورها في ردع هذه الأخطار، ومنع الإنسان من أن تجره الحضارة إلى حافة الانحلال والذوبان.

وقد قام الإسلام بدوره عندما كانت الحضارة الفارسية والحضارة الرومية قد وصلتا إلى هذه النقطة من شقاء الإنسان بسبب طموحه، وجماحه، وانغماسه، في إشباع نفسه، فأخذ

www.abulhasanalinadwi.org

بحجزه وقد أشار القرآن الكريم إلى فقدان الرادع الخلقي:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾.[1]

لقد حلت الإمبراطوريتان الشيوعية المادية والصليبية الغربية، محل الإمبراطوريتين الفارسية والرومية المتناحرتين اللتين اقتسمتا العالم، وتطحنان الإنسان اليوم، ويشقى الإنسان في كل مكان بجراء الحضارة المادية وللنظم المادية، ويرزح تحت وطأة الفكر المادي الجامح، وتحدق به الأخطار من كل جانب، فما أحوجنا اليوم إلى نظام الإسلام ومثله الخلقية والروحية، وتعاليمه السمحة وتطبيقها على الحياة، لننقذ أنفسنا ونهدي غيرنا إلى سعادة الحضارة ونخرجه من ضيق الدنيا إلى سعتها.

[1] آل عمران الآية: ١٠٣

www.abulhasanalinadwi.org

السلوك الإنساني في تدهور والحضارة في تقدم[1]

انبثقت الدعوة إلى حرية الإنسان في العصر الحاضر من الدول الأوربية ، وأبرمت فيها معاهدات عديدة للحرية الشخصية وحقوق المواطنة المساوية ، ولكن التميز على أساس القومية والثقافة والدين لا يزال يمارس في كثير من الدول ، وتستخدم أقسى الوسائل لقمع الحريات ، ويتعرض المعارضون لفكر القادة السياسيين وسياستهم لأشنع وسائل التعذيب.

ومهما قيل في تقدم الإنسان نظرياً وفكرياً أو دستورياً ، فإن الإنسان في واقع حياته يعيش تحت ضغوط وممارسات وسلوك ، كما كان يعيش في العهود السابقة ، وإذا بحث أحد عن قطعة أرض يعيش فيها بحرية وشرف ، كما تخيله أصحاب الفكر في العصر الحديث ، ولا تفرض عليه الضغوط ، ولا يواجه فيها إكراهاً ، كانت هذه الأمنية خيالاً شعرياً رائعاً بعيداً عن الواقع ، ويدل على ذلك ملايين الملايين من اللاجئين المشردين من أوطانهم والمعذبين في السجون رجالاً ونساء وأطفالاً لاختلافهم مع الحكام.

لقد واجه الإنسان المعاصر استبداداً وتعذيباً وتنكيلاً في النظم المعاصرة التي تدعي بالحرية والمساواة ما لم يكن في خيال

---

[1] نشر في "الرائد" السنة : ٣٤ ، العدد : ٣ ، ١٩٩٢م

www.abulhasanalinadwi.org

أحد في العصر الماضي، ويجري هذا التعذيب بأسماء مختلفة، وأشكال مختلفة في الدول المتحضرة، وتتولى منظمات فيها التدريب على التعذيب والتنكيل، واخترعت وسائل وآلات لتعذيب الإنسان، ولا تستخدم هذه الآلات لتعذيب قطاع الطريق والقتلة، وإنما تستخدم لتعذيب المفكرين والعلماء والصالحين والشيوخ والمسنين والأطفال.

تدهور في هذا العصر السلوك الإنساني تدهوراً مخجلاً، فقد كان أحد ملوك العرب في الجاهلية أحرق بعض الناس أحياء، فخلد اسمه في التاريخ، ولصق به لقب المحرق، ويقال إنه كان في تاريخ العرب محرقان باختلاف الروايات، ولكن إحراق الأحياء أصبح اليوم ظاهرة لا يعبأ بها، ويقرأ الإنسان اليوم أخباراً تقول إن الناس من طائفة خاصة أحرقوا أحياء، وكان منهم نساء وأطفال فلا يحرك الخبر ساكناً، ولا يقع هذا الحادث في قرية منقطعة، بل في مدن راقية يعرفها الجميع، كان في الماضي إذا سب أحد أحداً أو شتمه عُرف بالسباب، ولكن في العصر الحديث تخرج مسيرات للسباب والشتائم، وتمنح لها الحرية، ويعتبر ذلك حرية شخصية، وحرية التعبير.

كانت البطولة في الماضي مواجهة رجلٍ أقوى ومدجج بالسلاح، وكان الهجوم على العازل يعتبر جبناً، لكن في العهد الحاضر يتفنن الإنسان في الاغتيال، ويعتبر الاغتيال فطنة وذكاء أو دهاء، فيعتدى على النائمين، وعلى الركاب وعلى الأطفال والنساء، ويعتز المعتدى بهذا العمل.

لقد تحضر الإنسان حقاً في كلامه وفي ملابسه، وفي أثاث

www.abulhasanalinadwi.org

بيته، وفي مكتبه الفاخر، وفي مراكبه، ولكن رجع إلى الوراء في سلوكه وأخلاقه، ومهما بذلت من جهود، وألقيت من خطب، وعقدت من مؤتمرات، ووضعت دساتير، وأبرمت معاهدات، ووضعت مواثيق، فإن الإنسان يواصل انحطاطه بل هبوطه إلى أدنى المستويات، فيرتفع مستوى المعيشة، وينخفض مستوى خلق الإنسان.

لقد أصبحت الحياة في الدول الأوربية الراقية فضلاً عن الدول المتخلفة غير مأمونة، حتى في أمريكا، لا يستطيع أحد أن يأمن على نفسه، وتجري الاغتيالات والاعتداءات الشخصية والاجتماعية، ونهب المحلات التجارية وتزداد نسبتها، وقد اكتشف بعض المفكرين أن الكبت مصدر الشقاء فاقترح مكافحة الكبت النفسي بإطلاق الإنسان من جميع أنواع القيود، لكن إطلاق هذه القيود زاد من كبت الإنسان، وتفيد التقارير الصحفية أن الانتحار له نسبة أعلى في الدول الراقية، وأن أقراص التنويم أكثر استعمالاً للشعور بالكبت النفسي في المجتمع الأوربي، ويسبب ارتفاع نسبة الجرائم قلق المفكرين والمسئولين.

لقد تغلب الإنسان على أمراض لكنه بأعماله الطائشة وسياسته الجامحة وحبه للغلبة على غيره أحدث أمراضاً جديدة لا يمكن التغلب عليها، بل يعجز الأطباء عن فهمها.

اكتشفت الآلات لمعرفة دقات القلب، ومعرفة الصدق والكذب، ومعرفة الجريمة، ولكن خسر الإنسان فراسته، وذكاءه، ومعرفته الذهنية لاعتماده على الآلات، وحرم الإنسان خصائصه ومواهبه.

www.abulhasanalinadwi.org

كانت نسبة العلم ضئيلة في الماضي، فكان يقال إن مآسي الإنسان ترجع إلى الجهل، ولكن انتشار العلم أحدث أنواعاً جديدة من تعاسة الإنسان وشقائه، وأحدث مسائل جديدة مستعصية، وأصبح المتعلمون والمثقفون أكبر خطر على الإنسان وحياته، وإن الذين يحملون لواء العلم، ويملكون خزائن الأرض هم الذين يعيثون في الأرض فساداً، ويدمرون ما يبنى على وجه الأرض، ويكتشفون مجالات جديدة للإفساد والتخريب.

إن الذي يتابع الحياة اليوم يرى أن معظم مشاكل الإنسان في مختلف بقاع العالم ناجمة من سوء تصرف أدعياء العلم، والقيادة والسلطة، والذين يملكون وسائل مادية فيتنعمون أنفسهم، ويعاني الفقراء والمساكين، ومن لا يملك وسيلة للدفاع عن النفس في حكمهم، أنهم يتنعمون على حساب شعوبهم.

يزداد بؤس الإنسان وشقاؤه وتتصاعد وتتضخم مشاكله، ولكن المنظمات والمؤسسات التي أتت إلى حيز الوجود لإنقاذ الإنسان عاجزة عن إنجاز مسئولياتها لأنها خاضعة لسيطرة الأقوياء والمستبدين في العالم الذين يفرضون عليها إرادتهم ورغباتهم.

www.abulhasanalinadwi.org

فقدان الشعور الإنساني في الحضارة الغربية [1]

يتقدم الإنسان في حياته بمدى الشعور، والاعتبار بما يقع في حياته، وفي حياة غيره، والسعي والاجتهاد في ضوئه لأن الشعور والاعتبار، والتأثر القلبي يكون منطلقاً له، وباعثاً على العمل، لتحسين حياته، ورفع مستواه، وتهذيب نفسه، وخدمة غيره ممن يعيش معه، فإن رأى خيراً اختاره، وإن رأى شراً اجتنبه، والسعيد من وعظ بغيره، والإنسان الواعي، يحاسب نفسه في ضوء تجاربه وعلمه، ويوازن موقفه، وموقف غيره، فيهجر ما لا يليق به، ولا ينفعه، ويدع ما لا يجديه، ولا يأتي له بخير، والإنسان المثالي يفكر في غيره أكثر مما يفكر في نفسه، ويحرص على إسعاد غيره وإن كان على حساب نفسه.

يوجد الشعور في كل إنسان بأقدار متفاوتة، باعتبار نشأته، ويتصاعد هذا الشعور عندما يتثقف الإنسان، ويتعلم، وتنتقل إليه خبرات وتجارب العلماء والعقلاء ومعارفهم، التي تصقل ذهنه، وتشحذ فكره، وتهذب نفسه، ويصبح المتعلم والمثقف ذا حس مرهف، وشعور دقيق، وتنشأ فيه صلاحية تطوير النفس، وتنقية الذهن من الشوائب والتلوثات.

إن الشعور والإحساس الدقيق يرفع الإنسان، وينمي

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٨، العددان: ١١-١٢، ١٦/نوفمبر وأول ديسمبر ١٩٩٦م

www.abulhasanalinadwi.org

قدراته، ويصعد كفاءاته، وبفقدان مثل هذا الشعور يفقد الإنسان صلاحية الانطلاق والتقدم، ويجعله عباً على غيره، أو يجعله جامداً غير متحرك، أو دائراً في حلقة ضيقة، أو قانعاً بشيء يسير يجده، فيعيش لنفسه.

إن أول الشعور هو إدراك ما هو خير وما هو شر، والشعور بالحزن والسرور، والشعور بالجمال والقبح، والشعور بالسعادة والهناء، وبالشقاء، و الحرمان، والشعور بما يليق بالإنسان، وما لا يليق به، وإذا فقد أي إنسان الشعور بما هو إنساني، وما هو حيواني، وما هو خير وما هو شر، وما فيه سعادة، وما فيه شقاء، فلا يوصف ذلك الإنسان، وإن كان أنسى المولد، والمنشأ، إنساناً، بل هو إنسان المولد والمنشأ، وحشي الغريزة والطبيعة.

إن الإنسان اليوم إذا قيس بهذا المقياس الإنساني أشبه بذلك المخلوق الذي يمكن أن يطلق عليه تعبير وحشي الغريزة والطبيعة.

لقد خسر الإنسان اليوم جميع الاعتبارات التي وضعت لتمييز الإنسان عن الحيوان المطلق، لقد قيل عن الإنسان إنه حيوان ذو شعور، وقيل عنه إنه حيوان اجتماعي، ولكن الإنسان اليوم فاقد الشعور، وحياته حياة فردية يسعى إلى نفعه، وإن كان يدعي أنه يعيش حياة شعورية وحياة اجتماعية.

يدعي دعاة الحضارة المعاصرة أنهم رفعوا الحواجر بين مختلف طبقات الإنسان، وجعلوها طبقة واحدة، والعالم كله أصبح بمثابة بلد واحد، والذي يعيش في الهند مثلاً يتابع ما يحدث في أمريكا، ومن يعيش في أمريكا، أو أوربا يتابع ما يحدث في الصين، أو أقصى الشرق، وقد ضيقت المواصلات والاتصالات

www.abulhasanalinadwi.org

المسافات، والأبعاد، ولعب البث المباشر دوراً حاسماً في رفع هذه الحواجز الجغرافية، فذابت الثقافات واللغات والفروق الجغرافية والقومية، ونشأت ثقافة واحدة، وقومية واحدة بفضل هذه الوسائل الإعلامية المباشرة.

ولاشك أن الإنسان اليوم يطلع على ما يحدث لإنسان آخر في أي بقعة في الأرض في ساعات، وقد جرى انتخاب الرئاسة الأمريكية فتابعها سكان الهند مثلاً كما يتابعون الانتخابات التي تعقد في بلادهم، بل إنهم ينتظرون لصدور نتائج الانتخابات في بلادهم أسابيع وأياماً، ووصلت إليهم نتائج الانتخابات في أمريكا، وروسيا في نفس اليوم الذي انعقدت فيه الانتخابات، ويشاهدون المباريات التي تعقد في أماكن بعيدة، والمسابقات، والمؤتمرات، واللقاءات التي تعقد بين العلماء والزعماء في نفس الوقت الذي تعقد فيه أو بعد بضع ساعات، كذلك يشاهدون الحوادث والمآسي على التلفزيون ويسمعون تفاصيلها فور وقوعها، كما حدث خلال حرب الأفغانستان، والشيشان، والبوسنة، والمذابح التي حدثت في رواندة، ويشاهدون عن طريق التلفزيون مآسي الجزائر، وشاهدوا الغارات الوحشية التي شنتها إسرائيل على لبنان، وأمريكا على العراق، وانتشار المجاعة في الصومال، وسقوط الطائرات واصطدام القطارات والسيارات والأحداث الأخرى التي كثر وقوعها هذه الأيام، وشاهدوا مسابقة الجمال، ومظاهر الترف والسرف، والتنعم، بجانب مسيرات الفقراء والعاطلين والبؤساء، والعراة والمتسولين في الدول الفقيرة.

يشاهد الإنسان اليوم جميع هذه المآسي، فيتفرج بمشاهدتها

www.abulhasanalinadwi.org

على هذا الشقاء، لأنه تعود عليه، ونشأ نشأة مادية لا يهمه إلا نفعه وسعادته، فلا يثير ضميره الإنساني بلاء، ولا يحدث فيه انفعالاً، بل يمر بكل ما يمر أمام عينه، أو يقرع أذنيه، كأن لم يحدث شيء، إذا كانت حياته الشخصية لا تتأثر به، ولا تتأثر بعض النفوس، إن كانت حياته الشخصية معرضة للخطر، وتمضي قدماً لا تتأثر وتتبلد بعض النفوس إلى حد أنها تمر بجثث الموتى وتدوس أقدامها الأشلاء في حادثة قطار أو طائرة، ولا يهمّها إلا ما علق بهذه الجثث أو الأشلاء من أشياء تنفعه، فتختلسها وإذا كانت في هؤلاء المنكوبين بقية الحياة، تحاول الإجهاز عليها، فيجلب شقاء إنسان سعادة إلى إنسان آخر، كما حدث أخيراً خلال سقوط الطائرات، واصطدام القطارات في بعض أجزاء العالم، وتناقلت الصحف أخبار الاختلاس والنهب والسلب وحتى في المستشفيات.

لم يفقد هذا الشعور الإنساني النبيل، أفراد، بل فقده زعماء وقادة، يحكمون العالم اليوم، ويتحملون مصائر الأمم والشعوب، فإنهم لا يعبأون بشقاء الملايين، بل يخططون لإبادة عناصر وأجناس بشرية ويدبرون للمآسي، بل يرتكبون مذابح بشرية، ويشاهدون هذه المذابح كمسرحيات مأسوية ويتفرجون، ويصدرون بيانات ولا يتحركون و هم يملكون سلطات تؤهلهم لوقف هذه المآسي بمجرد تهديد جدي، إذا أرادوا ذلك، ويبلغ فقدان الشعور الإنساني في بعض النفوس أنها تسكت ولا تبدي استنكارها.

إن الدول الكبرى التي تهدد العالم بوسائل مادية هائلة وقوة عسكرية مدمرة، تعجز عن فك اشتباك فريقين لا يمتلكان

www.abulhasanalinadwi.org

وسائل ولا عدة، ولا مالاً لتلبية متطلبات الحياة، وتستمر الصراعات التي تؤدي إلى خسائر في الأرواح والممتلكات، ويتشرد ملايين من البؤساء من أوطانهم، والدول العالمية الكبرى تشاهد هذه المناظر المأسوية، وهي تملك الفائض من الثروة والموارد الغذائية والقوة.

إن مسألة الشعور الإنساني، والوعي الإنساني، الذي فقده الإنسان المتحضر اليوم لأنه يتبع فلسفات مادية تبطل عمل الشعور، واقتضاء الروح، بل فلسفات تدعو إلى الشر، والاغتصاب، والاختلاس، والاستغلال، وخدمة النفس، وإسعادها وتعتبر الخير، والنجدة، والإيثار، والمواساة نفاقاً، ورجعية، وأصولية لا مكان لها في هذا العصر المادي.

إن مشاكل العالم ومآسيه تتعقد وتتصعد، وتتكثف لفقدان هذا الشعور الإنساني والوعي، لقد اكتشف الإنسان حقاً وسائل يطل بها على العالم كله وينفذ به بصره إلى جميع أنحاء الأرض المعمورة، لكنه فقد الشعور القلبي، والبصيرة، فهو إنسان في ظاهره في ملبسه، ومسكنه، ونشأته لكنه وحشي في ميوله، وغرائزه، وطبيعته وذلك لأنه فقد النور الإلهي، والتربية الخلقية وانسلخ مما خص به من صفات وأكرم به من آيات، فهو رغم اكتشافاته العلمية ووسائله الآلية، كما وصف القرآن الكريم أمثاله المحرومين، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]

---

[1] الأعراف الآية: ١٧٩

www.abulhasanalinadwi.org

إن المجتمع الإنساني لا يمكن أن يقوم إلا بروح التعاون والمواساة، والإيثار، والتسامح، والتعاطف، ولا يتحقق ذلك إلا بالشعور الإنساني، والشعور بالأخوة الإنسانية، فيتألم الإنسان بآلام أخيه، ويشعر بالسعادة بسعادة أخيه، وهذا المجتمع هو حاجة اليوم، وهو الحلقة المفقودة في الحضارة المعاصرة، وتتوسع هذه الحلقة كل يوم.

www.abulhasanalinadwi.org

الإنسان هو الضحية الأولى في الحضارة الغربية[1]

تتوالى مصائب الإنسان المعاصر، مهما كان وطنه، وعقيدته، وحضارته، وثقافته، فهو في محنة، تتعرض حياته، وممتلكاته للدمار، وتكاد تصبح المعاناة البشرية ظاهرة هذا العصر، وإن ادعى الإنسان المعاصر أنه سخر ما لم يسخره الإنسان في الماضي، بفضل علمه، وقدرته الماكينية، ووصف هذا العصر بأنه عصر التكنولوجيا، وعصر الإعلام، وأن معرفته السابقة لما يحدث في المستقبل، وما يقع في أقصى العالم، قد غلبت على سائر ما اكتشفه المتقدمون في مجالات العلم، وإنه يملك وسائل أقوى وأرقى لتأمين الحياة، وإسعادها.

لقد سلبت الحياة المعاصرة الإنسان أولاً طمأنينة قلبه، وقناعته التي كانت مصدر هدوء باله، فكان الإنسان الذي يعيش سعيداً في شقائه بالأمس يشقى اليوم، وتطارده الهموم والأحزان في وسائل سعادته التي يكد ويجتهد لتكديسها، فكانت طمأنينة القلب الضحية الأولى في الحياة المعاصرة، حتى الأطفال وصغار السن الذين يقال عنهم إنهم لا يعرفون الهمّ لا تخلو أذهانهم من الهموم، فكانت وفاة أقرب أقربائهم لا تقلق بالهم، فكان الأطفال يمرحون إذا اجتمع أقرانهم حتى في المآتم، ولكن هذا الصغير في

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٤٧، العددان: ٨- ٩، ١٦/أكتوبر وأول نوفمبر ٢٠٠٥م.

www.abulhasanalinadwi.org

الحياة المعاصرة يحمل من الهموم كما يحمل الكبار الهموم والأحزان، ويمكن أن يقال أن معرفة الأشياء قد زادت من الهموم. أو أن الحياة الصاخبة اليوم قد زادت من الحساسية.

وسلبت الحياة المعاصرة الشعور بالأمن، والسلامة، فقد كان الإنسان في القديم يطمئن على نفسه وأولاده في الأكواخ والغابات، والإنسان اليوم لا يطمئن على نفسه وأهله وماله، وهو في القصور الشامخة، بل وهو في حفظ الحراس، فلا يثق الإنسان بحراسه، وخدمه، وحتى بأهله، فكثيراً ما نقرأ في الصحف أن الأولاد يعتدون على آباءهم، والآباء يعتدون على أولادهم، والحراس يعتدون على سادتهم، والإخوة يعتدي بعضهم على بعض، وتكثر الجرائم في الأحداث والشباب، فلا تخلو من هذه الأخطار دور الأغنياء، ولا الفقراء، ولا دور التعليم والكفالة، ولا السجون التي يعتدي فيها زبائنها على الزبائن الآخرين.

إن الإنسان في هذه الحياة غير آمن في عقيدته ولا منهج حياته، ولا سلوكه، فيفرض عليه اتباع عقيدة مغايرة لعقيدته، ومنهج مغاير لمنهج حياته، وسلوك مغاير لسلوكه، وحتى اللغات ورسم اللغة، يفرض ضد رغبة الناطقين بها، لقد حدث كل ذلك في هذا العصر، الذي يعتبر عصر العلم، والحرية، واللقاء، والتبادل، إنه لم يحدث في الماضي القريب، في عهد الاستعمار، لكنه لا يزال يحدث في العالم المعاصر، وأقرب مثال له فرض الإلحاد على متبعي الأديان بقوة السلاح والحكم، ومحاربة عقيدة لإقرار عقيدة، وإحلال ثقافة محل ثقافة، يتكرر عملها في هذا العصر.

لقد كان الإنسان يعيش في ظل الملوك، ورؤساء القبائل حسب

www.abulhasanalinadwi.org

ذوقه وطبيعته، رغم وصف العصور السابقة بعهد الجبر والقهر، وسلب حقوق الإنسان، والعبودية، ولكن العصر الحاضر لا يختلف كثيراً عن تلك الحياة التي كانت العبودية فيها شائعة، وكانت تجارة الرقيق نافقة، وكانت الحروب فيها قائمة بين حين وحين، وكان القوي يستضعف الضعيف، وكان العالم يقهر الجاهل.

لقد كان ذلك شائعاً و لا ينكره أحد له إلمام بالتاريخ، ولكن ما هو وضع الإنسان في الحياة المعاصرة، وما كسبه الإنسان اليوم بعلمه، وقدراته المادية ووسائله المسخرة للسعادة؟

تستمر سائر تلك الأنواع من المعاناة في هذا العصر، بأشكال مختلفة، من الحروب، والقهر، والاستغلال، والاعتداء، وقتل النفس، وإيذاء الإنسان، وإذلاله، والفقر والجهالة، والشقاء والحرمان، والاستعباد، ولا ينكر ذلك من له معرفة بواقع الحياة المعاصرة والأحداث الواقعة في مختلف أرجاء العالم.

لقد انكشف ذلك أخيراً عندما ضربت الأعاصير الهوجاء بعض مناطق أرقى دول العالم، الدولة التي تعتبر نفسها سيدة العالم، وهي أرقى دول العالم في سائر مجالات الحياة، في العلم، والصناعة، والقوة العسكرية، ووسائل الرفاهية، وتدعى أنها رائدة حقوق الإنسان، وتتزعم أنها مأوى كل محروم ومنكوب، وإن أجزاء واسعة من هذه الدولة تعاني من سائر أشكال التخلف للعصر الماضي من الجهالة، والفقر، والتمييز العنصري، وعدم المساواة، لقد انكشف ذلك في تقارير وكالات الإسعاف التي زارت المنطقة المنكوبة بكاترينا، كيف سقطت هذه الوسائل للإنذار

www.abulhasanalinadwi.org

والإسعاف، وتكرر ذلك عندما ضرب إعصار آخر عرف بريتا في سبتمبر ٢٠٠٥م، ولا تزال تتوالى الكوارث إلى أن هز زلزال عنيف لمناطق شاسعة في الهند، وباكستان، وخاصة كشمير في أكتوبر، الذي ذهب ضحيته أكثر من خمسين ألف شخص، وقبل ذلك قد هلك وجرح في "تسونامي" أكثر من نصف مليون، وقيل إنه كان بسبب فشل نظام الإنذار، وعدم اتخاذ وسائل الوقاية، ضد الحوادث، فإذا حدث ذلك في بلد متخلف كان من المعقول، ولكن كيف عجزت أرقى دول العالم عن وقاية نفسها، وتأمين سلامة سكانها؟

أثبت ذلك فشل نظام الإنذار المسبق وعدم الاستعداد لمواجهة الكوارث والحوادث، كان يقال إن هذا العالم المتحضر بمثابة قرية واحدة، وإن القضايا في هذا العصر تحل بوسائل سلمية بالمباحثات، ولا تتدخل دولة في شؤون دولة أخرى، وهو عصر التعايش، والتبادل، لكن سقطت هذه الفكرة وفندها احتلال بلد قوي على بلدين ضعيفين، وتدخل ذلك البلد في الشؤون الداخلية للبلدان الضعيفة، وقد فشل ذلك النظام أولاً عند الهجوم المباغت ولكن المدبر والمخطط له على أعلى بناياتها ومراكزها الصناعية، وسقطت هذه النظم للمعرفة عند ما هاجمت هذه البلاد على بلد آخر، على أسس تقارير كاذبة أعدتها وكالة المخابرات التي تعتبر أرقى وكالات المخابرات، وهي المخابرات الأمريكية المركزية (C.I.A.)، وعلم العالم كله، وأقر بذلك أعلى المسئولين السياسيين والإداريين في تلك البلاد، أن تلك التقارير لم تكن تستند إلى صحة.

www.abulhasanalinadwi.org

وسقطت في الوقت نفسه المنظمة الدولية الكبرى التي قامت لإنقاذ الضعيف من تسلط القوي، وخضعت لكبرياء دولة واحدة في أعضائها على أن تفعل ما تشاء.

كان يقال إن عصر الحضارة منحت السجناء حقوقاً واحتراماً للدفاع وللحياة، ولكن تعرض مئات وآلاف من الضعفاء للمعاناة في سجون الدول التي يحكمها أولو الأمر الذين فرضوا أنفسهم على شعوبهم، فيفعلون ما يشاؤون ويضعون الدستور حسب رغبتهم، ثم يغيرون دستور بلادهم، وتصدر في هذه البلدان المحاكم أوامرها حسب رغبة الحكام.

لقد كانت الحروب في الماضي محدودة، في المساحة، وفي إتلاف الأرواح، والممتلكات، وهي اليوم منتشرة تجري رحاها في مختلف أنحاء العالم، وتستخدم فيها وسائل تدمير شامل، تهلك الحرث والنسل، بالإضافة إلى منظمات وحركات تستخدم السلاح لتحقيق أهدافها، ومنظمات تقوم بتسليح هذه الحركات التي تعتدي على الأبرياء، ويعتدى على النائمين في بيوتهم والسائرين على الشوارع، وركاب مراكب السفر، فلا يأمن أحد في بيته ولا مركز عمله على حياته، أليس ذلك واقع الحياة المعاصرة، ولكن الإنسان رغم ذلك سعيد، وأكثر حضارة مما كان عليه في الماضي.

لقد ادعى علماء الطبيعة أن الطبيعة إله، وأن الإنسان إله نفسه، ويسير على هذا المنهج منطق كثير من أصحاب القوة، فيعتقدون أنهم يستطيعون أن يفعلوا ما يشاؤون، ويتصور بعضهم أن بيدهم كل شيء، وقد ظهرت مظاهر هذه الكبرياء عندما استطاع بعض العلماء ما سموه بالاستنساخ، وهو إعداد نسخة

www.abulhasanalinadwi.org

جديدة بمساعدة الجين، وصار ذلك مدة، حديث المجالس كذلك عند ما وفق بعض الأطباء لزراعة القلب، وكانت هذه الادعاءات تحدياً لمعتقدي الأديان، ولكن يفند ادعاءاتهم حادث بسيط ويفند منطقهم منطق بسيط، ولا يختلف أمثال هؤلاء الحكام وأصحاب القوة عن منطق الملك الذي جادله سيدنا إبراهيم عليه السلام إذا ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

وذكر القرآن الكريم قصة فيها عبر ودروس لكل من يملك قوة وهي قصة أصحاب الجنة ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلاَ يَسْتَثْنُونَ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ، أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ، فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ، أَنْ لاَ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ، وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاَوَمُونَ، قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ، عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ، كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]

إن المالك الحقيقي لهذا الكون كله هو الله الواحد القهار، يصرف كيف يشاء، ومثل هذه الحوادث التي تقع ضد مقاييس

---

[1] البقرة: ٢٥٨.

[2] القلم: ١٧–٣٣

www.abulhasanalinadwi.org

العقل والعلم، وضد تخطيط وتدبير أصحاب العقل تحدث عند ما تحدث للفت الإنسان إلى هذه الحقيقة وهي كما جاء في القرآن الكريم ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

www.abulhasanalinadwi.org

الحضارة الأوربية ومآسي إنسانية[1]

كلما حاول الإنسان المعاصر أن ينسى ما تكبد به من مآس ومجازر وإهانة وقتل وتشريد، نتيجة لسيطرة الدول الأوربية، وسيادتها على العالم، وما قاساه من تضليل وتغرير، وتسفيه للأحلام واستعباد للعقول، نتيجة لغلبة العقل الأوربي، كلما حاول أن ينسى ذلك أو يتناسى تجددت تلك الذكريات المفزعة للتجربة مع الحكم الغربي الاستعماري بتصرفات وإجراءات من دولة من الدول الأوربية الاستعمارية، وعادت العقارب السامة إلى عهدها السابق، وذاكرة الإنسان إلى العهود الغابرة كأنه لم يقطع مسافة من الزمن.

انتهت الحرب العالمية الكبرى الثانية، فسفك دم الإنسان البريء، في الدول التي انتقلت إلى سيادة الدول الأروبية، باسم العقيدة، والنظام السياسي، وقتل مئات الألوف في الاتحاد السوفيتي، ويوغوسلاويا، وبلغاريا، واليونان، وأجبر من بقي منهم على اعتناق عقيدة جديدة، وقومية جديدة، وأكرهوا على الثورة على قيمهم ومثلهم، فطمست معالم، وفرضت نظم مستبدة، قاهرة، واستعمرت البلدان، وأجبر المتعلمون على أن

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٢٧، العدد: ٢٢، ١٦/مايو ١٩٨٦م.

www.abulhasanalinadwi.org

يعتبروا عملية الاستعمار، عملية التعليم والتهذيب، والتحضير، وأن يقبلوا ما تكتبه الأقلام الجديدة كحقائق ومسلمات، والفلسفات الجديدة كمذاهب وأديان جديدة، ويعتبروا الجبابرة القاهرين أبطالاً مقدسين، وتعلم الصبيان كل هذه الدروس، ورددوها كما يتعلم العبيد ما يلقنهم سادتهم، فيرددون ما يقولون لهم، فكان كثير من الأدباء والعلماء الذين نشأوا في هذا العهد يحملون عقلية العبيد، يرددون ولا يعقلون، فحسبوا أن أوربا منبع العفو والخير، وأن لطماتها من أجل التعليم والتهذيب.

وجاء عهد الاستقلال بالمفهوم الغربي، وخرجت الجيوش الاستعمارية، وأشيع في العالم أن عهد الاستيلاء والاستعمار والتدخل في شؤون الدول الأخرى واستعباد الناس قد ولى بلا رجعة، وأن الإنسان اليوم حر، لا تساوم كرامته وشرفه، وسعادته، ولكن الإنسان اليوم رغم مرور أكثر من نصف قرن على عهد الحرية والسيادة يعيش في عبودية وقهر، ويواجه الإهانة والنهب والسلب كما كان يواجه في عهد الاستعمار.

لقد قتلت فرنسا في الجزائر مليون نسمة لإجبار البلاد على البقاء تحت حكمها، ثم خرجت من البلاد خائبة، واعتبرت هذه الخسائر رقماً قياسياً في سفك دماء الأبرياء، ثم أرادت أمريكا أن تفوق في القسوة والبربرية، فشنت حرباً في فيتنام، وقتلت خمسة ملايين من المواطنين، وخسرت خمسين ألفاً من جنودها، إلى أن خرجت تجر أذيالها بالخزي والعار، وكان العالم ينظر إلى فيتنام بأنها مثال أخير للقسوة والبربرية فكانت فيتنام تضرب مثلاً لصمود شعب بكامله أمام أكبر قوة، وقسوة متحضرة، استعملت كل

www.abulhasanalinadwi.org

وسيلة للقهر وتفرج الدول المتحضرة التي لقنت العالم درس الحرية والشرف والمساواة ومساندتها لقوى الظلم والبربرية، وصمت المسيحية العالمية التي تنتمي إليها هذه القوة، وتقوم بنشرها كرسالة الحب والسلام، شهد العالم كل هذه المواقف المهينة لأصحاب الحضارة العالمية المعاصرة، وشهد هذه البربرية أولئك المتشدقون بفضل الحضارة الغربية على الإنسانية، وقد كانت فيتنام وصمة عار على جبين أمريكا، وعلىما تتبع أمريكا من عقيدة وحضارة وسياسة، وكانت ذروة السياسة الاستعمارية، وخرجت أمريكا بعد كل هذه الخسائر، وكان يتوقع أنها لم تقدم على أي عمل من هذا القبيل بعد أن عرفت مصيره المحتوم، كما كان يتوقع أن فيتنام تحمل درساً لكل من تسول نفسه لسيطرة الشعوب.

ولم تمض مدة إلا ودخلت روسيا في هذا السباق، سباق الاستعمار، وقهر الشعوب، فدخلت في أفغانستان تقتل وتنهب وتشرد، وهي الآن تخطط أن تسجل الرقم القياسي في الوحشية، وتتقدم من أمريكا، فتطمس ما فعلته أمريكا في فيتنام، وقد بلغت حتى الآن خسائرها أربعة ملايين.

هذه تصرفات الأساتذة والمعلمين للحضارة الأوربية، أما تلامذة هؤلاء الأساتذة، فهم يقلدون أساتذتهم حسب قدراتهم بأيديهم الضعيفة وقواهم المنهوكة، ويحاول كل تلميذ أن تكون له مآثر في المآسي، فسوريا تقتل عشرة آلاف من مواطنيها وآلافاً من الفلسطينيين في لبنان، وإسرائيل تقتل عشرات الألوف، وتشرد عشرات الألوف في بلادها وفي لبنان.

وإيران والعراق تقتلان وتصيبان أكثر من مليون في الحرب

www.abulhasanalinadwi.org

التي يسعرها ويضرمها ويمنح الوقود لها أساتذتهما في أوربا، وهكذا تستمر مأساة العالم في ظل الحضارة الغربية، في عهد العلم والحرية والنور.

كانت غارات أمريكا التي شاركت فيها بريطانيا وفرنسا ودول أوربا الأخرى، وبررتها، أحدث مثال لاستمرار سياسة الاستعمار التي أصبحت سمة الحضارة الأوربية وهي مهزلة من مهازل التاريخ المعاصر، وقد غرقت أمريكا، رغم تقدمها في العلم والصناعة، والثروة في المهازل، والأعمال الصبيانية.

إن أمريكا لم تتحرك لوقف المجازر والإرهاب المسلح في لبنان حيث كان الأبرياء يقتلون ويشردون ولم تتحرك أمريكا لمنع بيجن وشارون، ولم تتخذ أي إجراء، ولكن أمريكا تفقد أعصابها وتصاب بالجنون بقتل بعض الأمريكيين أو التهديد لسلامتهم انتقاماً من تأييدها المستمر لدولة الإرهاب الإسرائيلي.

إن سجل معمر القذافي لا شك حافل بأعمال إرهابية، فقد أصبح هذا الزعيم مصدر فتنة واضطراب للمنطقة بكاملها، ولكن نفسيته تكونت في البيئة الأوربية، ورد فعله نتيجة لسياسة الدول الأوربية، وهو صنيع لأمريكا، وأخواتها، وقد وصفته الصحافة الأوربية بطلاً من الأبطال، ونفخت فيه هذه الروح التي تخوف الآن أوربا كلها، ولكن القذافي بجميع هذه الميول الإرهابية، يبدو قزماً من الأقزام أمام الإرهابيين الإسرائيليين. والأمريكيين، والفرنسيين، الذين قاموا بإرهاب العالم كله، وبدأوا عهدهم بالاستعمار والإرهاب، والتقتيل والتشريد، وقد أخذ القذافي هذا الخيط من أيديهم فإذا كان أحد يستحق المعاقبة فهو بريطانيا

www.abulhasanalinadwi.org

وأمريكـا ، وفرنسـا ، والـدول الـتي قـامت بتربيـة الجيـل الجديـد وصنعت القيادة التي تسيطر على العالم العربي اليوم وتستحق هذه الدول وحضارتها كل لوم وإدانة..

www.abulhasanalinadwi.org

تضليل وتلاعب بالألفاظ لم تعرفه الإنسانية[1]

لم تعرف الإنسانية في تاريخ الحضارات وعهود انتشار العلوم، وقيام مدنيات سادت زمناً طويلاً ثم اندثرت وسائل التضليل والخداع والتغرير والتلفيق وقلب المعاني والتلاعب بالألفاظ، واستعمالها ليس في غير مواضعها فحسب بل في مفاهيم مضادة، مثلما تشاهده الإنسانية اليوم لغلبة الجهالة، ولتلقي النظريات من غير فهم وعقل بطريقة ببغائية.

كانت اللغة تختلف في النطق وفي المعاني اختلافاً وضع اللغويون قواعد لها واستنبطوا لها أصولاً يمكن بها معرفة الخطأ، والصواب، واستطاع اللغويون أن يحددوا الأضداد في اللغة واختلاف اللغات الذي كان يرجع إلى سليقة الناطقين وصلاحياتهم المختلفة باختلاف البيئة الطبيعية والاجتماعية وهو محدود، وله أسباب قام باستقصائها علماء اللغة، كانت اللغة في هذا الاختلاف دائماً تخضع للعوامل الاجتماعية والنفسية والطبيعية لكنها رغم الفروق الطارئة كانت لا تنفصل عن مصدر اشتقاقها بل كانت ترتبط بقدر من الأقدار بالمعنى الأصلي الذي وضعت له الكلمة.

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٢٢، العدد: ١٢، ١٦/ديسمبر ١٩٨٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن اللغة اليوم مثل القيم والمثل والمقومات الاجتماعية والخلقية الأخرى أطلق لها العنان كالشعر المنثور الذي حرر من قيود الوزن والقافية ، والارتباط الفكري والعاطفة.

فإذا كنت تعلم معنى لأي كلمة على أساس دراستك وعلمك ، فلا تثق بعلمك ، لأن العلم اليوم لم يعد احتكاراً في أذهان العلماء ، واللغة لم تعد احتكاراً لدى اللغويين ، لأن هذا العهد عهد الحرية ، عهد مكافحة الاحتكار ، عهد الثورة على كل قديم ، وخلع كل ربقة ، ورابطة عهد القضاء على كل أثر من آثار التبعية والتقليد لكل ما يمت بصلة إلى القديم ، فتحررت اللغة ، وتحرر العرب ، وتحررت سائر العلوم وأصبحت مصادر كل علم في نظر أدعياء العلم في هذا العصر الكتب الصفراء التي يجب التخلص منها لأنها تقيد الإنسان اليوم وتمنعه من الانطلاق.

وجباً في الحرية بالمفهوم الجديد يسعى أدعياء الحرية ، وأدعياء العلم في هذا العصر أن يفكوا كل ما يعتبرونه من قيد ، علمياً كان أو فكرياً ، أو خلقياً ، لينطلقوا في الفضاء ويتحرروا عن كل تقيد ، ولذلك جعل دعاة الثورة من أهم مواضيعهم ومن أولى الأرجحيات التهجم على كل ما له صلة بالقديم ، ولو استطاعوا لانسلخوا من جلودهم لأنها قديمة ، فيكونوا على هدم كل كيان وكائن ، ليقيموا على أنقاضه كياناً جديداً وكائنا جديداً .

هذه هي العقلية الجديدة وتمثل هذه العقلية الصحف في بلاد الثورة ، التي تستمد جذورها من المنطق الجدلي الانقلابي الذي يقوم عليه المذهب الاشتراكي.

كانت الصين الشيوعية أثناء صراعها مع الولايات المتحدة

www.abulhasanalinadwi.org

الأمريكية تدعو إلى حرب عالمية ، لأنها كانت قد يئست من الإنسانية ، وكانت حجتها أن الحرب العالمية ستهلك الإنسان القديم ، ويبقى عدد قليل من الناس بعد الحرب ، ويمكن تحويل عقليتهم وتوجيههم توجيهاً جديداً.

وبهذا المنطق يعمل الاتحاد السوفيتي فإنها إذا أراد إقرار الأمن في منطقة شن حربا شعواء على الشعب المسالم وقتل ما يستطيع من القتل ليبقى في البلاد الإنسان المثالي.

وإذا أراد الاتحاد السوفيتي منح مساعدة عسكرية عقد اتفاقية صداقة ، وإذا أعلن الانسحاب من بلد ، أرسل إليه قوات جديدة ، لسحب المرضى ، وجثث القتلى ، ونقل الأسلحة المحطمة يتلوه انسحاب قوات جديدة من الاتحاد السوفيتي إلى تلك البلاد وبذلك يكتمل الانسحاب من جهتين فالانسحاب في القاموس السوفيتي دعم وتعزيز للقوات الموجودة في البلاد.

كذلك التدخل الخارجي في القاموس السوفيتي هو المقاومة الشعبية للقوات الغازية . كما أن ترتيب الأحداث في الحساب السوفيتي ترتيب معكوس ، دخول القوات الغازية ، والمقاومة الداخلية لها ينقلب في الترتيب فيصبح التدخل الخارجي ، ودخول القوات لمقاومة ذلك التدخل وهذا المنطق يمكن الاتحاد السوفياتي من أن يدخل قواته في أي بلد لإقرار الأمن.

إن نظرة على القاموس السياسي السوفيتي تكشف عن هذا التلاعب في الألفاظ كما تدل عليه المقارنة بين قوله وعمله وإذا كانت هذه العقلية شعاراً لكل حركة ثورية وسمة لكل حكم اشتراكي ، كان حكم الفرد حكماً جماهيرياً ، وكان حكم الأحزاب

www.abulhasanalinadwi.org

نظاماً ديكتاتورياً، وكان القمع والإرهاب إطلاق حرية، وكان التمزق والتشتت وحدة، وكان الغرب شرقاً والشرق غرباً، والجهل علماً، والعلم جهالة، والظلم إنسانية ورحمة.

كان يتكلم بهذه اللهجة وبهذه اللغة وبهذا المنطق جمال عبد الناصر، وبها يتكلم حافظ الأسد ومعمر القذافي وقادة الثورة الآخرون.

هذه هي العقلية الببغائية والمنطق الغوغائي الذي تعلمه قادتنا الثوريون التحرريون الانطلاقيون، ولهم العذر لأنهم أخذوا الدروس من غيرهم، فيقولون ويتصرفون مالا يفهمون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[1]

[1] البقرة: ١١

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثالث

انحراف العلم والثقافة عن وظيفة بناء الإنسان

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

خيانة علمية وخداع للضمير الإنساني [١]

لعل أكبر اعتداء على التاريخ وأكبر تضليل وتشويه للواقع، هو القول بوجود التزمت والتحجر في المسلمين، رغم أن التاريخ الإسلامي في جميع عصوره خال عن الإكراه والاستبداد الفكري، على أساس الدين، أو تحيز على أساس عنصر أو جنس أو لون، فبينما يقدم التاريخ أمثلة لمشاركة المماليك في الحكم بكل حماس وإخلاص، يقدم أمثلة لمشاركة الموالي في النهضة العلمية.

لقد ظل المسلمون في سائر عصورهم يتبادلون التجارب والحكمة في كل ميدان ويقتنون ما طاب وراق من سائر المصادر بغض النظر عن العقيدة الدينية، ووصل بسبب هذا التسامح والتوسع وحرية الفكر، والحرص على توسيع المعرفة عدد من رجال العلم والأدب من غير المسلمين إلى مناصب عالية وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بحرية تامة في نشر علومهم وأفكارهم، وقد استدعى الخلفاء والحكام المسلمون علماء من اليونان، والهند وبلاد الفرس لنشر العلم ونقل العلوم بدون أن يكرهوهم على تغيير عقيدتهم، أو فرض قيود على تحركاتهم وانتقالاتهم، والتقاءهم بالمسلمين، فاستفاد المسلمون من ثمار النهضة العلمية

---

[١] نشر في "الرائد" السنة: ٢٢، العددان: ٧-٨، ١-١٦/أكتوبر ١٩٨٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

والعقلية التي كانت بلاد الروم والفرس قد وصلتا إليها، ثم وسعوا نطاق هذه العلوم وأقاموا بجهود مشتركة من العلماء من مختلف الجنسيات، صرحاً جديداً للعلم، والفن، والأدب.

وقد تأثرت الحركات العلمية والمذاهب الفكرية في التاريخ من الفكر الذي حمله العلماء من مختلف الجنسيات بقدر احتكاكها واتصالها بهم، بالاحتفاظ بجوهر العقيدة الإسلامية، وسلك مسلك التسامح مع العلماء حتى الحكام الذين عرفوا بتصلبهم وشدتهم في الدين والعقيدة.

كان هذا الالتقاء والتلقيح العلمي والفكري ميزة للحياة الإسلامية في سائر عصورها، سواء في ذلك عصر الإسلام الذهبي في بغداد، أو في القاهرة، أو قرطبة، أو في دلهي حيث انتقل مركز الثقل الإسلامي بعد سقوط بغداد.

ولا ينكر أحد من المفكرين والمؤرخين هذه الميزة الإسلامية، ميزة احترام العلم والفكر المجرد من سائر المصادر، كما جاء في الحديث الشريف: "الحكمة ضالة المؤمن" وكانت هذه الحرية المطلقة في الاستفادة من سائر مصادر العلم والفكر، وإقبال المسلمين على إغناء ثروتهم العلمية قد أتاحت كثيراً من الكتاب المعاندين للإسلام فرصة الادعاء بأن الإسلام استقى سائر علومه وحتى نظامه السياسي والإداري من مصدر أجنبي، فإذا وجدوا أي عنصر من عناصر خير أحالوه إلى مصدر غير إسلامي، حتى العلوم النقلية الأصيلة التي لا صلة لها بالفكر الأجنبي، لم تنج من تهمة التلقيح، وذلك موضوع عالجه الكتاب وهو يحتاج إلى غربلة لمعرفة الأصيل والدخيل، ولكن الأمر الذي يدعو إلى

www.abulhasanalinadwi.org

استعجاب هو أن الكتاب عند ما يثيرون موضوع التلقيح الفكري وتأثير العلوم الأجنبية في العلوم الإسلامية ويبرزون كثرة الاستفادة من المنابع الأجنبية يتهمون الإسلام في الوقت ذاته بضيق الفكر والعصبية، والتزمت، كأنهم لا يميزون بين حرية الفكر، وضيق الفكر، فيقدمون مقدمات تثبت حرية الفكر والتسامح الفكري إلى أبعد حد ممكن يصعب فيه التمييز بين الأصل والنقل ثم يحاولون أن يخرج القارئ بنتيجة افترضوها بعنادهم، وهي ضيق الفكر، أو التعصب الفكري في الإسلام.

أصبح هذا التناقض الغريب سمة لكتب سائر أصحاب القلم المعاصرين الذين تعلموا في مدارس الفكر الأجنبي.

والواقع أنهم يتلقون درسين درساً يقول بدون استشهاد على أساس العصبية المسيحية والصهيونية أن الإسلام دين عسر، دين تزمت، ودين رجعية، دين جهالة، وهو الدرس الذي أعده لهم الأساقفة ورجال الكنائس، ثم يتلقون درساً علمياً، والدرس العلمي يحمل عنواناً يفيد بضيق الفكر في الإسلام، ولكن الشرح يفيد بحرية الفكر في الإسلام، ولكن أذهانهم تظل معلقة بالعنوان الصليبي.

هذه هي قصة التاريخ الإسلامي وقصة التعدى والإجحاف العلمي فيه فقد صار التاريخ مدخلاً كبيراً للغزو الفكري، لقد كان الادعاء بتأثير العلوم الأجنبية على العلوم الإسلامية، دليلاً صارخاً على وجود روح التسامح في ميدان العلم والفكر في الإسلام، وإذا قارن أحد بين حسن معاملة المسلمين مع العلماء، وسوء معاملة المسيحية، واليهودية، مع العلماء، لبرز عنصر التسامح في الإسلام

www.abulhasanalinadwi.org

في توسيع الاستفادة العلمية بروزاً أكبر وأصفى لكل باحث عادل.

كان تسامح الإسلام والمسلمين مع غير المسلمين في الحياة السياسية والاجتماعية أمراً يغفله الكتاب المعاصرون.

كان من حق عدالة القضية التاريخية، أن يكون الكتاب صرحاء في الاعتراف، بأن الضمانات والحركات التي يوفرها الإسلام، ليس في الدستور فقط، بل ما يشهد به تاريخهم، لا تتوفر في أي حكم آخر، وبلغت بعض الضمانات والحريات التي منحها المسلمون في تاريخهم الطويل حداً تحار به العقول حتى في هذا العصر، وقد سجل الكتاب المسيحيون أنفسهم عدة أمثلة في هذا النوع من السماحة والكرم، ويستطيع الدارس للتاريخ أن يميز بين موقف المسلمين إزاء أعدائهم المحاربين، وبين المسيحيين وأعدائهم المسلمين بعد الغلبة، وأكبر مثال بين الموقفين، يتجلى في تاريخ الحروب الصليبية، وفتح القدس، والقسطنطينية، .

كان موقف المسلمين موقف العفو العام واحترام حقوق الإنسان، ورعاية حقوق غير المسلمين واحترام معابدهم، أما موقف الصليبيين فكان سفك الدماء، وانتهاك الحرمات، وإبادة المسلمين بكل وحشية وبربرية وتدمير آثارهم.

وقد سجل الكتاب المسيحيون الأحداث الهامة في الحروب الصليبية وأحوال فتح القدس، ويعكس وصفهم لهذه الأحداث الطبيعية الانتقامية والغليان الديني، والعصبية الدينية والسلالية المحرقة في الصليبيين، كما يعكس تسامح المسلمين واعتمادهم على وسائل الدفاع، ورعايتهم لحقوق الإنسان، واحترام الدين المسيحي بصفة خاصة، ولكن يتحير القارئ بهذه المؤلفات التي

www.abulhasanalinadwi.org

تحمل هذه الأمثلة الرائعة التي تبين الفارق بين الموقفين الإسلامي، والصليبي، عند ما يصادفه في خاتمة المطاف الاستنتاج على غير المنهج العلمي بأن المسلمين متعصبون، متزمتون، رجعيون، وحشيون، وأعداء العلم، والمدنية.

وما ذلك إلا خيانة علمية وخداعا للضمير الإنساني.

www.abulhasanalinadwi.org

عناصر الوحدة في عقلية المشركين والمستشرقين [1]

تكدس خلال القرنين الأخيرين وهما قرنا انهيار القوى الإسلامية، وغلبة الاستعمار الغربي، من مؤلفات تتكون بها مكتبات ضخمة ضد الإسلام والمسلمين، وضد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأقلام الكتاب الغربيين، وأثير الغموض والشك بها في المسلمات التاريخية، وصوبت سهام التهم والطعن في التراجم والسير التي سجلت خلال القرون السابقة بدقة وإمعان، وروعيت فيها معايير الجرح والتعديل التي لا يوجد لها مثيل لدى الطاعنين أنفسهم.

اختار الطاعنون من الغرب في النقد وفي الرفض والقبول مستويات علمية وضعوها لأنفسهم لنقد الإسلام خاصة، وغربلة تاريخه وتعاليمه، والبحث عن المصادر والأصول، وهي مستويات لو طبقت على تاريخهم أنفسهم وعلى المسيحية نفسها وعلى شخصية المسيح عليه السلام لذهب كل ما يتمجدون به أدراج الرياح، وصار هباء منثوراً، وظهر حديث خرافة، ونسيج خيال.

وبغض النظر عن هذه المقاييس الدقيقة الضيقة المصطنعة التي اختارها الطاعنون في الإسلام، هناك مصادفة أخرى غريبة، يجدها كل باحث فيما تكتبه هذه الأقلام ومن بينهم المعتدلون

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٢٤، العدد: ٢٤، ١٦/يونيو ١٩٨٣م.

www.abulhasanalinadwi.org

المزعومون الذين لم يسلكوا طريق المعاندين الجهلاء السابقين، من المؤرخين والباحثين في العلوم الإسلامية والمفكرين والقادة، هي التناقض في أفكارهم، فلا توجد فيهم وحدة إلا التشكيك أو الرفض، أو الانحياز، كما يظهر من ادعاء بعضهم بأن الإسلام خطر على الإنسانية، والحضارة، لأنه فرض الحروب والإكراه على عقيدة، وهم في الوقت نفسه يصرفون اهتمامهم أو يغضون بصرهم عن المآسي الإنسانية التي لا يستطيع أن يجهلها أي دارس للتاريخ، والتي وقعت في بلاد العرب قبيل عهد النشأة الثانية، في عهد سيادة الغرب، وهي سلسلة متواصلة تشاهد في كل عصر، وكل بلد، وما مارسته هذه الحكومات من وسائل إغراء وكبت وإكراه لفرض عقيدتها، ومحاربة عقيدة غيرها.

كان موقف هؤلاء الجاحدين علمياً وسياسياً، وعسكرياً، بإثارة الأباطيل والافتراءات والتحوير والتزوير، لمنع الإسلام من استئناف رحلته، ولمنع الدول التي ذاقت مرارة الاستعمار الغربي الصليبي من اعتناق الإسلام، ولإخماد شرارة الإيمان في العناصر الإسلامية التي كان لها تاريخ مجيد في تسخير العالم، مماثلاً لموقف المشركين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في وجود الغموض، والتناقض، وصدهم عن الإقبال على الاستماع لكلمة الحق، والذي وصفه القرآن الكريم بقوله﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[1]

يقول أحد علماء الغرب الذي يعتبر من خبراء الإسلام: إن الإسلام أسطورة تاريخية، ويقول غيره وهو عالم كبير: إن كل

[1] الذاريات: ٥٣

www.abulhasanalinadwi.org

حسنة في الإسلام مأخوذة من مصدر يوناني ، ويقول غيره : إن الإسلام نسخة مؤلفة عن الأديان السابقة السائدة في عهد الرسول ، ويقول أحدهم : إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان قائداً قومياً ، وغيره يقول : أنه كان ابن الصحراء ، ويعتبر أحدهم أنه كان قائداً سياسياً محنكاً ، لكنه لم يكن نبياً ، وغيره يشك في عقله فيتهم بالخيال و مسّ من الجنون ، فأي وصف من هذه الأوصاف يستند إلى العلم والبحث والتحقيق ، وما هي النقطة المركزية الجامعة بين قول وقول إلا الجحود والإنكار النابع عن حقد.

إن هذا التناقض في الوصف هو التناقض الذي كان يعاني منه المشركون المعاندون ، فقالوا عن القرآن الكريم إنه أساطير الأولين ، إنه شعر ، إنه سحر ، وهي أوصاف متناقضة متعارضة لا يشك فيها أحد ، وكذلك موقف قريش من منع الناس من السماع للقرآن الكريم ، ولقاء صلى الله عليه وسلم ، والاختلاط بالمسلمين ، لأنهم كانوا واثقين بأن كل من أتيحت له فرصة الاتصال أو السماع لكلمة المسلمين ، لا ينجو من الانطباع ، فيتغير حتى تلاحظ بشائر من قسمات وجهه ، وهناك أمثلة كثيرة في كتب السيرة ، لموقفهم المتناقض إزاء ذات النبي صلى الله عليه وسلم.

وأكبر دليل على كون بناء هؤلاء المعادين للإسلام على لبنات واهية ، أن كل من يجرؤ على الخروج من حصارهم العلمي ، ويتصل بالمسلمين ، ويدرس الإسلام خارجاً عن العنجهية دراسة موضوعية ، غير متعصبة ، ونزع عنه نظارته السوداء ، يصادف الحقيقة ، والحق في آن واحد ، ويعترف بأحقية الإسلام ، كما كان المشركون المعاندون في العهد الأول ، وليست أمثال هؤلاء العلماء

www.abulhasanalinadwi.org

الذين يرتمون في حضن الإسلام، وينكشف غطاؤهم وتبدو لهم أفكار علماءهم المسيحيين الحاقدين نسج العنكبوت، وخطواتهم العلمية خبط عشواء، ليست أمثالهم قليلة أو نادرة، فقد سعد كثير من أمثالهم بالإسلام وصار خادماً له، وعاملاً في سبيله، ويلتحق بهذه القافلة رجال في كل عصر، وقد انتصر الإسلام في هذا العصر أيضاً بأبناء الغرب الذين حولوا ولاءهم إلى الإسلام، وكان المنضمون إلى الصف الإسلامي من صفوف الأعداء عن علم، ومعرفة ودراية كانوا أكثر حماساً وعاطفة من المسلمين القوميين.

www.abulhasanalinadwi.org

التقدم العلمي وشقاء العالم [1]

لا يشك أحد له معرفة بالأوضاع الراهنة في العالم أن العلم والتقدم الحضاري، وتوفر الوسائل، لم يستطع أن يحقق للإنسان كرامته ويؤمن سلامته، ومهما ادعى حملة العلم فإن العلم اليوم وسيلة للتدمير والتزوير، أكثر من كونه وسيلة التعبير والتصحيح، كما أصبحت وسائل التعليم والتربية التي كان هدفها تنمية كفاءات الإنسان وتعريفه بمسئولياته في المجتمع، وتمكينه من تمثيل دوره في بنائه تخدم اليوم في تعريف الإنسان بمواضع الاستغلال وتحقيق مصالح الذات مهما كلف ذلك مجتمعه، وسبب للإنسانية من شقاء وحرمان.

جعل التعليم هدفه تحقيق الذات ثم أكد أهل العلم أهمية تحقيق رغبات الذات، ومطالبه، وعدم تقيد الإنسان بمبادئ وقيم، واتباع نواميس الأخلاق الثابتة التي أجمعت عليها جميع الأديان، والمذاهب الخلقية، لكيلا يؤثر ذلك على قوة الاندفاع في الشباب، فكان العلم أداة لتحقيق المطالب المادية، وبذلك وجد صراع بين إنسان وإنسان، وعلى النطاق الأوسع بين أسرة وأسرة، ودولة ودولة، لتعارض المصالح، وإصرار كل فريق على تحقيق مصالحه، وإعراضه عن مصالح غيره.

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٢٨، العدد: ١٨، ١٦/مارس ١٩٨٧م.

www.abulhasanalinadwi.org

وبهذا الطريق أصبح العلم اليوم وسيلة للهجوم والتضليل، بدل أن يكون وسيلة لتهذيب النفس، وتربية الذات، فتنشأ في ظل العلم مؤامرات ودسائس، وتخترع في مراكز العلم أداوات فتاكة لقتل الإنسان، وتعمل وسائل الإعلام لإخفاء الجرائم وتغطية انتهاكات حقوق الإنسان.

قد يكون هذا الحكم قاسياً واعتداء على حرمة العلم وشرفه، ولكن الواقع اليوم أكبر برهان على هذه الإساءة إلى العلم، والثقافة، وموقف أهل العلم خير دليل عليه بوضع العلم في غير موضعه، فإن الدول التي تستعمر الشعوب وتستغل شقاءها وتوزع الأسلحة الفتاكة لقتل الإنسان، وتنشر المبيدات للإنسان وتروج الانحرافات، وتحدث صراعات سياسية، لفرض نفوذها، هي الدول التي عرفت بارتفاع نسبة العلم، والثروة، والتقدم في الحضارة.

من هذه الدول المتقدمة في العلم والحضارة اسرائيل التي استولت على بلاد غيرها، وشردت مواطنيها الأصليين، وتعذب الشعب البرئ المسالم، وتمارس الوسائل الوحشية لقتل طموحه، ثم تتدخل في شؤون البلدان الأخرى، وترسل جيشها لقتل الأبرياء، وتمطر على المواطنين العزل القنابل المحرقة، وترفض جميع مطالب المنابر الدولية، وتخالف حقوق الإنسان ويؤيد جرائمها، علماء باحثون وأصحاب أقلام والفائزون بجائزة النوبيل في الدول الأوربية.

من هذه الدول المتقدمة في العلم والحضارة الاتحاد السوفيتي، الذي يحتل بلداً مجاوراً ويقتل أكثر من مليون شخص،

www.abulhasanalinadwi.org

ويشرد أربعة ملايين ويشوه وجوه ملايين أخرى بالحرق، ثم يسلب حقوق المواطنين في بلاده ويلزمهم باتخاذ مذهب ضد رغباتهم، ويهاجم عقائدهم ويرفض أن يمنح حق تقرير المصير لمناطق شاسعة أدخلها في خريطته إرغاماً وقسراً.

من هذه الدول المتقدمة في العلم والحضارة، والتي ادعت زمناً طويلاً بزعامة العلم والحضارة، وعبرت العالم كله بالجهل، والفقر والتخلف، بريطانيا التي استعمرت البلدان، وقهرت الشعوب، وشوهت الأديان، والمذاهب الفكرية، وزورت التاريخ وقضت على اللغات والثقافات المحلية وفرضت عليها لغتها وفكرها وثقافتها، وهي التي غرست مشاكل فلسطين، وقبرص، والطائفية، والعنصرية، التي غذّتها بلبانها، فتركت العالم يتشاجر ويتصارع.

ومن هذه الدول المتقدمة في الحضارة أمريكا التي قذفت القنبلة الذرية على الأبرياء فقتلت مئات الألوف من الناس، ثم سفكت دماء العزل في فيتنام وهي تحتضن إسرائيل وتحميها لتواصل جرائمها، وتوزع الأسلحة الفتاكة على الفريقين المتحاربين إيران والعراق، وتساعد الإرهاب، وقوى التمرد في العالم.

ومن هذه الدول المتقدمة في العلم والحضارة فرنسا، التي قتلت أكثر من مليون شخص كانوا يطالبون بحق تقرير المصير في الجزائر، وتشعل النيران اليوم في تشاد، وفيها نشأت مذاهب وفلسفات دعمت التخريب والضلال الفكري في العالم.

إن العالم اليوم يشقى ويعاني بنشاط مؤسسات العلم الذي جرده أصحابه عن المثل والأخلاق والقيم، وما يدل على هذا

www.abulhasanalinadwi.org

الانحراف في مسار العلم وجود الشغب والاضطراب والفوضى في مراكز العلم، كالجامعات، والكليات، واحتضان المتعلمين، من الأساتذة والطلبة، للحركات الهدامة، وقد أصبح ذلك ظاهرة عامة، فيواجه كل بلد الاضطراب والعنف في مدارس التعليم أكثر مما يواجهه في المصانع والمعامل.

لقد أصبح العلم أكبر تحد للثقافات والعلوم التقليدية، وأكبر خطر على سلامة الإنسان وشرفه لأنه قوة مطلقة غير مقيدة، ولا يمكن توجيه العلم إلى التعمير والبناء إلا إذا قيد بحقوق وشروط، وتوجيه سليم وبيان موضع استعماله وممارسة نشاطاته وربطه بنور النبوة إلا يكون العلم بغياً وطغياناً.

www.abulhasanalinadwi.org

فلسفة التربية والتعليم في الغرب وتأثيرها على العالم اليوم[1]

إن وظيفة التعليم هي نقل علوم معينـة ، ولا يتحقـق إعـداد رجل مثقـف مسئول واع بمسئولياته إلا بالتربيـة الذهنيـة والخلقيـة ، وقـد يكــون التعليـم وسـيلة لنقـل الأفكـار ، أو نقـل العلـوم ، أو التدريـب على بعـض الأعمـال المهنيـة ، ونقـل نظريـات وفلسـفات وآراء علمية ، وطرق عمل وصناعة.

ولكن وظيفة التربية أوسع من وظيفة التعليم ، فـهي عمليـة شـاملة تتنـاول جسـد الإنسـان ، ونفســه ، وعقلــه ، وعـاطفتــه ، وسـلوكه ، وشـخصيته ، وتكـوّن مواقفـه ومفاهيمـه ومثلـه وطريقـة حياتـه وطرائـق تفكـيره ، تتناولــه في البيــت ، وفي المدرســة ، وفي الشـارع ، وفي النـادي ، وفي دور العبـادة ، وفي السـوق ، وفي العــالم الواسـع الرحيـب ، وهــي تعنـى بتهيئة الطفـل لحياتـه المقبلـة ، وتعينـه على أن يحيا حياة تسمو به إلى مستوى المثقفـين الواثقـين بـالنفس ، والقــادرين علــى الاســتفادة مــن كفاءاتــهم وصلاحياتــهم واستعداداتهم العلمية والعقلية والفكرية والشعورية ، وليس بمجرد مصلحـة الـذات والفـرد ، بـل لمصلحـة أوسـع ، ولذلـك هـي أوسـع وأشمل من التعليم ، وإن كان التعليم جزءاً منها.

[1] نشر في "الرائد" السنة : ٣٨ ، العددان : ١٨-١٩ ، ١٦/مارس وأول أبريل ١٩٩٧م

www.abulhasanalinadwi.org

وتلعب التربية دوراً أهـم مـن التعليـم لأن التربيـة هـي بمثابـة تكييف ذهن الفرد الذي هو عضو فعال من أعضاء المجتمع ، والفرد المتعلم الذي نال تربية خاصة ، واكتشف صلاحياته الكامنة وعـرف صلاحيات واستعدادات الأفراد الآخرين الذين يتعامل معهم يملـك نفوذاً وتأثيراً أكبر من غيره من المتعلم الذي كسب العلوم والفلسـفة لا التربية الذهنية.

كـانت التربيـة النفسية والذهنيـة عنصـراً كـاملاً للتعليـم في العهد الإسلامي ، وكان التعليم مرتبطاً بالتربية الدينية والخلقية.

وكان اكتشاف أهمية التربية وتوجيهـها لـدى علمـاء الغـرب وسيلة فعالـة وسـلاحاً قويـاً لاستعمار العقـول لـدى اسـتعمارهم واستيلاءهم على النفـوس والأراضـي ، والعقـول ، كمـا كـان ربـط التربية بعلـم النفس والاستفادة بتجـارب علمـاء النفـس في التربيـة عونـاً كبـيراً في تسـخير القـوى ، واسـتمالة الرغبـات ، وتوجيـه الأذهان ، وترسيخ القيم الغربية في نفوس المستعمرين.

كانت هذه الأهـداف أهدافاً ماديـة خالصـة ، وقـد سيطرت هذه الأهداف علـى عقليـة العلمـاء والفلاسـفة في الغـرب في إعـداد برامج التربية والتعليم.

وقـد دخـل في مفـهوم التربيـة عنصـر الحريـة والاسـتقلال وإثبـات واحـترام الرغبـات والميـول الطبيعيـة والغريزيـة في العـهود الأخيرة ، وهو العنصر الذي وسع الخليـج بـين التعليـم وبـين الديـن ونظامـه الأخلاقـي ، وكـان للثـورة الفرنسية تأثير كبـير علـى هـذا الاتجاه في التربية.

يرى كاتب من كتـاب الثـورة الفرنسـية "موندرسـية" ١٧٤٣ـ

www.abulhasanalinadwi.org

١٧٩٤م، أن التربية يجب أن تعمل أولاً على أن تتيح لكل فرد من بني الإنسان جميع الوسائل التي تمكنهم من سد حاجاتهم، وزيادة رفاهيتهم ومعرفة حقوقهم وممارستها وفهم تحديد التزاماتهم.

وينادي جين جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م) وهو من أنصار حرية الفرد بأن التربية يجب أن تعمل على أن يتمتع الطفل بحاضره، ويجب أن تحترم رغبات الطفل، ويقول: ماذا نفيد من تلك التربية الوحشية التي تضحي بحاضر الطفل من أجل مستقبل مضمون، ماذا نفيد من تعاسته العاجلة في سبيل المناداة لسعادة آجلة غير مضمونة، قد لا يعيش ليتمتع بها.

وقد كان لروسو أثر عظيم في تحويل أهداف التربية لدى من جاء بعده من المربين.

كان ذلك مذهب روسو وأتباعه المتأخرين الذين يؤمنون بتحرير الطفل والطفولة، واحترام رغبات الفرد، وهناك مفكرون اختلفوا معهم، منهم" هيجل" (١٧٧٠ ـ ١٨٣١م)، فيعتقد أن الذاتية يجب أن لا تنال التشجيع، بل يجب أن تهتم التربية بتشجيع روح الجماعة.

وفي منتصف القرن التاسع عشر نادى "هربات سبينسر" (١٨٢٠ـ ١٩٠٣م)، وهو فيلسوف إنجليزي اجتماعي بأن الهدف من التربية هو الإعداد للحياة الكاملة، وتتكون الحياة الكاملة من العناصر الآتية:

المحافظة على الذات، الغيرة على كسب القوت، مشاركة الفرد في الحياة الاجتماعية والسياسية، مساهمته في الحياة الأدبية والثقافية.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كان لفلسفة" جون ديوي" في سنة ١٩٢٠م وزن عظيم في تحديد أهداف التربية التقدمية، وجعلها تدور حول الطفل، وصار هدف التربية يدور حول النزعة الفردية، وهي وليدة المدرسة" الفرويدية" ولكن انتقد هذا الاتجاه بعض المفكرين في التربية، واعتبر أن النمو قد يكون طيباً وغير طيب ولابد من تحديد وتوجيه النمو.

ويدعو المذهب "البراجماسي" الذي يعتبر "جون ديوي" من أنصاره إلى تأكيد الأغراض الإنسانية، وهو يهاجم التفكير الفلسفي القديم، وطرق التدريس القديمة والتقاليد القديمة، ويدعو إلى الاجتهاد والتحرر ويرفض بتاتا أن يكون الطفل في موقف سلبي، يقلد آراء غيره، ونتائج تفكير الناس، بل يتطلب من الطفل أن يقف موقف الباحث المنقب عما يصفه بالحقيقة.

يتضح من استعراض هذه المفاهيم والأهداف المختلفة أن كل فكر يخضع لظروف خاصة نشأ فيها، ويتجلى في هذا الاستعراض أن الاستعباد وكبت حرية الفرد، واستغلال الطبقة المترفة للطبقة المضطهدة في العهود التي تطورت فيها هذه الأفكار، قد لعب دوراً حاسماً في توجيه هذه الأفكار، ويظهر كذلك أن التربية اليونانية القديمة، كان لها الأثر البالغ في نشأة واتجاه هذه الأفكار، وقد خضعت لها المسيحية نفسها واصطبغت بها.

كان هذا الموقف إزاء التعاليم مسئولاً إلى حد أكبر عن غسل دماغ الأطفال المسلمين الذين نشأوا في جو نظام التعليم الغربي، فإنهم كسبوا المعرفة، ولكنهم كسبوا مع ذلك الحرية الفكرية المطلقة، وتطور فيهم موقف الشك في آراء وأفكار

www.abulhasanalinadwi.org

المتقدمين ، ونشأ فيهم الاتجاه إلى التحرر عن كل رباط وقيد فكري وثقافي ، لقد كان لثورة المفكرين في أوربا على الدين والأخلاق ، والنظام الاجتماعي مبررات ، فقد كان عهدهم السابق عهد القمع والكبت والتقليد الأعمى ، والجهالة ، وسيطرة الكنيسة ، لكن المسلمين كانوا في ذلك العصر أصحاب علم ومعرفة وثقافة عالية.

كان العالم الإسلامي في العصر الذي نشأت في أوربا مراكز للبحث والتحقيق ، وكان العلم يساير الحياة ويحل مشاكلها ، ويوفر وسائل لرفع المستوى ، كان العالم الإسلامي في أحط أدواره يواجه الجمود والتخلف ، فاضطر إلى الاقتباس من الغرب في مجال العلم والتربية والثقافة ، فأتيحت للغرب فرصة للتوغل الفكري إلى العالم الإسلامي.

وتجتمع هذه الأفكار كلها على تحويل التعليم إلى خدمة الأغراض المادية ، وتجريده من جميع الالتزامات الخلقية أو الدينية ، وهي أساس الحياة ، وطبيعة البشر ، ولذلك اتجه التعليم المعاصر إلى محاربة الأخلاق الفاضلة ، والشرائع السماوية ، وسادت روح الفردية ، والنفع الذاتي ، رغم كل ما يدعي بأن الإنسان اليوم يتميز عن غيره بالحياة الاجتماعية ، والثقافة العالية ، وأن العالم اليوم وحدة متكاتفة ومتعاضدة.

كانت الجناية الكبرى أن العالم الإسلامي الذي كان معلم الإنسانية في الأخلاق والثقافة الدينية ، والعلم المقترن بالأخلاق ، والربانية ، أصبح فريسة لهذا التصور الخاطئ الناقص المجرد عن الأخلاق لسيطرة الغرب ، فأصبحت مراكز التعليم فيه مصدر القلق والاضطراب ، وتنطلق جميع الاتجاهات المخربة التي تفكك

www.abulhasanalinadwi.org

المجتمع، وتمزق الحياة العائلية، وتخالف المثل الخلقية، من مراكز التعليم وتحمل هذه الأفكار الطبقات المتعلمة والمثقفة أكثر من غيرها من الطبقات، يقول أحد علماء التعليم في الغرب: لا ريب أن ذهاب الطلاب الشرقيين إلى أوربا وأمريكا يكسبهم شيئاً من أساليب الحياة الغربية ومن الاتجاه الغربي في التقليد والعلم والسلوك، وما إلى ذلك، ولا ريب أيضاً في أن لذلك حسناته وسيئاته، ولكن المبشرين يريدون أن يفيدوا من دراسة الطلاب الشرقيين في الخارج أمراً آخر، إنهم يريدون أن يجعلوا من هؤلاء الطلاب نصارى بالفعل أو مماثلين للنصرانية.

ويدل الاطلاع على تاريخ الحركات المعاصرة التي اجتاحت العالم الإسلامي، وخاصة العالم العربي على أن نقلة سموم هذه الحركات كانوا من المتعلمين في ظل هذا النظام التعليمي، سواء في داخل البلاد أم في خارجها، حتى الإرهاب، مصدره التعليم الغربي، وهو حقيقة لا ينكرها مطلع على الظروف، والأحوال في أوربا، وكذلك الأصولية المزعومة، ولا يمكن التغلب على هذا الاتجاه المعاكس إلا بتغيير جوهري لنظام التعليم ومنهج التربية في العالم الإسلامي.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الرابع

تلاعب بالمصطلحات

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

المصلحون والمفسدون [1]

إن الشعور العام لدى المثقفين بالثقافة الغربية من المسلمين أن أوربا استغنت عن الدين وأن التقدم الذي أحرزته في عهد النهضة يرجع إلى ثورتها على الدين، ولكن التجربة مع أوربا والصلة بمختلف مؤسساتها ومنظماتها للخدمات الإنسانية والتعليمية والإعلامية وحتى الاقتصادية منها، والاتصال بمفكريها ورجال الفن فيها، يكشف عن استمرار صلتهم بالدين بشكل من الأشكال أو بقدر من الأقدار، ويتضح هذا الارتباط بالدين في سلوكياتهم وأفكارهم ويبدو هذا الارتباط راسخاً في شعورهم وميولهم، ويعترف بذلك كل من أتيحت له فرصة الاتصال بأي فرد من أفراد المجتمع الأوربي، ويقترن بهذا الانتماء الديني، الانتماء القومي والعنصري.

لقد ثبت بالتجربة مع العلم أن تصور التخلي عن الدين أو التحرر منه تصور خاطئ، وأن أي مجهود يبذل لسلخ الإنسان من التصور الديني مجهود ضائع، وقد أجريت في السنوات الأخيرة إحصاءات عن نسبة أتباع الدين، وغيرهم فدلّت هذه الإحصاءات على أن نسبة ضئيلة من الناس لا تتبع أي دين، ويظهر ارتباط أوربا بالدين بتحمسها الزائد لنشر المسيحية في العالم، ووجود

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٤٠، العدد: ١٦، ١٦/فبراير ١٩٩٩م.

www.abulhasanalinadwi.org

منظمات ودعوات دينية تنال دعم الحكومات الراقية التي تدعي بالعلمانية والسياسة الحرة و النفقات الهائلة التي تصرف على إنشاء الكنائس ومدارس التبشير، ونفوذ الرهبان والأساقفة الذين ازداد عددهم بصورة هائلة، وانتشار الكنائس وتوزيع الكتاب المقدس، وقد سخرت أوربا جميع الوسائل المتوفرة لنشر الدين المسيحي، واستخدمت لهذا الهدف المنابر الدولية والمؤسسات الاقتصادية والثقافية في الدول الخاضعة لنفوذ أوربا، وهو أمر جلي لا يخفى على أحد، ولا تخفيه أوربا نفسها.

كان تصور إبعاد الدين عن الحياة قد تجدد بقيام الثورة الشيوعية، عند ما أعلن دعاة الاشتراكية أن الدين عدو الاشتراكية الأول وجاهر زعماء الاشتراكية عداءهم للدين، ولكن كانت هذه الدعوة أيضاً موجهة إلى المسلمين وحدهم، فقد كان المسلمون الهدف الأول للإجراءات التعسفية واحتفظ زعماء الاشتراكية في روسيا بالنصرانية وعصبيتهم للجنس الأوربي المسيحي، وكراهيتهم للإسلام والمسلمين وإجراءاتهم القاسية لتصفية العنصر الإسلامي بالإبادة والتشريد، وقمع الحريات الدينية والسيطرة على المساجد، ومراكز التعليم والتربية، وفرض الحظر على مواد القراءة الدينية، واستمرت هذه العمليات بدون أي هوادة فيها ولا تزال تستمر في الدول الخاضعة لنفوذ روسيا رغم سقوط النظام الاشتراكي، وظهر بذلك أن عداءهم للدين ليس إلا عداء للإسلام.

ويشاهد مثل هذه المفارقة في محاربة الدين من جهة واحتضانه من جهة أخرى في البلدان التي تتبع الفكر الأوربي، فإنها متسامحة

www.abulhasanalinadwi.org

مع النصرانية ومتعاونة مع الكنيسة ورجال الكنيسة ، وتوفر كل حرية للنشاط والعمل التبشيري ، وتحتمل جميع المؤسسات التي تنشر المسيحية أو تحببها إلى النفوس وتحتمل مظاهر النصرانية كالصليب وصور وتماثيل السيدة العذراء والسيد المسيح وصور الرهبان والراهبات ، وتحتمل مدارس التبشير والمنشورات التبشيرية حتى في الجزيرة العربية التي ورد عنها النص الشرعي أنه لا يجتمع فيها دينان ، والدول الإسلامية المجاورة ، وتحتمل وجود الكنائس ولا تضع عليها رقابة ، كانت تشجع المؤسسات والمنظمات التي تحارب الإسلام والثقافة الإسلامية ، وترغم الدول الإسلامية على اتخاذ إجراءات لقمع الاتجاه الديني ، واعتباره إرهاباً ، فيتصعد في هذه البلدان النشاط التبشيري ، والصهيوني والإباحي.

لقد أصبح فرض الرقابة على النشاطات الإسلامية وإنشاء أحزاب دينية وجماعات دينية إسلامية معروفاً في البلدان الإسلامية بينما يتمتع رواد أوكار الفساد والجرائم بحرية كاملة ، وكذلك ورود الصحف والمجلات والمنشورات المفسدة والمثيرة مسموح به في الدول الإسلامية ، أما مواد القراءة الإسلامية ومؤلفات كبار العلماء الإسلاميين فمرفوض لأنه في زعم هؤلاء المتحضرين ينمي طبيعة الإرهاب ، ويعادي الحضارة الغربية ، ويسئ إلى مصالح الدولة.

ويدل هذا الموقف على أن المراد من الدين هو الإسلام في كل بلد ، لأن هذه الحكومات تحتمل الحركات لإحياء التراث والديانات ، والعقائد القديمة ، التي أكل عليها الزمان وشرب ، وكذلك تحتمل إحياء اللغات والثقافات القديمة ، ولا تعتبر الإقبال على هذه الأعمال تخلفاً ولا رجعية ولا إرهاباً ولا عنصرية ولا

www.abulhasanalinadwi.org

ضيق فكر، ولا عقلية متحجرة، وتسمح للطوائف والفئات الدينية الأخرى غير الإسلامية بنشر أفكارها، وخزعبلاتها في البلاد، وإنشاء مراكز تربيتها للناشئين، باسم حرية الأديان وحرية العقيدة، وتفرض الدول الأوربية ضغوطها لمنح هذه الفئات حرية العمل في المجتمع الإسلامي.

أما الإسلام وهو أحدث الأديان وأرقاها وأوسعها فكراً وإنسانية وسماحة وحرية وأقربها تجربة وعملاً، فهو محارب في بلاد المسلمين كما هو محارب في بلاد غير المسلمين حيث لا يمكن الدعوة إليه، ولا يمكن تأليف حزب للعاملين في سبيله، ولا يمكن التشاور بين الإخوة المسلمين من أجل كلمة الإسلام، ويعتبر ذلك لقاءاً إرهابياً، ودعوة إلى العنف وعودة إلى الوراء، وقد نعت الإسلام بذلك قديماً وحديثاً في كتب المفكرين الأوربيين ولا يزالون يرددون هذا التصور المزعوم.

إن القضية ليست قضية أعداء الإسلام، فلا نرجو الأعداء أن يسمحوا بنشر الإسلام، وإنما القضية قضية الذين يقولون إنهم مسلمون ويبدون صلتهم بالإسلام، وزعامتهم لبلد إسلامي، إنهم يخيبون كل مجهود للدعوة الإسلامية، ويشتتون شمل الدعاة، ويشردون العاملين له، ويفرضون القيود على تحركاتهم، ويعتبرون ذلك خدمة لبلادهم، ويعتبرون دعاة الإصلاح مفسدين وهم كما يقول القرآن: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[١] إنهم بوضع هذه العقبات في سبيل الإسلام يعملون لبقاء الاستعمار، ومنحه فرص استغلال ثروات المسلمين، وتحطيم قوة الشباب من

---

[١] سورة البقرة: الآية: ١٢

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين والمفكرين المسلمين، ويبددون ثروة البلاد أو أنهم مخدعون بدعاية أوربا التي قامت بها في عهد الاستعمار ولم يستطع هؤلاء الحكام التخلص من تلك العقلية الاستعمارية.

إن الدين ضرورة بشرية، ولم يستطع أحد أن يستغني عنه وهو مصدر سعادة الإنسان، وطمأنينته القلبية، وكل مجتمع محروم من هذه السعادة الداخلية يعيش في شقاء وحرمان، ولذلك تنتشر الحركات الدينية بسرعة أكثر مما تنتشر به الحركات السياسية أو الاجتماعية، ويجري الآن العمل على إحياء الصلة بالدين في جميع أنحاء العالم من الهندوكية، والنصرانية، واليهودية، و البوذية، وتساعد حكومات دول هذه البلدان هذه الحركات الدينية، لأن اللجوء إليها يمنحها شعبية، ويشاهد هذا النوع من التزامل في الهند، وقد تصعد هذا الاتجاه أخيراً وتشجع الحكومة الحاضرة المنظمات الهندوكية التي تدعو إلى تهنيد البلاد ودمج كل كيان في الإطار الهندوكي، وتجري تعديلات في نظام التعليم والتربية، وتطالب المنظمات الهندوكية برعاية الحكام بالعودة إلى الهندوكية، وتنشط المنظمات العاملة لتحقيق هذا الغرض بدون أي معارضة من رجال الحكم، وتسعى هذه المنظمات إلى نشر عقائدها في الدول الأخرى، وتتدفق عليها الوسائل المالية من الداخل والخارج.

ولكن المنطقة المحرومة من هذا التزامل والتضامن هي منطقة البلدان الإسلامية، حيث يحارب الحكام رغبات الأغلبية، يواصلون مجهوداً ضائعاً، وغير مثمر لأنه مجهود يتعارض مع رغبات الشعب، ويقوم على وهم، وجهل للواقع، ومحاولة لإرجاع البلاد إلى عهد الاستعمار.

www.abulhasanalinadwi.org

محاربة الأصولية ستار[1] لمحاربة الإسلام

يطلـق الغربيـون والإعـلام المعـاصر كلمـة الأصوليـة (Fundamentalism) على المحافظين الدينيين، واقتصر استعمالها اليوم على الإسلاميين الذين يطالبون بالعودة إلى الإسلام، والواقع أنه تعبير نصراني، وله تاريخ وخلفيات، وقد استعمل هذا اللفظ كرد فعل لثورة أوربا على الدين، وقيام حكومات علمانية، وتحديد دور الكنيسة، والخضوع الكامل للعلم والعقل، فكانت الأصولية محاولة لاسترداد نفوذ الكنيسة، ويقصد هذا اللفظ التمسك الحرفي بالإنجيل، وهو الإيمان بما ورد في الإنجيل، واتباعه في الحياة، ورفض الآراء العلمية والنظريات الحديثة، ورفض كل نقد للإنجيل، ورفض الفصل بين الكنيسة والدولة، والطلب إلى السياسيين أن يأخذوا قراراتهم حسبما أمر الله، وأن فهم الأصوليين هو الفهم الوحيد والصحيح على الإطلاق، جاء في الموسوعة البريطانية :

"ترجع نشأة الأصولية النصرانية إلى القرن التاسع عشر الميلادي، حيث عقدت حلقات المؤتمرات للبروتستانت المحافظين، وفي آخر هذه المؤتمرات وهو مؤتمر نياجرا عام ١٨٩٥م أعلنت

---

[1] نشر في "الرائد" السنة : ٣٧، العدد: ١٢، ١٦/ديسمبر ١٩٩٥م

www.abulhasanalinadwi.org

حركة الأصولية وفي فترة ما بين عام ١٩٠١ـ ١٩١٥م، نشر الأصوليون عدة كتيبات بعنوان الأصوليات، واستعملت عبارة الأصوليين للدلالة على العناصر المتمسكة بالتعاليم الدينية التقليدية، واستطاعت الجماعات في الولايات المتحدة خلال الفترة الأولى لنشأتها من استمالة خمسين ألف شخص".

نقل الغربيون مصطلح الأصولية إلى العالم الإسلامي، وبدأوا ينظرون إلى الأحداث والتطورات الاجتماعية والدينية والسياسية، بهذه النظرة القاصرة كما نظروا إليها في السابق برؤية القومية والوطنية، والصراع بين الدين والدولة، والدين والعلم، والتطور، ووصموا به الطائفة الخاصة من المسلمين التي تدعو إلى المحافظة بتعاليم الدين بالأصولية، ويمكن تحديد الفترة الزمنية التي انتقل فيها هذا المصطلح ما بعد عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م حيث وقعت عدة أحداث نسبت إلى من يقلدون الإسلام ويدعون إليه، وازدادت سطوة المنظمات الشيعية في لبنان، واغتيل أنور السادات، وحدثت الثورة الإيرانية، وطالبت بعض المنظمات والحركات الإسلامية حكومات بلدانها بتطبيق الشريعة، ونادت بالعودة إلى الإسلام.

يقول الدكتور باتريك رايان: إن إطلاق اسم الأصوليين على العديد من الناس قد أصبح شائعاً في الكتابات السياسية والصحفية في السنوات الأخيرة، ومع نهاية عام ١٩٨٠م (١٤٠٠-١٤٠١هـ) كانت الصحف الأمريكية تنشر الكثير عما تسميه بالمد الذاتي من الأصولية الدينية.

ويرى بعض الكتاب أن اصطلاح التطرف المقابل في

www.abulhasanalinadwi.org

الاستعمال لمصطلح الأصولية، استعمل أول ما استعمل في إسرائيل عند ما بدأ المسلمون يعودون إلى ذاتيتهم، ويعودون للإسلام كمصدر للعزة، وطريقاً للنصر.

وأثارت الصحف الغربية وإعلام إسرائيل ضجة على تصعيد الاتجاه الديني في المسلمين، وأبدى القادة السياسيون تخوفهم بالمتمسكين بالإسلام، وتصعدت هذه الحملة في مستهل القرن الخامس عشر للهجرة، وقام الكتاب الغربيون بتفسير الأحداث في العالم الإسلامي في ضوء هذا التصور، ثم عقدت مؤتمرات للقادة والمفكرين في أوربا لمواجهة هذا الخطر، ووصف بعض القادة الإسرائيليين أن الاتجاه الإسلامي أخطر من القنابل والقوات المسلحة، وتحقق تخوفهم هذا بحرب الحجارة التي شنها الإسلاميون، وحركة حماس التي زعزعت كيانهم وأجبرتهم على الدخول في نوع من الصلح.

المفهوم الغربي للأصولية الإسلامية

كانت الأصولية النصرانية حركة سلبية مناوئة للعلم والحضارة، ولكن الأصولية الإسلامية في نظر الغربيين هي اتباع أصول الإسلام، فيرى هايرد ليمحان وهو نصراني أرمني أمريكي الجنسية، وأستاذ العلوم السياسية بجامعة نيويورك، ومحاضر في شؤون الشرق الأوسط في معهد الحركات الخارجية الأمريكية، أن مظاهر الأصولية الإسلامية هي كما يلي:

١. أداء الصلوات الخمس في المسجد بانتظام.
٢. المحافظة على أداء الأركان الخمسة.
٣. العمل على الأخذ بحياة مثالية مع اجتناب ما حرمه القرآن مثل

www.abulhasanalinadwi.org

الخمر.

٤. التأمل الديني وقراءة القرآن، والكتابات الإسلامية بانتظام.

٥. المشاركة في الأنشطة الجماعية التي تنظمها الجمعيات الدينية

٦. تربية اللحية، وقص الشوارب كعلامة للإخلاص.

٧. ارتداء الملابس المعينة للنساء والرجال.

وذكر أن هناك ألفاظاً يكثر من استخدامها الأصوليون، وهي الجاهلية والفساد، والتوحيد، مكروه، افتراء، كافر، أعداء الله، قوى الشر والظلام، والموت، بدعة، طاغوت، ملحد، ضال، زنديق، نصر من الله، وفتح قريب، المساكين والفقراء، الحلال والحرام.

ويقسم دانييل بابير المسلمين المعاصرين إلى ثلاث فئات: علمانيون، إصلاحيون، أصوليون.

ويقول عن الأصوليين: إنهم يرون أن الشريعة واجبة التطبيق، ولذلك يرى الحكام في الدول التي تتبع النظام العلماني للحكم في الأصولية خطراً على كيانهم لأنهم ينظرون إلى الأصولية الإسلامية في مرئية الأصولية النصرانية السلبية، فيحاربون كل حركة أو جماعة تطالب بالعودة إلى الإسلام، وتصعد هذا الخوف، فبدأوا يحاربون المعاهد والمؤسسات الدينية بحجة أنها تقوم بتوليد نزعة الأصولية، وقد فرضت بعض الحكومات الحظر على الكتاتيب والمعاهد القرآنية، وقامت بتحويل الجامعات الإسلامية إلى كليات عصرية، وغيرت مناهج الدراسة، وفرضت الحظر على المظاهر الإسلامية، وبلغ هذا الخوف في بعض البلدان حد ملاحقة رواد المسجد والمهتمين بالصلوات الخمس

www.abulhasanalinadwi.org

وتأديتها في مسجد واحد.

لقد كان من الطبيعي أن يسود القلق في أوربا بنمو الشعور بالذاتية، والوعي الإسلامي، وبذل المجهودات للعودة إلى الإسلام، لأنه يدل على خيبة الشعوب الإسلامية في البحث عن السعادة والكرامة في ظل سيادة الغرب، لكنه من الغريب أن يشارك هذا القلق قادة العالم الإسلامي المسلمون، وأن يتحمسوا لمحاربة الدعوة إلى الإسلام والعمل له كتحمس القادة الأوربيين والنصارى واليهود.

إن استعمال هذه الكلمة في الواقع تورية من أعداء الإسلام لمحاربة الإسلام، فإنهم أدركوا قوة الإسلام النامية، وعلموا أن محاربة الإسلام علناً تكسب عداء الشعوب الإسلامية، لأن هذه الدول لها مصالح مشتركة مع الدول الإسلامية، وكيف كان يمكن لها أن تطالب الدول الإسلامية بمحاربة الإسلام ومنع اتباع تعاليمه أو تعلن عداءها للإسلام، فاتخذت هذا العنوان الخادع وهو الأصولية والتطرف، وقد اتخذت الدول الأوربية هذه الاستراتيجية لاستعمال لفظ جديد لمحاربة الاتجاه الديني، واعتباره مضاداً للتقدم والحضارة، وإعطاء تصوراته نزعة أو حركة سياسية للاستيلاء على الحكم بإطاحة النظام القائم، وتستغل هذه الجهات بعض التصرفات الطائشة لبعض الشباب المتحمسين.

والواقع أن وسائل القمع التي تتخذها الحكومات في الدول الإسلامية وقمع ممارسة النشاطات الدينية، ومراقبة كل من يحمل الاتجاه الديني، أدت إلى رد فعل عنيف، وساعدت على نمو هذا الاتجاه وتضخمه، وأن محاكمة الدعاة إلى الإسلام، وتعذيب

www.abulhasanalinadwi.org

رجال الدين، وفرض القيود على تحركاتهم وكتاباتهم، وتقييد النشاطات الدينية، أحدثت كظاظة في النفوس، وزادت من التذمر ضد النظم القائمة، وحملت بعض الشباب على القيام بأعمال طائشة بجراء السخط والغضب، وأخذ الثأر، وأن هذه الإجراءات القاسية ضد النشاط الديني، وفرض قوانين معادية للدين، والأخلاق، واتباع الحضارة الغربية، ومنح الملحدين والدهريين وغير المسلمين حرية مطلقة للقول والعمل، كل ذلك كان سبباً لنشأة التذمر في الشباب المسلمين.

إن منهج الدعوة إلى الإسلام والسعي إلى إقامة نظام إسلامي هو منهج الدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالذي هو أحسن، وقدم له الصالحون والمصلحون في عصور مختلفة من التاريخ نماذج للتضحية، ونكران الذات، وتحمل الشدائد في سبيل الدعوة، ويدل تاريخ الدعوة والدعاة على أن الدعاة إلى الإسلام والعمل بتعاليمه، كانوا يجزون من أساء إليهم بالحسنى، أما العنف أو الاعتداء أو التآمر فهو غريب عن منهج الدعوة الإسلامية ولا صلة له بمنهج الدعوة، وإنما هو منهج مستورد ومقتبس من الحركات الأوربية المعاصرة التي اتسمت بالإرهاب، والعنف واستخدام وسائل القمع والكبت للمعارضة والتلفيق، والإضلال، واتخاذ كل وسيلة لتحقيق الأهداف المنشودة، شرعية وغير شرعية، وكانت الاشتراكية خير مثال ونموذج، لهذا المنهج الإرهابي، فإنها استباحت خلال شيوعها كل وسيلة لإسقاط أي نظام لا يلائمها، وإسقاط أي شخصية لا تتفق معها، وإبادة أي عدو من الناس من أجل بقاء نظامها، وسد جميع

www.abulhasanalinadwi.org

المنافذ للحرية.

إن الإسلام دين الأمن، ودين القيم الخلقية النبيلة، يصون كرامة الإنسان، وشرفه، ويعلم منهجاً إنسانياً نبيلاً للحياة، ويكوّن مجتمعاً إنسانياً متعاطفاً مواسياً مساوياً، لا فضل فيه لطبقة على طبقة، ولا لجنس على جنس آخر، وقد اجتمعت تحت لوائه العناصر المختلفة والأقوام المختلفة، ويكوّن مجتمعاً عالمياً موحداً، لا إكراه فيه، ولا تفرض في نظامه عقيدة أو منهج لطبقة على طبقة أخرى، وتضمن فيه حقوق الفرد والجوار والعائلة، والمواطنة، وهو ككتاب مفتوح، ومن يوفق لدراسة الإسلام بقلب غير متحيز يتأثر به، ويعترف بنقائه وسداده، وسيعترف الغرب قريباً أو بعيداً بأنه كان على خطأ بمحاربته لهذا الدين الحنيف، والعاملين في سبيله، وإنه أساء إلى العالم أكثر مما أساء إليه بالحربين العالميتين.

إن هذا العالم المفكك الذي تمزق فيه المجتمع الإنساني، وسادته الصراعات بين مختلف الأجناس والعناصر، وتمزقه القوميات والإقليميات والطائفية، ووصل لسوء التدبير إلى الإفلاس الخلقي، لفي أشد حاجة إلى من يأخذه بحجزه ويُنقذه من الوقوع في الهاوية، وهو على وشك الوقوع فيها، والإسلام هو الأمل الوحيد، لبقاء الإنسانية، فإذا ذهب التمييز بين الخير والشر، وبين الإنسان وغير الإنسان، وذهب الشعور بالمسئولية عند الخالق، والالتزام بالمبادئ الإنسانية والقيم ورعاية الحدود، فلا أمل في الإنسانية.

www.abulhasanalinadwi.org

الأصولية تعبير يطلق على التمسك بالقيم الثابتة [1]

تختلف مواقف الناس إزاء مسائلهم التي يواجهونها في حياتهم باختلاف طبائعهم ونشأتهم وتتنوع مناهجهم، فمن الناس من يتصف بالتفكير والتدبر والتعمق في الأسباب والدواعي، فيعدل موقفه حسب تفكيره ودراسته، والنتائج التي تترتب من عمله، ويتعظ بغيره، ويصلح حاله، وينظر إلى من يهديه ويرشده إلى طرق الخير والفلاح بنظرة الاحترام والإكرام، ويسعد غيره بسداد فكره وصلاح عمله.

ومن الناس من تنطوي طبيعته على الحقد والكراهية وسوء الظن والعداء، فيبحث عن طرق الفساد والإفساد بين الناس، ويستخدم وسائل الدجل والمكر والخديعة ويتبع هوى النفس، ولا يهمه إلا ذاته، أو طائفته، ولا يبالي بعواقب أعماله ومدى شقاء غيره، فلا يعدل موقفه ولا يغير تفكيره مهما سبب من فساد ودمار وشقاء، ومهما طال الزمن، وإذا وجد أحداً يرشده إلى الخير وينهاه عن الشر والإفساد حاول أن يبعده عن طريقه، أو يوجه إليه التهم لإضعاف شأنه، ويكيد له ليشغله عن عمله.

إن هذا الاختلاف في الطبائع عام شائع نلاحظه في الحياة

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٩، العدد: ٢٣، أول يونيو ١٩٩٨م.

www.abulhasanalinadwi.org

العامة، وفي حياة الأفراد والجماعات، لأن الجماعات تتكون من الأفراد، ويلاحظ في الطبقات والأمم، وقد وجدت في كل عصر من عصور التاريخ قوى الخير والشر، والبناء والتدمير، والرحمة والطغيان، ووجد رجال مخلصون يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فاهتدى بهم رجال سلكوا طريق الخير، ورجال لم ينتبهوا إلا بعد أن تورطوا في عواقب أعمالهم، وكان هناك صنف من الناس لم يرتدع برادع، لأنه مجبول على الجحود، والإنكار، والرفض، والإساءة، والتدمير، وسوء الظن، وذلك هو من جبلته ولا تتغير جبلة أحد، ومثل هذا الصنف من الناس يستمر في إساءته وتخريبه ولا يردعه رادع، ولا تصرفه عن إساءته قوة، ولا ينفعه نصح ولا إرشاد، ولا معاقبة، ولمثل هذا الصنف تتخذ أقسى العقوبات لمنعه من الإفساد ولمنع المجتمع من مساويه، ولصيانة حياة الناس ووقايتها من عواقب أعماله.

ولاختلاف طبائع الناس تختلف طرق الإصلاح باعتبار البيئة وطبيعة الناس، وتبدأ جميع هذه الطرق بالدعوة، والنصيحة، والإرشاد، وتستمر جميع الحركات الإصلاحية، سواء كانت دينية، أو كانت اجتماعية، أو خلقية، من هذا المنطلق، وكذلك يفيد تاريخ الأديان كلها، بأنها بدأت بالدعوة والإصلاح، وتحمل الدعاة والمصلحون الأذى وواجهوا الشدائد لوجود طبقة الجاحدين والمانعين للخير، وأوذي في سبيل الحق رجال كثيرون يتجمل بذكرهم التاريخ، ولإيضاح هذا المنهج ذكر القرآن الكريم قصص الأنبياء والمؤمنين المصلحين الذين آمن بهم

www.abulhasanalinadwi.org

رجال، وجحدهم رجال، واهتدى بهم رجال، واستحق غيرهم العذاب الأليم.

إن العمل للإصلاح، مهما كان نوعه، عمل محفوف بالمكاره، وطريقه مفروش بالأشواك، أما العمل للإفساد والإساءة، فهو عمل يسير، لأنه يجد تجاوباً سريعاً من الناس الذين يحملون طبائع تتلائم مع ذلك العمل، ولا يحتاج عمل الإفساد إلى تلقين أو تنبيه، أو دعوة طويلة، لأنه بمثابة الانزلاق، والانحدار من المرتفعات العالية، ولا يجد المنزلق أي صعوبة، أما الصعود والتسلق فإنه عمل عسير يجهد الإنسان، ويرهقه، فلا تحتمله إلا الهمم العالية، والنفوس الطامحة.

إن العالم اليوم أيضاً منقسم بين قوى الشر والفساد، والتدمير، وقوى الصلاح والخير والإرشاد إلى الإحسان.

وقد اختار الغرب الذي يؤمن بالمادة ويعادي الفضيلة، طريق الإساءة والإفساد، ولا يحب أن يسلك ذلك الطريق، بل يريد إشاعة الفساد، وتعميم الشر، فيلتمس من يعينه في هذا العمل، ولذلك يختار لمواضع القيادة والتربية والإعلام والتوجيه من يؤمن بأفكاره، وحضارته، ويطيح بكل نظام لا يتفق مع فكره، وينشئ مراكز تربية النفوس على طرق الإفساد، ويدعم المخربين، ويقمع العاملين للصلاح، ويبيد المصلحين، ويكبت الدعاة إلى خير الإنسانية

كانت في الماضي مدارس ومراكز لتربية النفس وتزكيتها، ومكافحة الجهالة، ومكافحة الأمراض الخلقية، فكان الناس يتوجهون إلى هذه المراكز لإصلاح أحوالهم، وفي العصر الحديث

www.abulhasanalinadwi.org

توجد مدارس ومراكز تعلم الانحلال الخلقي، وتربي على اتخاذ وسائل التدمير، والتضليل، وقد كانت في الماضي مراكز الخير ورجالها يعيشون حياة كرامة وعزة في مجتمعاتهم لأنهم كانوا يتصفون بالصبر وتحمل الأذى، وتضحية النفس، وكانوا لا يغريهم مال، ولا يخيفهم وعيد، ولا تسليهم هوى النفس، فكانوا كالمنارة المضيئة يهتدي بهم الضالون والمنحرفون، وكان الحكام والجبابرة يحترمونهم، وكانت لهم شعبية ونفوذ في عامة الناس وخاصتهم.

إن الصلاح والإصلاح أصبح جريمة في هذا العصر، جريمة أسوأ من اللصوصية، وقطع الطريق، والقتل، وأصبح القتلة وقطاع الطرق واللصوص أحراراً، يعتبر عملهم فناً في هذا العصر، وذكاء وفطنة يصبح الخبير في ذلك العمل بطلاً ويجد مكانة مرموقة في مجتمعه، يختاره الناس للقيادة والريادة، ويوصلونه إلى مراتب عليا، ومن أتقن الكذب كان أكثر خبرة في السياسة، وكان أحق بالوصول إلى مراتب سياسية عليا، ومن كان قاسياً وسفاكاً، كان أجدر بأن يتولى الحكم، لأنه هو الذي يقدر على تسخير النفوس، والاستيلاء على الأذهان، وإقرار الأمن.

كان الناس في الماضي يواجهون حروباً، وفي الحرب كان ينتصر الأقوى، والأكثر عتاداً وعدة، وينتصر أحياناً الضعيف على القوي بقوة إيمانه، وثقته بالنفس، ورجولته وفروسيته الفائقة، فكم من فئة قلية غلبت فئة كثيرة بإذن الله، وقد غيرت الحروب الأخيرة في مختلف بقاع العالم هذه الموازين المختلفة، حيث رجحت كفة ميزان القليل والضعيف، وثقلت رغم خفتها وخفت كفة

www.abulhasanalinadwi.org

القوي والكثير رغم ثقلها في الظاهر، فاختارت قوى الشر طريق الإفساد والتشويه.

إن الحرب على ما تصفه قوى الشر بالأصولية الإسلامية هي حرب قديمة تقليدية، لكنها تنطوي على استراتيجية جديدة، فقد حاربت الإسلام علناً، وفشلت لأنها وجدت أن الجامعات والمدارس التي أنشأتها لتغيير طبائع الناس ولغرس الشر في الأذهان، وإحالة الناس عن مثلهم وقيمهم أصبحت منطلقاً للدعوة الإسلامية، ومبعثاً للحركة الإسلامية، وأن القيادات الإسلامية النشطة في هذا العصر تتكون من خريجي هذه المدارس والمراكز التي كانت أوربا تثق أنها تربي على عداء الإسلام والتنكر له، وقد قاد حركات الانتفاضة والإنقاذ، والتحرير والجهاد رجال نشأوا في مدارس الغرب، وأدركت هذه القوى أن النفوس تقبل على الإسلام، وأن الإسلام يكسب الثقة في العقلاء والفلاسفة، وأن أباطيل الاستشراق، والتبشير عن الإسلام والمسلمين بدأت تنقشع كسحب الصيف، وشاهد الغرب حركات الجهاد، والتحرير التي أبلى فيها المؤمنون بالإسلام بلاء حسناً، وأثبتوا معدنهم، وأدرك القادة في الغرب ما يعاني مجتمعهم من خواء، وتفكك وشرود، وانحلال، وما أحدثه حب المال، واتباع الهوى من الكراهية للموت، بل من تحمل الأذى والمكروه، فخاف على نفسه وحضارته وسلامة بلاده.

أراد الغرب حرب الإسلام باسم الإرهاب والتطرف، والأصولية لخداع النفوس، فيقول الزعماء في الغرب: إنهم لا يحاربون الإسلام، إنما يحاربون الأصولية الإسلامية، ولكن ما هي

www.abulhasanalinadwi.org

الأصولية في نظرهم؟

إن الأصولية هي التمييز بين الخير والشر، والأصولية هي الإيمان بالآخرة، والعمل للآخرة، والأصولية هي التمسك بالقيم والمبادئ.

وقد توسع استعمال لفظ الأصولية فصارت الصلاة والصوم والزكاة والحج، واتباع الشعائر الدينية الأصولية، وتطول قائمة الأصولية ليدخل فيها كل عمل يبتغي فيه العامل - رضا الله تعالى - غير اتباع الهوى، أو الغرض المادي يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحبب إلى النفوس الفضيلة.

وبهذه الشروح يتضح أن حرب الأصولية الإسلامية هي في الواقع حرب على كل عمل فيه خير للإنسانية وصلاحها وسعادتها، وحرب على كل عامل في هذا المضمار.

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون وحرية التعبير[1]

من طبيعة الإعلام العالمي أن تثور ثائرته إذا احتجت فئة من المسلمين، على كتاب أو تصريح أسيء فيه إلي الإسلام، وبذلت فيه محاولة دنيئة للنيل من الشخصيات الإسلامية، أو قدمت صورة مشوهة لتاريخ الإسلام أو تجاوز أحد حدود الأدب ونزاهة الكلمة في موضوع يتصل بالإسلام، فينقلب الإعلام على المسلمين والإسلام، وتبدأ حملة شعواء من كل جهة و من كل زاوية، في الصحف، والإذاعة، والمجلات والتلفزيون، ويصبح ذلك موضوعاً حاسماً يتناوله كل من يمسك القلم، مهما تكن قدرته وصلاحيته الكتابية وثقافته العامة، وكفاءته العلمية، ومعرفته للإسلام، ويتهم المسلمين بالتزمت والتحجر، وكبت حرية التعبير والرأي، ويمتد زمن هذا الهجوم الموجه إلى الإسلام ويتسع نطاقه ويشترك في هذا النضال الكتاب وغير الكتاب في مختلف أنحاء العالم، ويصبح بذلك الموضوع الإقليمي أو الشخصي، موضوعاً عالمياً، ويضطر المسلمون بذلك الهجوم الساحق في كل منطقة من العالم إلى الدفاع عن أنفسهم والدفاع عن الإسلام.

وتنعكس هذه الطبيعة الانفعالية والثائرة، للإعلام المعاصر من مقال كتبه أحد الكتاب في الصحف، أن المسلمين لا يسمحون

[1] نشر في الرائد السنة: ٣٩، العدد: ٢٠، ١٦/أبريل ١٩٩٨م

www.abulhasanalinadwi.org

لأحد بإبداء رأي معارض لرأيهم في دينهم ، فيجب أن لا يسمح للمسلمين الذين يعيشون في بلاد غيرهم أن يبدوا رأياً يتعارض مع رأي غيرهم من أتباع الأديان الأخرى.

إنه لمنطق غريب ، منطق يدل على الجهل المطبق للتاريخ المعاصر ، فإن المسلمين احترموا الأديان كلها ، وقد منعهم الإسلام من الإساءة إلى رجال الأديان الأخرى وحثهم على احترام معابدهم ، وعدم التعرض لكهنتهم حتى وأثناء القتال ، وقد عامل المسلمون في تاريخهم الطويل غير المسلمين بالتسامح الذي لا مثيل له في التاريخ ومنحوهم حرية التعبير إلى حد أصبحت هذه الحرية من بواعث الخطر للعقيدة الإسلامية ، وكانت حرية العمل الممنوحة لغير المسلمين سبباً مباشراً لانتشار عادات غير إسلامية في المجتمع الإسلامي ، في العصور الأولى ، بينما لا يوجد نظير لمثل هذا التسامح بالنسبة للمسلمين في مجتمعات غيرهم.

وأكبر دليل على ذلك سلوك الدول الأوربية في عهد الاستعمار وبعد الاستعمار بالنسبة للمسلمين والإسلام والمقدسات الإسلامية ، فقد أنشأ الكتاب في عهد الاستعمار مكتبة بل مكتبات في تزوير تاريخ الإسلام والهجوم على المعتقدات الإسلامية ، وبذلوا محاولات لتحريف الكتب المقدسة ، وإذا قمنا فقط بعدّ الكتب التي ألفت في السيرة النبوية الشريفة ، التي قام فيها المؤلفون بأسوأ المحاولات وأكثرها دناءة للإساءة إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والنيل من كرامته ، وقلب الحقائق واستعملوا تعبيرات نابية ، فيها إقذاع وسلاطة اللسان ، واستعملوا أسوأ النعوت في شخصيته ، حتى المعاجم ودائرة المعارف وكتب التاريخ

www.abulhasanalinadwi.org

والجغرافيا وكتب اللغة لم تخل من هذه الإساءات إلى ذات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فإن هذه المواد تشكل مكتبة كاملة للأباطيل والخرافات ومكتبة الأكاذيب والبذاء، والكلام الذي لا يقبله العقل السليم، ولا يتطابق مع المروءة والنزاهة الإنسانية، وانغمس في هذه العملية السافلة لتزوير السيرة النبوية الشريفة كبار الكتاب والمثقفين، الذين يفقدون أعصابهم عند ما يكتبون في موضوع يتصل بذات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد تعود عليه المسلمون وهذه الكتب تتوافر في الأسواق والمكتبات، وكثير من هذه الكتب فرضت على الباحثين في هذا العصر لاعتبارها مراجع للبحث، ويسير البحث في الموضوعات الإسلامية على النهج الذي قرره للبحث هؤلاء الباحثون الأولون، في عهد الغزو الفكري والغزو العسكري للعالم الإسلامي، الذي حاول فيه الغربيون قطع صلة المسلمين بذات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وإيجاد مركب النقص في قلوبهم إزاء الإسلام وتاريخه.

ومثل السيرة النبوية الشريفة حياة الصحابة والصحابيات، فقد كان ذلك موضوعاً جاذباً شيقاً للكتاب في الغرب، وأملى الأساتذة في الغرب على تلاميذهم من المسلمين الذين ابتعثوا إلى الغرب للتعليم أفكارهم وأجبروهم على نقلها ليفوزوا بالدرجات العليا في دراساتهم، ولا يخفى هذا الاتجاه المعاكس بل المعادي الحاقد للإسلام في الأوساط العلمية الغربية على أي دارس يتوجه إلى البلاد الغربية، ولا يزال هذا الموقف سائداً ولا تزال مكتبة الغرب تصدر مؤلفات ضد الإسلام، وقد تصدى بعض المؤلفين

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين لهذه الهجمات وردوا عليها بأسلوب علمي رزين لكن هذه المواد السامة المعادية للإسلام متدفقة وبارزة لا يستطيع أن ينكر وجودها أحد، وهل بعد ذلك يحق لهم أن يتهموا المسلمين بالتزمت وقمع حرية التعبير والانفعال الزائد.

إن هناك مفارقات عديدة بين وضع المجتمعات الإسلامية ووضع المجتمعات غير الإسلامية.

منها أن المواد المعادية للإسلام والمسلمين التي تنشر في العالم، وفي البلدان الإسلامية نفسها تزيد ضخامة وعنفاً وبشاعة عن المواد التي تنشر ضد أي دين أو مذهب، وأن الدعوة إلى الإسلام والثقافة الإسلامية محظورة في كثير من البلدان الإسلامية، وبينما يسمح للدعوة إلى الديانات الأخرى والمذاهب الفكرية المعادية للإسلام ولا يفرض حظر عليها في أي بلد، حتى الدعوة إلى المسيحية والإلحاد مسموح بها في البلدان الإسلامية.

ظل الإسلام في حالة الحجز أكثر من سبعين سنة في الدول الاشتراكية، وفرض الإلحاد جبراً وقهراً على المسلمين، ومارس الحكام أبشع وسائل القهر لكبت النشاط الإسلامي في الدول التي يعيش فيها المسلمون في أغلبية وكل ذلك بإيعاز، بل بأوامر الدول الأوربية وأطلقت في هذه البلدان الحريات للدعوة إلى ما يتعارض مع الإسلام فكراً وثقافة وفناً، ولا يزال هذا الوضع قائماً في كثير من البلدان التي يعيش فيها المسلمون بأغلبية.

ومن الحقائق التي لا يستطيع أن ينكرها الإعلام ولا دعاة حرية التعبير والعمل أن المسلمين في كثير من البلدان في العالم محرومون من حقوقهم الأساسية لمجرد انتمائهم إلى الإسلام بل لمجرد

www.abulhasanalinadwi.org

كونهم من المسلمين، وإن كان عملهم يتعارض مع التعاليم الإسلامية، وأنه لا يسمح لهم بتشكيل تنظيمات سياسية أو اجتماعية، ويعامل معهم معاملة التمييز العنصري، والتمييز ضد المسلمين أمر واقعي، وهو مشاهد في المنظمات الدولية.

يسمح في بعض البلدان الإسلامية بإنشاء أي تنظيم سواء كان تنظيماً إباحياً، وفكرياً معارضاً للمصالح القومية، والطبيعة القومية، ولا يسمح لأي تنظيم يدعو إلى الإصلاح الاجتماعي أو السياسي حسب تعاليم الإسلام وهو أمر معروف و وضع مشاهد، ويدفع إلى هذه السياسة القاهرة القادة الغربيون الذين يدعون بحرية الرأي والعمل والعقيدة، ويعد كل هذه الإجراءات القاهرة والمعاملات القاسية، والمحاولات لحرمان المسلمين من حقوقهم يتهم المسلمون بضيق الفكر وقمع حرية التعبير والعمل إنه دجل ليس فوقه دجل

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الخامس

وسائل محاربة الغزو الفكري والاقتصادي

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

أوربا و نفسية الخوف [1]

أحدثت الحروب الصليبية ـ التي دامت مئات السنين ـ الوحدة بين مختلف دول أوربا التي كانت في حالة تفكك، واضطراب سياسي واقتصادي، فحاربت الإسلام ككتلة موحدة، وانتهت هذه الحروب بدون أن تكسب أوربا نفعاً سياسياً سوى كراهية تتوارثها، فانتقلت هذه الكراهية من جيل إلى جيل، ثم انتقلت هذه الحملة العسكرية الموحدة إلى حملة علمية وفكرية، فظل الإسلام عنصر توحيد لأوربا، وفي عهد الاستعمار الأوربي تفاقمت الخلافات في الكيان الأوربي، وجرت صراعات عنيفة بين هذه الدول للاستيلاء على البلدان الضعيفة في "آسيا" و"إفريقيا"، وخاصة بين "فرنسا" و"البرتغال"، و"بريطانيا"، و انتقلت سيادة البلدان المستضعفة في آسيا و إفريقيا من دولة إلى دولة، وامتد هذا الطموح السياسي إلى الهند، ودول جنوب آسيا.

ثم انقسم العالم إلى كتلتين بغلبة النازية، فحارب الحلفاء الذين اتحدوا لمحاربة ألمانيا النازية، وجرت حرب كلفت ملايين من الخسائر البشرية، وظلت النازية عدواً أو هدفاً توجه إليه سائر القوى بما فيها الاشتراكية والرأسمالية، و الشرقية والغربية، كذلك كانت الخلافة العثمانية عدواً مشتركاً لأوربا، سخرت لإسقاطها

---

[1] نشر في " الرائد" السنة: ٤٤، العدد: ٢، ٢٠٠٢م

www.abulhasanalinadwi.org

وسائل متوفرة لديها من عسكرية واقتصادية وتآمرية ، ولم يهدأ بال القادة الأوربيين إلا بإسقاط الخلافة ، والسيطرة سياسياً على تركيا ، ووجدت وحدة بين هذه الدول رغم وجود فوارق كثيرة بينها بتوسع الدولة الاشتراكية وامتداد نفوذها إلى آسيا وإفريقيا ، وتحديها لمصالح أوربا السياسية ، وانقسمت بذلك أوربا إلى شرقية وغربية ، فوحدت الاشتراكية التي كانت تعادي النظام الرأسمالي ، أوربا الشرقية ، ووحدت معاداة الاشتراكية أوربا الغربية التي كانت تتبع النظام الرأسمالي ، والاستعمار ، واشتدت هذه الصراعات و تطورت إلى حروب.

وبذلت أوربا الغربية بدعم الولايات المتحدة سائر قواها في محاربة النظام الاشتراكي ، وكانت الشيوعية العدو الأول لأوربا ، وبلغ هذا الاعتداء حد اعتبار كل من يحمل الميول الاشتراكية عدواً وخائناً لأي بلد ديمقراطي ، غير اشتراكي ، وكان يتهم بأنه عميل K.J.B كما كانت الدول الاشتراكية تعتبر كل من يميل إلى المجتمع الحر ، وله علاقة بأي بلد غير اشتراكي ، عدواً للبلاد ، وعميل C.I.A ، وقد تم إعدام عدد كبير من الأبرياء بهذه التهمة ، أو تعرضهم لأشد وسائل التعذيب ، والتنكيل ، والتشويه ، والحرمان من حقوقه المشروعة ، وكانت كل حركة للحرية أو لنيل الحقوق السياسية في البلد الاشتراكي توصف بمؤامرة تدعمها الدول الأوربية الرأسمالية وبالأخص أمريكا ، وكل حركة في الدولة الموالية لأوربا الغربية توصف بمؤامرة شيوعية ، وتؤيدها روسيا أو الصين الشيوعية ، وهكذا ذهب ألوف من الأبرياء ضحية هذه التصورات العدائية ، وشهدت مثل هذه الأوضاع المضادة الدول

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامية والعربية ، حتى حركة الإخوان المسلمين ، وحركات الإحياء الإسلامي في تلك الظروف كانت توصف بالعمالة لأمريكا ، و وكالة مخابراتها ، وليس ذلك بحديث ماض بعيد ، بل كان ذلك هو وضع العالم قبل الثمانينات.

وانقسم العالم لدى غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان ، فنشأ معسكران في هذه القضية أيضاً من مؤيد للغزو السوفيتي ، ومؤيد للجهاد الأفغاني ، فقد أيد ياسر عرفات الغزو السوفيتي ، وعارض سخاروف الذي نال جائزة نوبيل من أوربا الغربية هذا الغزو ووصفه بالعدوان ، فمنع سخاروف من السفر إلى الخارج لنيل الجائزة ، فكانت الدول الإسلامية الموالية لأمريكا ، تؤيد الجهاد في أفغانستان ، والدول الإسلامية الموالية للاتحاد السوفيتي تؤيد الغزو السوفيتي.

وتعرضت إندونيسيا لهذا الخصام بين الشيوعية والرأسمالية ، ومرت بمذابح بسبب هذا الصراع ، كذلك كانت "كوبا" عرضة لهذا الصراع ، و"كوريا" التي انقسمت إلى شمالية وجنوبية ، واليمن إلى شمالي وجنوبي ، بسبب هذا الصراع ، وألمانيا إلى شرقية ، وغربية ، حتى مدينة "برلين" كانت منقسمة ، وكان العداء شديداً ، فأقيم جدار فاصل بينهما.

وتجرعت شعوب هذه الدول مرارة طويلة ، وتصارعت أجزاؤها المختلفة.

كذلك كانت العلاقات بين الصين والولايات المتحدة ، كانت الصين توجه كل يوم إنذاراً إلى أمريكا ، وأمريكا توجه سائر قواها إلى الإطاحة بالنظام القائم في الصين ، وتؤيد فورموزا ،

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن انتصرت الصين، ونالت اعتراف أمريكا بعد زيارة هنري كسنجر السرية، ونالت عضوية الأمم المتحدة، ودخلت في مجلس الأمن، لأنها صمدت ولم تخضع لكبرياء أمريكا، وخذلت أمريكا حليفها فورموزا، وأرغمت هذه الدولة الصغيرة على الخروج من مجلس الأمن، وكذلك واجهت "كوبا" كل عداء أمريكا، وصمدت في وجهها، وفي هذه الفترة كانت الحرب بين النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي في أشد مرحلة من الحرب الباردة التي تأخذ شكل الحرب الساخنة في عدة مواضع، ودخلت هذه الصراعات في أماكن العالم المختلفة كـ"فيتنام"، و"كمبوديا" و"لاؤس" و"كوريا" و"إندونيسيا" وآسوية، وإفريقية كـ"الصومال"، و"الكنغو" إلى حروب، وبذلت الدول الأوربية الغربية، وفي مقدمتها أمريكا، كل طاقاتها لمحاربة النظم الاشتراكية، وصمدت هذه الدول في وجه هذا الغزو الفكري، والسياسي، والاقتصادي، واحتفظت معظمها بسيادتها وإبائها للخضوع لسيادة الدول الاستعمارية الغربية، ولم تخضع حتى "كوبا" المحاطة بالقوة الأمريكية الغاشمة.

وقد كان سقوط الاتحاد السوفيتي، وتهافت الدول الاشتراكية التي كانت تعيش في حمايته نتيجة لتورطه في شؤون أفغانستان، وتدخله العسكري الذي استنزف سائر موارده، وهيبته على النفوس، فأجبر على الخروج من هذا المأزق بعد خسائر جسيمة تحطم بها اقتصاده، وانكسرت به آليته العسكرية، وقابليته لفرض سيطرته، وبتراجع الاتحاد السوفيتي وخذلانه في أفغانستان تفكك ذلك النظام الذي كانت تتحداه الدول الغربية بزعامة الولايات المتحدة.

www.abulhasanalinadwi.org

واعتبرت الدول المحاربة للاشتراكية تفكك النظام السوفيتي انتصاراً لها، وكان ذلك مغالطة كبرى، وسوء تقدير للواقع، وبتصور تخلصها من محاربة العدو الاشتراكي الموحد، انتقلت إلى عدو جديد، وإن كان هذا العدو، العدو القديم الذي حاربته أوربا قروناً طويلة، ولم تكتسب فيها انتصاراً يذكر، وقد اعترف بذلك قادة أوربا على أساس تجربتهم في الحروب الصليبية أن الإسلام قوة لا يمكن كسرها بالقوة العسكرية، ويدل على ذلك ما قاله لورانس براؤن:

"كنا نتخوف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر، والخطر البلشفي، إلا أننا لم نجد هذا التخوف كما تخيلناه، لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أثناء الحرب الثانية، أما الأصفر (اليابان والصين) فإن هناك دولاً ديمقراطية كبرى تتكفل مقاومتها، لكن الخطر الحقيقي كان في المسلمين وفي قدرتهم على التوسع والإخضاع، وفي الحيوية المدهشة العنيفة التي يمتلكونها".

ويقول قائد غربي آخر:

" ليست الشيوعية خطراً على أوربا، فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي، والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخالص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، وهم جديرون بأن يقيموا بها قواعد عالم جديد، دون حاجتهم إلى الاستغراب وفرصتهم في تحقيق أحلامهم هي اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه الغرب".

www.abulhasanalinadwi.org

إن هذه التصريحات بينما تدل على أن أوربـا تعتبر الإسـلام عدوها حضارياً ، ودينياً ، وسياسيا ، تدل على أن أوربا من طبيعتها الخوف ، والذعر ، والخوف من كل من لا يتفق معه ، أو له قوة ، أو صلاحية تأثير ، وأنها دائماً تضع أمام عينها عدواً تحاربـه ، وان الاستكبار وفرض سيطرتها على غيرها طبيعتها التي لم تتغير رغم انتشار العلم والحضارة.

www.abulhasanalinadwi.org

تحول الغرب
من الحرب إلى العلم والتربية[1]

تحول اهتمام الغرب إلى التعليم والتربية بعد خيبة الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها المنشودة، فأقبل على استخدام العلم لتشويه صورة الإسلام، وطمس معالم تاريخه، وحضارته، وقطع صلة المسلمين بمنابع عقيدتهم وثقافتهم، وذلك بطريق تأليف كتب في الموضوعات الإسلامية تقدم تصوراً يختلف عن تصور المسلمين، قام به المستشرقون والكتاب الغربيون الآخرون، وغرس أفكار وميول في الأذهان أثناء التعليم سواء كان في المدارس التبشيرية التي نشرت الدول الأوربية شبكتها في دول المسلمين، أو في مدارس أوربا حيث توجه إليها الدارسون المسلمون من أنحاء العالم الإسلامي المختلفة في عصر النهضة، وكان محوره وصف الإسلام بدين العنف والإكراه، وأنه انتشر بالسيف، وأنه يعادي سائر الأديان، وأنه يهدم ما لا يمت إلى الإسلام بصلة، واستمرت هذه الحملة لبث الكراهية ضد الإسلام والمسلمين، وبث الشكوك والشبهات في صلاحية الإسلام للتطبيق في هذا العصر، وتحميله مسئولية تخلف المسلمين، وانتشرت مؤلفات هؤلاء الكتاب التي كانت بلغات أوربا، وكان لها تأثير في طبقات المثقفين الذين كانت

[1] نشر في "الرائد" بتاريخ ١٦/أغسطس/آب ٢٠٠٤م.

www.abulhasanalinadwi.org

نشأتهم في مراكز التربية الأوربية، واقتبسوا منها إلى حد كبير، ومن هذه الطبقات نشأ جيل تسلم القيادة السياسية والفكرية في العالم الإسلامي بعد الاستعمار، فقاموا بوضع خطة بلادهم في ضوء ما اقتبسوه من أفكار حملة القلم الغربيين.

وقد أشار إليه المفكرون الغربيون، أن حملة العلم والتربية كسبت ما لم تكسبه الحروب الصليبية، فتقول انامليغان المبشرة (Anna Milligan).

"ليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة، إن المدرسة أقوى قوة جعلت الناشئين تحت تأثير الدين المسيحي، هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون قادة أوطانهم".

والمراد هنا من المدرسة المدارس التي كان يشرف عليها المعلمون المبشرون، وقال هملتون جيب(H.I.R.Gibb)

"هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ، وكونت أذواقهم وآراءهم إنها علمتهم اللغات الأوربية، التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي في سبيل حياتهم مستعدين للتأثير بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة.

ويقول: لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين وهو من غير وعي منهم أثراً يجعلهم من مظهرهم العام اللادينيين إلى حد كبير".

ويقول الدكتور زويمر (S.M.Zweimer):

"إن السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن أي منذ عام ١٨٨٢م تقريباً على برامج التعليم في المدارس الابتدائية،

www.abulhasanalinadwi.org

أخرجت منها القرآن، ثم تاريخ الإسلام، وبذلك أخرجت ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدتها، ولا تؤمن حقاً، ولا للدين كرامة، ولا للوطن حرية".

ويقـول واطسن (Watson) : "إننا نراقب سير تعليم القرآن في المدارس الإسلامية، ونجد فيها الخطر الداهم، وذلك أن القرآن وتاريخ الإسلام هما الخطران العظيمان اللذان نخشاهما".

وسارت فرنسا وبريطانيا وهولندا ودول الاستعمار الأخرى هذه السياسة في البلدان التي استعمرتها، وقد شكى أحد علماء الجزائر أن تدريس علوم الدين مقيدة بأن المدرس لا يفسر آية أو حديثاً يدل على الجهاد، وأن لا يدرس شيئاً من أبواب الجهاد في كتب الفقه، ولما راجت دعاية هؤلاء العلماء الغربيين ضد الجهاد صار المسلمون ينفرون من لفظ الجهاد.

أما الحروب الصليبية فهي معروفة، كيف اشتعلت نيرانها، وكيف أدت إلى خسائر في الأرواح والممتلكات، وكيف دامت مدة طويلة تمتد إلى أكثر من ثلاثة قرون، واتحدت لها أوربا كلها لغزو العالم الإسلامي، وكثفت قواها وطاقاتها بعد أن رفع نداءها الراهب أريانوس، لكنها فشلت في تحقيق هدفها المنشود، وأدرك الغربيون أن الحرب لم تعد وسيلة لاسترداد سيادة أوربا التي خسرتها إثر الزحف الإسلامي.

حولت أوربا استراتيجيتها من الحرب إلى العلم والتربية للتنصير أو للتغريب، وعلى الأقل لإخماد جمرة الجهاد وسدّ بواعثه وإضعاف العاطفة الإسلامية، وسعت إلى تحقيق هذه الأهداف بالمدارس التبشيرية التي نشرت شبكتها في العالم

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي، في العهد الذي تغافل المسلمون فيه من مهمة التعليم والتربية، فتوغلت إلى عقر دارهم خلال الحكم الإسلامي، ثم جاء الاستعمار بعد سقوط الدول الإسلامية الكبرى التي كانت تقتسم العالم، فطبقت هذه السياسة بالقوة، وتعددت هذه الوسائل إلى حد محو اللغات، والثقافات، وتغيير الخط، وقامت الدول الاستعمارية بتربية الأجيال الناشئة تربية غربية كاملة، وقد سلكت هذا الخط الحكومات القومية في البلدان الإسلامية بعد جلاء القوات الأجنبية.

ولكن خاب ظن الغربيين بالإسلام، وأخطأ فهمهم، فإن الإسلام دين حي، والقرآن كتاب سماوي، والتعاليم الإسلامية تعاليم تطابق الفطرة، فإنها تجذب قلوب الأعداء ونفوس الكارهين، إذا أتيحت لهم فرصة للتعرف على الإسلام والمسلمين والعاملين بتعاليمه السمحة، ففي الوقت الذي انحرف عن دينه من كان ينتمي إلى المسلمين عنصرياً وسلالياً استمسك بحبل الإسلام من كان في صفوف الأعداء للإسلام، وإذا كانت حركة علمية تقوم بتشويه الإسلام، نشأت حركة علمية لعرض محاسن الإسلام، وازداد هذا الاتجاه إلى الإسلام بمر السنين، ودخل في الإسلام عدد كبير من رجالات العلم والفكر في أوربا، واعترفوا أن أهل العلم والإعلام في أوربا عرضوا صورة مشوهة للإسلام، فأسلم بعضهم بدراسة الإسلام، وأسلم بعضهم بالتعايش مع المسلمين، والتعرف على منهج حياتهم، وقد تغير تصور كثير منهم عن المرأة المسلمة، التي عرضتها أوربا بأنها مظلومة، كما تأثر بعضهم بعقيدة التوحيد، وطريق العبادة، والسلوك الإسلامي،

www.abulhasanalinadwi.org

وتدل عليه اعترافات الذين يعتنقون الإسلام، وبعضهم ينتمون إلى طبقة المنصرين، إنهم بدأوا يدافعون عن الإسلام وسداده لهذا العصر، وانتقدوا سياسات الحكام الغربيين، والحضارة الغربية، وكشفوا عوراتها، وقد اعترفت وكالات الإعلام الغربية بهذه الحركة، وأقرت بالإقبال على الإسلام، ومن المفارقات المدهشة أن هذا الاتجاه تضاعف بعد حملة الكراهية العشوائية ضد الإسلام والمسلمين التي تجددت في أوربا أخيراً، وعدد أمثال هؤلاء المقبلين على الإسلام في أوربا، وأمريكا، عدد لا يستهان به، وهؤلاء المسلمون الجدد أكثر حماسة وأكثر عاطفة وعملاً بالإسلام من المسلمين التقليديين، وصدق القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.[١]

لقد خرج قوم جديد، يحمل لواء الإسلام، وخلق الله الدعاة إلى الإسلام في أوربا نفسها ممن شرفهم الله بالإسلام، فآمنوا، وتحملوا مسئولية الدعوة.

فرضت القيود على العاملين للإسلام في الأوساط الدينية، أو على التعليم الديني، وأجريت تعديلات في مناهجه. فنشأ الدعاة إلى الإسلام من الجامعات العصرية، ومن البيئات الغربية المتحضرة الذين عرفوا، بل جربوا الحضارة الغربية الجامحة، وعرفوا مساويها، وعرفوا سلوك حكامهم الجائر مع الدول المستضعفة، ومن الغريب أن شباباً لم يكونوا مسلمين عاطفيين في بلدانهم الإسلامية توجهوا للتعليم والدراسة والعمل إلى الدول الأوربية وأمريكا فعادوا مسلمين واعين بمسئولياتهم الدينية، فيهم حركة

---

[١] محمد: ٣٨

www.abulhasanalinadwi.org

وعاطفة للعمل الإسلامي ، وروح التضحية ، وهم يحملون العلم الحديث ، ويعرفون وسائل الدعوة والإعلام الحديثة ، ومعنى ذلك أن شمس الإسلام تشرق من الغرب ، ودعاة الإسلام خرجوا من مدارس التشويه ، وأوكار الهدامين ، وتدل على ذلك نظرة على منابع الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي في العالم ، فإن معظم القائمين عليها والمنظمين لها ينتمون إلى الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية فيهم مهندسون ، وأطباء ، وقانونيون ، وعلماء ، وأيديولوجيون ، جذبهم الإسلام إلى كنفه ، إنهم يخدمون الإسلام علمياً وفكرياً وعملياً ، ويلاحظ تأثير الإسلام وتعاليمه على هذه الطبقة والذين يدخلون في الإسلام حديثاً أكثر مما يلاحظ في الذين نشأوا في البيئات التقليدية.

ولذلك تضاعف الخطر لأوربا ، وذلك هو الذي يبعث على القلق والرهبة ، فقد كان الدعاة إلى الإسلام في السابق علماء نشأوا في المدارس الدينية ، كانوا لا يعرفون الوسائل الحديثة ، ولكن الدعاة في هذا العصر هم المثقفون بالثقافة الغربية.

لقد حاولت فرنسا إخماد شعلة الجهاد في الجزائر خلال حكمها ، ولكن ماذا كانت النتيجة لهذه السياسة ، مليون شهيد في حرب التحرير ، مليون شهيد في طرد القوات الفرنسية من الآراضي التي استولت عليها بعسكرها الجبار ونظام تعليمها القهار ، وسياستها القامعة ، جربت سائر وسائل التعذيب والتنكيل ، لكنها أجبرت على الخروج من تلك البلاد التي قامت فيها بإخراج اللغة العربية ، وتحريم الجهاد ، وإخراج الكتب التي تنشئ العاطفة الإسلامية.

أليست هذه حقيقة تاريخية ، وهكذا خرجت روسيا الظالمة

www.abulhasanalinadwi.org

من أفغانستان بعد أن أفسدتها وخربت، وشوهت سائر القيم، وحطمت صلب المقاومة، وغيرت نظم التعليم والتربية، ولكنها خرجت، وقدم ذلك البلد أكثر من مليون شهيد، ولا يزال يضحي في سبيل حريته بكل غال ونفيس، ولم تخرج روسيا من مستعمراتها، بل اندثرت وزالت هيبتها، فقد أرعبت العالم كله ولم ينحسر ظل الشيوعية التي كانت تتبناها من تلك البلاد بل انحسر ظلها من العالم كله.

وهكذا كان وضع الجمهوريات السوفيتية المسلمة، فقد شرد المسلمون وقتل أكثر من نصف مليون منهم، وخربت مساجدهم، وأقفلت مدارسهم، وفرض عليهم الإلحاد، أكثر من سبعين سنة، ولكن خرج هؤلاء المسلمون بعد انفكاك هذه الدولة الظالمة، كما يخرج القمر من الظلماء، فأعلنوا إسلامهم، وقدموا تضحيات جسيمة للاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية، وقد سجل المسلمون في الهرسك والبوسنة والشيشان، وأماكن أخرى صفحات رائعة للعودة إلى الإسلام.

هذه دورس من التاريخ المعاصر لا ترجع إلى العصر القديم، بل ترجع إلى العصر الحديث، ولكن مخططي السياسة العالمية المعاصرة لا يقرأون التاريخ، ولا يستفيدون من تجارب سلفهم في قيادة العالم وسياسته.

على أساس هذه التجارب والتجارب الماضية يمكن أن يقال ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1] وفي التاريخ أمثلة كثيرة ولكن لمن يقرأ التاريخ بقلب مفتوح ويعتبر.

[1] الشعراء: ٢٢٧

www.abulhasanalinadwi.org

من تصدير البضائع إلى تصدير الأفكار والثقافة[1]

كانت التجارة المتعددة الشعوب، تجربة جديدة، في النظام العالمي الجديد، قامت بها أمريكا والدول الحليفة لها في الدول النامية، ورغم أن القوى الوطنية اعتبرت هذه التجربة شكلاً جديداً للاستعمار، وعارضت هذا النظام، ولكن الظروف السياسية والاقتصادية في الدول النامية وخاصة بعد انحسار النظام الاشتراكي أجبرت على الاستسلام بضغط الدول الصناعية الكبرى التي كانت تبحث عن أسواق جديدة لمنتوجات مصانعها المتدفقة.

كانت تجارة الأسلحة رابحة نافقة لأوربا قبل ذلك في عهد الحرب الباردة، والصراعات النامية، التي كانت تجبر هذه الدول على أن تخصص في ميزانيتها نفقات باهظة على قطاع الدفاع تفوق نفقاتها على المشاريع الإعمارية والتعليمية وبرامج الرفاهية والتقدم المدني الأخرى، وإن كانت شراءاتها للأسلحة تزيد عن حاجتها، وصلاحية استخدامها، وكانت بعض الذخائر الحربية مودعة في الدول المصدرة، أو كانت مفاتيحها في أيدي الدول المصدرة أو تابعة للخبراء الأجانب، الذين كانوا يراقبون على استخدامها، ولم تكن هذه الدول حرة في استخدامها، إلا أنها كانت تدفع

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٩، العدد: ٣، أول أغسطس ١٩٩٧م.

www.abulhasanalinadwi.org

قيمتها وتعتز بامتلاكها.

كذلك كانت البضائع الكمالية المتطورة تروج في هذه الدول الفقيرة، لتعوّد الطبقات الغنية أو أصحاب السلطة على حياة الرفاهية العالية لنشأتها في البلدان الأوربية، وكثرة زيارتها لها، فكانت بعض البضائع العالية لا تصنع إلا لترويجها في الدول النامية، وبذلك كانت تحدث فجوة هائلة واسعة بين الطبقتين الغنية والفقيرة، والثقافتين الغربية والمحلية، ويظهر تناقض واسع في مستوى المعيشة، فبينما كانت تعيش طبقة على المستوى الأعلى للرفاهية تعيش الأغلبية في فقر مدقع، لا تجد حتى الأكواخ للعيش، والأقراص الجافة للأكل.

إن هذا التناقض في المعيشة والوفرة في جانب، والحرمان في جانب آخر، والسعادة الخيالية في جانب، والشقاء القاصم في جانب آخر كان يحدث صراعاً اجتماعياً وكان هذا الصراع يفيد الدول الكبرى لأنها كانت تبرر بذلك تدخلها في شؤون هذه البلدان، كما كانت تبرر تدخلها خلال الصراعات والنزاعات السياسية بين الشعوب المجاورة، فكانت الدول الكبرى تستفيد في مجال الصناعة العسكرية وفي مجال الصناعة الثقافية، والحضارية.

يعتقد أن الفكرة الاشتراكية تقوم على أساس الصراع لأنها نابعة من فكرة جدلية، ولكن الدول الرأسمالية التي تعارض الاشتراكية لا تختلف في منهجها مع الشعوب الفقيرة عن منهج الاشتراكيين وتعتمد هي أيضاً على الصراعات أو عوامل الصراع، وتستفيد من هذا الصراع، وتحاول أن تنمي هذا الصراع بين الشعوب وبين الطبقات المختلفة لشعب واحد.

www.abulhasanalinadwi.org

سلكت الدول الاستعمارية هذا المسلك خلال استعمارها فإنها قامت بتضخيم عناصر الجدال والصراع، والخلاف بين الطبقات المختلفة على أساس العقائد ومناهج الحياة، وقامت بإبراز القضايا التاريخية المدفونة والمطمورة، وقامت بإحيائها وتسخينها لكيلا تتحد هذه الشعوب، وتتعاضد، بل تظل تتناحر وتتقاتل، وقد اعترف بعض الكتاب الغربيين في كتبهم أنهم غرسوا بعض النزاعات والميول وأبرزوا بعض القضايا التي من شأنها أن توسع هذه الخلافات بين مختلف الطبقات بصورة مستمرة.

اكتشفت الدول الأوربية مجالاً جديداً للتدخل والهيمنة على الدول النامية وهو الاستيلاء على تجارة البضائع الاستهلاكية، وكان الفكر السائد في هذه الخطوة الجديدة بيع منتوجاتها العادية التي تفيض في أسواقها المحلية، وتضيع، وأحيانا تلجأ إلى إلقائها في البحر وهي تزيد عن مساعداتها الإنسانية، وكانت النية الثانية منع الدول النامية من تطور صناعتها الأساسية، ونمو اقتصادها مهما كان ضئيلاً وهامشياً بالنسبة للاقتصاد الأوربي المتطور، فإن بعض الدول النامية كانت في طريق التطور، وكانت صناعتها وزراعتها ترتقي، وكانت تسعى إلى أن تحتل مكانة في السوق العالمية، كما كانت الهند والصين ودول نامية كبرى، وقد كانت هذه الدول تقوم بتجارب في الاكتفاء الذاتي، ففكرت الدول الاستعمارية وفي مقدمتها أمريكا أن تضع حداً لهذا الاتجاه الصاعد، واكتشفت وسيلة تجارة البضائع الاستهلاكية تشترك فيها الدول المتعددة.

كانت شعوب بعض الدول تعرف أن البضائع المتطورة

www.abulhasanalinadwi.org

الدقيقة تستورد من الخارج كالطائرات والدبابات والمدافع وعربات القطار، والقاطرات، والماكينات الدقيقة، لكن القمح، والرز، والفواكه، والبذور، والأدوية، والأقمشة العادية تنتج محلياً، وبإحداث هذا النظام بدأت الشعوب تستخدم المواد الغذائية، والفواكه والأدوات العادية المستوردة حتى البذور الأجنبية، وبذلك تغيرت الأشكال، والأحجام، والألوان، والطبائع، وبدأت هذه المصنوعات، والمنتوجات الأجنبية صناعياً، أو أجنبية الأصول، تغزو أسواق الدول النامية، بينما طبيعة المشتري أو المستهلك هي كما كانت، وفكرت الدول المصدرة لهذه المصنوعات أن تغير طبيعة المستهلك وميوله، واحتياجه، فاستخدمت وسيلة أخرى لإحداث الطبيعة المتعددة المتلونة، وهي وسيلة الإعلام والبث المباشر الذي ينقل إلى المستقبلين في الدول النامية الثقافات المتعددة، ومناهج الحياة المتنوعة السائدة في الدول الصناعية الكبرى، لتحل هذه الثقافات محل الثقافة المحلية، فتقبل النفوس على مصنوعات ومنتوجات الدول الصناعية الكبرى، فلا تستخدم الطبقات المترفة والراقية فقط البضائع المنتوجة في الدول الراقية بل يتهافت على هذه البضائع الرجل العادي الذي يستفيد من البث الإعلامي ولتعميم هذه الهيمنة الفكرية فكرت أمريكا وبعض الدول الحليفة لها أن تكون لها صحافة كذلك، وقد كانت تشتري الأذهان، والعقول، وتسخرها لمصلحتها، وقد استخدمت عشرات من الكُتّاب لترويج الفكر الغربي، ومحاربة الأفكار والعقائد المحلية، وإحداث الفتن بنشر الأفكار والاتجاهات الضالة، فعمل هؤلاء الكتاب عمل الطابور الخامس، ولكن كان تأثيرهم

www.abulhasanalinadwi.org

محدوداً ومحصوراً وسيوسع الاستيلاء على الصحافة المحلية دائرة النفوذ الأجنبي، فإن الصحافة أوسع انتشاراً وأعمق تأثيراً من الكتب، فإذا دخلت الصحافة في إطار التجارة المتعددة الشعوب، فإن الهيمنة الأوربية ستتم وتكمل.

لقد كان الغزو الفكري محدوداً في الماضي، وقاصراً على طبقات المتعلمين والمثقفين، والناشئين في البيئات الراقية، ولكن الغزو الفكري اليوم غزو عام، يشمل جميع الطبقات والدوائر، كذلك كان الاستعمار في الماضي استعماراً محدوداً، مؤقتاً يقوم على أساس الغزو العسكري، لكن الاستعمار اليوم استعمار عام، وهو عسكري، وصناعي، وتجاري، وثقافي، يشتمل على سائر المجالات، والقطاعات، وأخطر من ذلك أن الاستعمار القديم كان يثير ردود الفعل، ويحدث النزعة القومية والوطنية، والملية، ويبرز الذاتية، ولكن الاستعمار المعاصر يزيل الشعور، والوعي بالذاتية، ويحدث طبيعة المحاكاة، وينزع عن النفوس الشعور بالانتماء إلى وطن، أو أمة، ويذيب الشخصية والذاتية.

كانت الدول في السابق مرتبطة بالدول الأخرى وخاصة الدول الكبرى، بالأحلاف العسكرية، والأحلاف الاقتصادية، وكانت تستورد بضائع، وتصدر بضائع، وكانت تقبل بعض الأفكار والاتجاهات، وتصدر بعض الأفكار، والاتجاهات، ولكن الدول الكبرى اليوم بتوغلها في الدفاع، والاقتصاد، والتجارة، والثقافة بدأت تفرض على الدول النامية عقائدها، ومناهج الحياة لها، وتملي عليها ما يجب على سكانها من اعتقاد، وما يجب عليهم من اختيار لنظام سياسي، واقتصادي، وما يجب عليهم أن

www.abulhasanalinadwi.org

يأكلوا، وما يجب عليهم أن يلبسوا.

إن تأثير هذا الغزو الثقافي بدأ يظهر في حياة العامة والخاصة، في آسيا وإفريقيا، وبدأت المجتمعات والأسر تتفكك، وأواصر الأخوة والمروءة تضمحل، وتتصاعد الجرائم الخلقية وتتنوع، وتقع أحداث لم تكن تتصور في السابق.

www.abulhasanalinadwi.org

التغريب والتبشير
بوسائل التسلية والخدمات الإنسانية[1]

استهدف المبشرون العالم الإسلامي للتبشير كرد فعل للخيبة في الحروب الصليبية، ولذلك جعلوا الدول الإسلامية التي انطلقت منها الدعوة الإسلامية وجيوش الفتح الإسلامي الهدف الرئيسي لنشاطهم كالشام، والعراق، ومصر، وتركيا، لأن الغزاة خرجوا من هذه الدول في عصور مختلفة، وجيوش هذه الدول هزمت جيوش أوربا المجتمعة، فركز المبشرون على هذه الدول لنشر شبكات التبشير، وكان هدفهم إدخال المسلمين في النصرانية، أي التنصير، بوسائل مختلفة، وإن لم يتحقق التنصير بالذات، فكان هدفهم الثاني إخراجهم من دينهم، أو زحزحة عقيدتهم وثقتهم بالتاريخ الإسلامي، والهدف الثالث إيجاد ميوعة في حياتهم، وإحداث عادات، وميول اجتماعية وخلقية، ودوافع تبعدهم من غير شعور عن الالتزام بالتعاليم الإسلامية، والخلق الإسلامي، وإضعاف الغيرة الإسلامية، والشهامة الإسلامية، وأي هدف تحقق اعتبر مكسباً لهم، ولذلك اختاروا ثلاث مجالات للتبشير الوسائل العلمية، والتعليمية، والدعاية التبشيرية لإثارة الشكوك والشبهات، والخدمات الإنسانية، والنشاطات الثقافية،

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٤، العددان: ١٨-١٩، ١٦/مارس وأول أبريل ١٩٩٣م

www.abulhasanalinadwi.org

الموجهة إلى التبشير أو التعذيب، بتخطيط دقيق، وقد أثمرت الجهود التعليمية في العالم الإسلامي، وغير الإسلامي، وقد أشار إلى ذلك أحد القادة الأوربيين بقوله لقد حققنا بالتعليم ما عجز عن تحقيقه آباؤنا في الحروب، وما لحق بالمسلمين نتيجة للتعليم الغربي، معروف ومشاهد اليوم في العالم، وهناك مجالات أخرى للتأثير على الأذهان، وهي غير تعليمية لكنها تؤثر على الذهن أكثر مما يؤثره التعليم المباشر.

استخدم الأوربيون طرقاً متعددة في سبيل التأثير على الذهن، فاستخدموا صناعة الطب، والمعالجة، والإعلام، والأدب، والفن، حتى الفن المعماري لم يخل من عنصر التأثير الذهني، وتحويله إلى جهة تمجيد الغرب والمسيحية، وتتجلى فيه رموز تنقل الذهن إلى الصليب والتثليث، ويقول أحد المبشرين:

"كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير، ويجب أن يبقيا كذلك، أما أعمال الإحسان فيجب أن تستعمل بحكمة كيلا تذهب في غير سبيلها، فيجب أن تعطى الأموال أولاً للبعداء عن الكنيسة، ثم النقل تدريجياً كلما اقترب هؤلاء من الدخول في الكنيسة، فإذا دخلوها منع عنهم الإحسان مرة واحدة.

جعل المبشرون زيارة المسجونين والعمل في المستشفيات وسيلة إلى التبشير، حتى المأتم والجنازة، استغلها المبشرون لعرض تصورهم عن الحياة، والموت، والخطيئة، والكفارة.

وقد تحول التبشير في العصر الأخير بعد أن اكتشف المبشرون أن عمل التنصير المباشر عمل غير مجد، وإنما يثير ردود فعل في المسلمين، فأصبح عملاً سرياً، يؤثر تأثيراً غير شعوري، فيقول

www.abulhasanalinadwi.org

أحد المبشرين الذي يوضح هذه الطريقة.

يجب أن يظل المبشرون برآء كالحمام (أي دعاة المحبة، والتسامح والتعاون) ولكن لا يمنعهم ذلك من أن يكونوا حكماء كالحيات.

يقول بول هاريسون (Harrison) الطبيب في كتابه "الطبيب في بلاد العرب":

إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى.ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى.

ويقول: إن الطبيب يصل إلى جميع طبقات الناس، بواسطة المرضى الذين يعالجهم، فإذا أخفق في التنصير فإنه يستطيع أن يترك أثراً طيباً يوجد في النفوس إقبالاً عليه وحباً له، ويؤكد المبشرون أن يحمل الطبيب شارات ترمز إلى كونه مسيحياً، وأن يستغل الطبيب فرصة تجمع المرضى أو العائدين، ورجال الأسرة للنصيحة بحكمة، وإذا كان له مستوصف أو عيادة تكون فيها الرموز المسيحية، وأن يؤكد الطبيب أن الشفاء يأتي من المسيح، وأن الراحة تحصل بذكر المسيح، وقد استخدم بعض الأطباء طرقاً مختلفة لإيجاد هذا الشعور في المريض مثلاً دعوة المريض أن يذكر اسم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ووصف دواء لا تأثير فيه، ثم يطلب منه بأن يذكر اسم المسيح، ويركع له، ويعطيه دواء مرضه الحقيقي.

يستغل المبشرون النكبات والحوادث والكوارث فيتوجهون إلى مواضع هذه النكبات، باسم الخدمات الإنسانية، وفي مقدمة هذه الجمعيات جمعية الصليب الأحمر، التي تحمل شارة الصليب

www.abulhasanalinadwi.org

لأعمال الإسعاف والإنسانية، ولا يفارق هذه الجمعية الصليب في أي عمل، وتستفيد هذه الجمعيات التبشيرية هذه الفرصة للخدمات التبشيرية من وعظ ونصيحة، وإيجاد صلة مع الناس، وإظهار العطف على النساء، والعجائز، والأطفال، وتحمل المنكوبين على تقديم أطفالهم للتعليم في مدارس التبشير، والتربية في الدول الأوربية لتنصيرهم، وقد ثبت ذلك في فلسطين، والحرب العراقية الإيرانية، وأفغانستان، وفي الاضطرابات الطائفية والكوارث الطبيعية في الهند وبنجلاديش، و باكستان، وتفيد التقارير الواردة من ألبانيا، والبوسنة، ومقدونيا، والبلدان الإسلامية الخاضعة للاستعمار الروسي سابقاً، بنشاط مماثل، فتوزع الصلبان على المحتاجين والعجزة مقابل الخبز والمعونة، ويطلب منهم بتعليقها، ويجري شراء أطفال المسلمين ونقلهم إلى البلدان الأوربية لينشأوا في البيئة المسيحية.

ومن وسائل التبشير النوادي للتسلية، وقضاء وقت الفراغ فهي رغم كونها عامرة بالشابات والمبشرات، وتشتمل برامجها على نشاطات تقرب إلى المسيحية، وتبعد عن الإسلام، أو تحدث تهاوناً في أمور الدين، وكذلك النشاطات الكشفية والمخيمات التربوية، وقد أوضح مؤتمر المبشرين الخطة الآتية:

"يجب أن نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار قبل أن تتشكل عقليتهم وأخلاقهم تشكلاً إسلامياً، إن جميع الوسائط التي استخدمت ظهر نجاحها، يمكن أن تستخدم من جديد لتوقظ عقول الصغار وتجلو أخلاقهم، سواء في ذلك ما تعلق بالمدرسة، أو ما كان خارجاً عن نطاق المدرسة، فمن ذلك مثلاً المخيمات

www.abulhasanalinadwi.org

الكشفية للفتيان وللفتيات، مدارس الأحد، جمعية الشبان المسيحيين، جمعية الشابات المسيحيات، منظمات الشباب، والمخيمات، والمؤتمرات للطلاب، والأندية الرياضية وما يتصل بذلك من بيوت الطلبة، التي زادت الحاجة إليها لزيادة عدد الطلاب، إن هذه البيوت يجب أن تكثر حتى يمكن أن نجتذب هؤلاء الطلاب إلى مملكة المسيح".

ويخدم نظام الفنادق ودور الضيافة، وخاصة الفنادق الفخمة ذات النجوم الخمسة التبشير أيضاً ففي معظم هذه الفنادق وإن كانت في الدول الإسلامية المتحفظة تتبع التقاليد والعادات الغربية وهي مسيحية أصلاً، كطرق الأكل، والاستجمام فهي تشتمل على مأكولات ومشروبات وتقاليد غير إسلامية، فلا تراعي فيها الطهارة، وفي كثير من هذه الفنادق يتبع نظام غربي كامل لا يوجد تسهيلات استخدام الماء في الطهارة، كذلك توجد فيها الإغراءات التي تدعو إلى الإثم كوجود المشروبات الكحولية في الثلاجات في الغرف، ودعوة النزلاء إلى استعمالها، وتوفير لحم الخنزير وخلطه باللحوم الأخرى، وتقديم وجبات على أنغام الموسيقي ووجود مناظر مغرية ومواضع الاستحمام المخلوطة، فيقع كثير من النزلاء في الفتنة لعموم البلوى، وفي دور الضيافة البعيدة توجد مغريات أخرى، وبالإضافة إلى الفتن اكتشف في بعض الفنادق في البلاد الإسلامية رموز مسيحية كالصليب في السجاجيد، والستائر، وفن البناء، ونسخ الإنجيل في الادراج، أو دروس الإنجيل.

ومن وسائل التبشير أيضاً الصحافة والإعلام والمعارض

www.abulhasanalinadwi.org

الفنية للتبشير ويقع تأثيره على الذهن، بطريق غير مباشر، فتقدم تحليلات وتقارير موجهة عن المسلمين والإسلام، والعالم الإسلامي، وصور تبرز شقاء المسلمين، وتخلفهم وميلهم إلى العنف، والإرهاب، وتصور حياتهم كمظهر للقذارة، وتصور غيرهم في إناقة وتثقف، ونزاهة وترفع، فيأخذ كل من يشاهد هذه المناظر، تصوراً خاطئاً عن الإسلام والمسلمين.

إن هذا الطابع التبشيري واضح في جميع هذه المجالات، وهو يجري بحرية في العالم الإسلامي، وتأتي ثماره المطلوبة، وينسلخ من الدين الإسلامي بهذا الطريق ذهنياً وثقافياً، آلاف وآلاف من أبناء المسلمين، إلا من أكرمهم الله، ونجاهم الله، وإذا تصدى أحد أو حركة لمواجهة الوضع فإنه يواجه حملة إعلامية شديدة، ويوصف بالتطرف، وتوضع في سبيله عقبات.

www.abulhasanalinadwi.org

اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب [1]

كانت أكبر حجة للقوى المعادية للإسلام أن الإسلام دين العنف، ودين العنجهية، ولذلك كانت تصف الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى التزمت، والعصبية، والإكراه، وقد قبلت العقول المريضة هذا المنطق الذي لا يؤيده التاريخ، ولا واقع الحياة المعاصرة.

كانت عدة بقاع العالم المتمدين اليوم خاضعة لحكم المسلمين سابقاً، فقد كانت عدة بلدان أوربية وآسيوية، والعالم العربي كله تابعة للعثمانيين، الذين كانوا يسيطرون على مجرى الأمور، وكانت الدول التي تعتبر الآن القوى الكبرى التي تقتسم مصير العالم، مستضعفة بحيث إنها كانت تستنجد الدولة العثمانية كلما وقعت في أزمة أو هددت من البلد المجاور، فكان المسلم أو العثماني رمزاً للقوة والشجاعة، يسمع ويطاع، كما كان رمزاً للإسلام، كذلك كان المغول في الهند الذين كانوا منافسين للإمبراطورية العثمانية، كانت حكومتهم شبه إمبراطورية، يمتد نفوذهم من إيران إلى حدود الصين، ولم يشهد التاريخ هذه المنطقة الشاسعة تحت علم واحد، ونظام واحد، وحاكم واحد، قبل المغول، كانت هذه المنطقة التي تتكون الآن من أكثر من ثلاث

[1] نشرته "الرائد" السنة: ٣٠، العدد: ١٠، ١٩٨٨م

www.abulhasanalinadwi.org

دول، ويصعب على حكام دولة منها أن يبقوا سيطرتهم، ويحلوا مشاكلها، ويؤمنوا سلامة البلاد بلداً واحداً، كما كانت الإمبراطورية العثمانية السابقة تغطي مساحة تتوزع الآن على عشرات الدول، وقد عرف التاريخ الحاكمين المغولي والعثماني مثالاً للتسامح، مع القوة والغيرة، فقد استطاع المغول في الهند بحكمهم ودهائهم، وتجربتهم وسليقتهم في معالجة الأمور والسلوك مع الرعية، وتيقظهم وروح المخاطرة، والشجاعة، أن يحكموا هذه البلاد ذات الحضارات واللغات، والتناقضات، والجبال والسهول، أو الزهور والأشواك، ثلاثمائة سنة، لا ينازعهم فيه أحد، وتخضع لهم أغلبية البلاد بل تشاركهم في الحكم في مختلف القطاعات، رغم اختلاف العقيدة والثقافة، وأبدى هؤلاء الحكام من رحابة الصدر في سلوكهم مع رعيتهم، فسمحوا ببناء المعابد، وخصصوا لها الأوقاف، وأمنوا سلامة البلاد، ولم يسمحوا بالتمييز على أساس الدين والعقيدة، واللغة، والثقافة، وحتى إن ثقافتهم عرفت بالثقافة المركبة، وكان سلوكهم مع الهنادك الذين كانوا يشكلون الأغلبية في البلاد سلوكا قد يعترض عليه المتشددون بالتسامح الزائد، وأكبر شاهد عليه وجود المسلمين في أقلية في هذه البلاد، ولغتهم وثقافتهم تكافحان للبقاء رغم حكم دام ثمانية قرون.

وسلك نفس المسلك العثمانيون رغم حروبهم مع الدول الأوربية الصليبية وعداء الصليبيين السافر لهم، فقد تمتع المسيحيون واليهود بحقوق المواطنة كما كان المسلمون يتمتعون بها، وكان سلوكهم مع الدول المسيحية التي لم تجاوبهم سلوك صداقة وودّ

www.abulhasanalinadwi.org

وتعاون ، وقد أنقذوا عدة دول مسيحية من مخالب العدو في محنتها ، ويجد الباحث في التاريخ أمثلة من هذه العلاقة بين العثمانيين وعدد من الدول المسيحية ، وما كان المسيحيون يتمتعون به من حقوق ولم تفرض قيود في مجال التعليم وفرص العمل ، ومناصب الحكومة ، وخير شاهد على هذا التاريخ الآثار المسيحية في البلاد ، التي حكمها الأتراك ، والمكانة التي يتمتع بها المسيحيون في مجالات التعليم والثقافة ، والاقتصاد في العالم الإسلامي اليوم.

كل ذلك لأن الحكام المسلمين كانوا واثقين بالنفس ، معتمدين على صدق القول والعمل ، وكانوا بعيدين عن نفسية الخوف والذعر ، فكانوا لا يخافون الأغلبية على اختلاف عقيدتها ، ولا الأقلية على اختلافها في العقيدة والثقافة.

ولو سلك المسلمون في عهد حكمهم الذي دام عدة قرون السياسة التي يتهمهم بها أعداؤهم اليوم لما بقي غير المسلمين في بلادهم بعددهم الزاحم ، ولغتهم ، وثقافتهم ، ولتمَّ القضاء على كل أثر غير إسلامي ، ووجود غير إسلامي ، ولا يعرف التاريخ ظلماً اجتماعياً على أساس الدين أو مجزرة من المجازر الرهيبة التي مضت في الاتحاد السوفيتي وفرنسا ودول جنوب شرق آسيا ، وإفريقيا ، باسم الدين والعقيدة السياسية والاقتصادية في هذا العصر الذي عرف بعصر الحرية والوحدة والمساواة والحقوق الأساسية ، وفي عهد الأمم المتحدة ، وما تمارسه الحكومات المتحضرة اليوم ضد الأقليات الدينية واللغوية والثقافية اليوم رغم دعوى العلمانية والمساواة.

إن الذين يتهمون المسلمين باستعمال القوة في فرض

www.abulhasanalinadwi.org

عقيدتهم وثقافتهم يجهلون التاريخ ، أو إنهم يرون في مرآة التاريخ صورتهم ، ويريدون أن يبرروا مآسيهم ومهازلهم بتزوير التاريخ الإسلامي.

إن الحروب التي وقعت في العالم المسيحي باسم الدين ، والمطامع السياسية ، ووسائل الاضطهاد ، والاستبداد التي اختارها الحكام المسيحيون في أوربا ، وفي العهد الأخير في دول العالم الأخرى تشكل وصمة عار على جبين التاريخ ، ولا يغسل هذا العار بإثارته مدافن التاريخ ، أو بتلطيخ وجه نقي.

هذه طبيعة أعداء الإسلام ، وقد واجه الإسلام والمسلمون هذه الطبيعة في كل عصر وهي طبيعة أعداء الإسلام اليوم كما كانت بالأمس.

يتهمون المسلمين بأنهم هدموا المعابد ، وحولوها إلى مساجد ، ولا يعرفون إلا ثلاثة أو أربعة مساجد يدعون أنها أقيمت على أنقاض المعابد ، ولكن توجد اليوم مئات من المساجد التي حولت إلى أنقاض ، أو حولت إلى معابد هندوكية ، ويقولون إن المسلمين أكرهوا على قبول الدين الإسلامي وليس لديهم مثال لهذا الإكراه ، وتوجد اليوم مناطق شاسعة أجبر المسلمون فيها على التخلي عن دينهم ، وتوجه الدعوة في الاجتماعات المفتوحة إلى التخلي عن دينهم ، ويهاجمون الإسلام ورسول الإسلام وأصحابه علناً ، وتشجع المؤسسات العالمية على الكتابة ضد الإسلام وتشويه تاريخه ، وتمنح جوائز عالمية على أعمال الإساءة إلى الإسلام والمسلمين ، وتجري حملات مكثفة ضد الكتب الدينية ، بوصفها الكتب الصفراء ، وكتب الإرهاب ، والجمود ،

www.abulhasanalinadwi.org

وتعد برامج موسعة للتهنيد، ولتنصيرهم، وفي كثير من بلاد المسلمين أنفسهم تتخذ وسائل لمنع النشاط الإسلامي، ولإجبار المسلمين على قبول أفكار معادية للإسلام، فأين يقع الإكراه إذا ؟

www.abulhasanalinadwi.org

متى تفيق أوربا من هول الحروب الصليبية؟[١]

يتخذ علماء أوربا دائماً موقفاً سلبياً إزاء قضايا العالم الإسلامي، وإزاء الإسلام والمسلمين، وهو موقف يتعارض مع الموضوعية التي يدعي بها علماء أوربا، إنهم لا يزالون يتشبثون بالصور الخيالية والأساطير التي روجها الكتاب في عصر الحروب الصليبية والتي لا صلة لها بالتاريخ ولا واقع المسلمين، ولا يتطابق هذا الموقف مع طبيعة العلم المعاصر لدراسة الأوضاع دراسة طبيعية، ودراسة النتائج، ورعاية المتغيرات، وتقتصر سياسة أوربا كذلك على التصورات القديمة، فترفض ما يحدث في العالم الإسلامي من تغير، وتؤول ما يقع فيه من أحداث تأويلاً معكوساً ولا تقوم بتحليل الأوضاع تحليلاً علمياً، ولا ترعى رغبات الشعوب الإسلامية، ولا تتعامل معها إلا بتحفظات وحذر، ولا تقيم صلاتها بها بالثقة المتبادلة، وإنما تتعامل مع وكلائها ووسطائها.

لقد كونت أوربا في عهد الحركة الانتقامية من المسلمين تصورات عن الإسلام والمسلمين كانتشار الإسلام بالسيف، وموقف الإسلام إزاء المرأة، والعلم، والحضارة، والأخلاق،

---

[١] نشر في "الرائد" السنة: ٣٠، العددان: ٥ - ٦، ١-١٦/ديسمبر ١٩٨٨م،

www.abulhasanalinadwi.org

وحقوق الأقليات في الحكم الإسلامي، وأسباب تخلف بلاد المسلمين، وطبائع سكانها، واتخذت موقفها في ضوء هذه التصورات التي اصطنعها الكتاب المبشرون في عهد مواجهة العالم الإسلامي، ولا تزال الأقلام الغربية والأقلام الموالية لها تردد هذه التصورات من فهم، ومن غير فهم، بدون دراسة واقع الحياة في العالم الإسلامي، ودراسة الإسلام دراسة واقعية، والتعرف على المجتمع الإسلامي، ولا تبذل محاولة للتعرف عليه، ولذلك تدوم في الغرب نفسية الحرب مع الإسلام والمسلمين.

لقد تغير الوضع كثيراً في عالمنا اليوم، فسقطت عدة بلدان أوربية استعمرت الشعوب الإسلامية، وحاولت أن تمحو آثار الحكم الإسلامي وفرضت عليها نظمها، وفلسفاتها، وعرف العالم الإسلامي ما تحمل هذه النظم من صلاحية سعادة و شقاء، كما زار عدد من المثقفين المسلمين البلدان الأوربية، ودرسوا الحياة دراسة واقعية، وزار المثقفون الغربيون البلدان الإسلامية، وعرفوا الأوضاع التي تسود فيها، ووجدوا رحابة صدور المسلمين في قبول الفكر، وتلقى العلم، والمساواة بين الناس، وعدم التمييز، أو العصبية، بالنسبة للآداب والثقافات والمذاهب إلى حد تعرض كيانهم الثقافي للتبدل، وتسربت الأفكار الأجنبية إلى الأجيال الجديدة، وعرفوا أن مثل هذه الرحابة والحرية الفكرية لا توجد في أي بلد أوربي، ولا في البلدان التي تتبع الدول الأوربية، فلا توجد في العالم الإسلامي مثلا تلك الضجة ضد انتشار النصرانية أو القيم الحضارية الجديدة التي توجد في أوربا ضد الصحوة الإسلامية، والعاملين لها، ويعرف العالم أن المجتمع الإنساني يعيش في العالم

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي في ظروف مؤاخاة وترابط، لا توجد فيه تلك الفوارق بين السود والبيض، والمواطنين وغير المواطنين، والأوربي وغير الأوربي مثل ما توجد في البلدان الأوربية، التي تدعي بالمساواة وكرامة الإنسان.

كونت أوربا تصورها عن حقوق المرأة، ومستوى معيشتها في المجتمع الإسلامي، على أساس حق الطلاق للرجل، وتعدد الزوجات، والحجاب، فافترضت أن المرأة مقيدة، ومحرومة في المجتمع الإسلامي، ولذلك تعارض تطبيق الشريعة، ولأن تطبيق الشريعة في نظرها يعني فرض الرقابة على المرأة، ولكنها إذا درست حياة المرأة في المجتمع الإسلامي، وحياتها في المجتمع غير الإسلامي، رغم تدهور في تطبيق تعاليم الإسلام، وتنفيذ جميع الآداب والحقوق والتعليم بالعدل والإنصاف، وقارنت بين المرأة المتبرجة التي تسير على الشوارع والأسواق والنوادي بحرية وسفور والمرأة المتحجبة، لأدركت أن المرأة المتحفظة بالحقوق والكرامة التي يضمنها الإسلام أسعد من المرأة المتجردة من هذه الحقوق والضمان، فقد انحطت مكانة المرأة في المجتمع الغربي إلى منزلة السلعة المادية، يشهد بذلك من له اتصال بالمجتمع الإسلامي، المتحفظ، وقد كانت الموضوعية تقتضي إجراء إحصاء لمعرفة ما تشعر المرأة به في الحجاب من سعادة وأمن، وطمأنينة، وما تشعر به المرأة المتبرجة من أخطار وقلق نفسي وما تقوم به المرأة من دور بناء وما تتمتع به من السعادة والطمأنينة وتوفر على نفس الرجل، بتحملها مسئولياتها المعينة.

كانت الموضوعية تقتضي إجراء مسح اجتماعي لجمع

www.abulhasanalinadwi.org

إحصائيات عن القضايا الاجتماعية ونسبة الشقاء والسعادة بين المجتمعين المختلفين، المجتمع الذي تعيش المرأة فيه غير مرتبطة بالقيود، وغير ملتزمة بالقيم الخلقية، والمجتمع الذي تعيش فيه المرأة بتحفظ وتقيد خلقي وأن تجمع حوادث تؤدي إلى الطلاق، أو تهدد الطلاق، وكيف يعيش الزوجان حياة أفضل.

ومثل المرآة قضية العلم ومستوى المعيشة، فإن أوربا تقيس فيه بعهد الانحطاط للمسلمين الذي وصل إليه المسلمون بعد ألف سنة من التقدم الحضاري، والتفوق العلمي، ولا تنتقل إلى الأجيال المعاصرة ذكريات العهد الذي كان المسلمون فيه أساتذة في الفلسفة والعلم والفن، وكانت أوربا تأخذ منهم وتحاكي مناهجهم رغم محاربتها لهم.

إنه لدجل علمي أن تعرض أوربا تاريخ عهدها الحاضر، وتقدم عهد انحطاط المسلمين، والحق أن عهد الازدهار لا يقارن إلا بعهد الازدهار ومثل الحضارة، القوة العسكرية، فإن المسلمين كانوا دائماً متفوقين في القوة العسكرية ولم تنتصر أوربا في الحروب الصليبية المتعددة إلا في معارك جزئية، فقد غلب المسلمون على البيزنطيين وعلى قوى أوربا المجتمعة في معظم المعارك الكبرى، وانتصر السلاجقة والزنكيون، والأيوبيون، والمماليك، والعثمانيون على الدول الأوربية الغازية، ومن ذلك حقد أوربا، لهؤلاء الحكام، فتنتقم منهم ببث الكراهية لهم في النفوس لتغسل عار الهزيمة عن جبينها فكرياً، وإن لم تستطع أن تغسله عملياً، وتقوم الأقلام الغربية بحملة كراهية لهم، ويتبع هذا المنهج عدد من الكتاب المسلمين فيعتدون على المماليك، والسلاجقة،

www.abulhasanalinadwi.org

والعثمانيين، ويفوتهم أنهم صانوا عز العرب، ودافعوا عن الدولة الإسلامية، وكانوا رمزاً للشجاعة.

إن التفاضل يكون بين متقابلين لا بين متفاوتين، وليس من العدل والإنصاف أن يقوم الكتاب المعاصرون بعمل تضليل وتحوير، فيصوروا حياة بعض الحكام المسلمين تصويراً جانبياً، يلتقطون المساوئ والفلتات، ويغفلوا في هذا التصوير الجانبي الميال ما كان الحكام في أوربا في ذلك العهد يقومون بمعاملة استبداد، وقتل وبطش مع شعوبهم، والحروب الطاحنة التي كانت تجري بين الدول المجاورة، وبين الأشقاء في أوربا إلى العهد الأخير، وما حدث فيها من سفك الدماء وإهدار لكرامة الإنسان والتمتع الذاتي، إنها مظاهر التقدم ومظاهر السعادة، إن التقدم الحقيقي تقدم فكر الإنسان وسموه، ونزاهته، وصلاحيته للنمو، والسعادة الحقيقية، هي طمأنينة القلب، والشعور بالسعادة والأمن النفسي، فهل تدل الأرقام والحقائق على وجود هذا التقدم والسعادة في البلدان الأوربية اليوم، أم يوجد هذا النوع من التقدم في البلدان التي تتمسك بالقيم والتعاليم الدينية، ويوجد فيها تحفظ في الحياة.

إن العالم اليوم عالم مفتوح، ويمكن لأي فرد أن يتعرف على أي بلد وأي مجتمع، ويعرف مواقفه إزاء الحياة، والإنسان، فلا يمكن تضليل العالم بالكتابات المضللة، وترويج القصص القديمة، والصور المشوهة، ولكن أوربا لا تزال تعرض عن كل ما هو خير في العالم الإسلامي وفي الإسلام، وتواصل حملة الكراهية بناء على التصورات التقليدية، وتصر على قمع الحركات الشعبية، ووصفها بالحركات الانعزالية، والتطرف، والتزمت، والرجعية،

www.abulhasanalinadwi.org

بدون أن تدرس مشاريعها ومطالبها، وصلتها بالحياة، وبناء المجتمع الإنساني، والعمل للخير.

إن هذا الموقف هو موقف التحجر، والتخلف الفكري ولا يليق بموقف أوربا في المجالات الأخرى، وستنقذ أوربا نفسها من كثير من متاعب إذا أدركت الوضع الحقيقي، وعرفت التيار الجارف، وحاولت الانسجام معه، وتعديل الموقف في ضوئه.

www.abulhasanalinadwi.org

العالم بين قوة تبني[1]
وقوى كثيرة تهدم

لم تواجه الإنسانية في عصر من العصور قوى التدمير والتتبير والتعمير والتكوين في وقت واحد مثلما تواجه في العصر الحاضر، فيلتقي العلم، والجهل، والطغيان، والطاعة، والعلاج، والمرض، في هذا العصر التقاء غريباً، ولا يلتقي بحيث أن تكون للعلم قوة تحميه، وللجهل قوة تحميه، أو للبناء قوة تقوم به، وللتدمير قوة تقوم به، بل تلتقي هذه القوى في شخص واحد، أو دولة واحدة، كما أن النفاق، والجدل، والتلفيق، وقلب المعاني، والتحوير والتعسف في التأويل، لم يكن شائعاً في عصر من العصور كما يشيع في هذا العصر.

ولكل وحدة من هذه الوحدات منظمة، ومؤسسة ولكل عمل من هذه الأعمال وسائل مهيأة، وإذا ألقى أحد نظرة على مجريات الأمور واجه تناقضاً غريباً.

نشاهد في هذه الفترة عدة حركات ومذاهب باسم الإنسان وضمان حقوقه، وتأمين سلامته، كما نشاهد عدة منظمات وجمعيات لنجدة المظلوم، ومنع الصراع من التطور إلى صدام مسلح، وحل المشاكل بالمفاوضات والمحادثات، والطرق السلمية،

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٤، العددان: ٢١-٢٢، ١-١٦/مايو ١٩٩٣م

www.abulhasanalinadwi.org

وإتاحة فرص اللقاء، وعقد الأحلاف بين الدول الكبرى لمنع الصدام وتأليف جمعيات، كعصبة الأمم المتحدة، وإنشاء محكمة العدل العالمية، واتخاذ ميثاق لحقوق الإنسان، وإنشاء منظمة العفو الدولية، ومنظمة اليونسكو لصيانة التراث وتنمية العلم والثقافة، وصندوق النقد الدولي، للمعونة المالية، حتى الجمعيات لصيانة الحيوانات والطيور، ووقاية الأطفال، والمرأة، وكجمعية الصليب الأحمر الدولية، وجمعية الهلال الأحمر، والأسد والثعلب، وتوجد جمعيات الإغاثة والإسعاف، منظمات للوحدة الإقليمية، كمنظمة الوحدة الإفريقية، والسوق الأوربية المشتركة، ومنظمة حلف شمال الأطلسي، وحلف ورسو، والجامعة العربية، والمنظمة الإسلامية، ووقاية الإنسان من الخطر، وجميع هذه المنظمات تسعى إلى الوحدة وحل المشاكل ولكن وجود هذه المؤسسات لا تغني شيئاً، بل تزيد تشتتاً وتمزقاً في العالم، لأن هناك مؤسسات أقوى منها للأعمال الإرهابية وحركات الانفصال والثورة، والمؤامرات للإخلال بالنظام في عدة دول و تختلق صراعات بغرض بيع الأسلحة وإتاحة فرصة للتدخل، فيجري حديث الأمن والسلام في جانب ومحاولات الإخلال بالأمن وإيجاد الصراع المسلح في جانب آخر.

يقول مؤلف كتاب موسوعة التاريخ العالمي لنكر عن هذه الفترة من التاريخ التي تقدم فيها العلم، و اتخذت فيها إجراءات لمنع الاشتباك والأمن المنطقي: "لقد تقدمت العلوم وكان لها تأثير على الصناعة، فاخترعت آلات ومعدات، وازدادت بها القوة الحربية لكثير من الدول الأوربية، فازدادت بذلك احتمالات

www.abulhasanalinadwi.org

الصدام واستعمال القوة الحربية ، وتعرضت سلامة عدة دول للخطر ، وانتشر الخوف والذعر ، لإمكانية الحرب ، فدخلت مجموعات من الدول في أحلاف ومعاهدات ، وأجريت محادثات لتسوية مسائلها ، ولكن هذه الأحلاف والمعاهدات زادت من المخاوف ورفعت من إمكانيات الحرب ، فتصعد الاتجاه إلى الحرب كرد فعل ، وكإجراء وقائي ، وفي هذه الفترة امتد نفوذ الدول الأوربية إلى إفريقيا ، فامتد بذلك مجال الصراع ، يعتبر هذا العصر عصر العلم والرقي الفكري والحضارة ، ولكن واجهت الدول الضعيفة في عهد التقدم الحضاري ورقي العلم في أوربا ، وسيطرتها عليها الغزو الفكري والكبت والاضطهاد ، وطمس المعالم القومية والثقافية لها بأيدي المستعمرين ، ومحاولات التزوير والتشويه للتاريخ والثقافة وإبادة اللغات ومراكز العلم والثقافة والفن.

وفي هذه الفترة وقعت صراعات عنيفة في أوربا ، ومنها جرت حربان عالميتان استنزفتا وسائل الرقي ، وواجهت الإنسانية دماراً هائلاً لا يوجد له مثيل في العهود السابقة ، ويقدر أن عشرة ملايين جندي قتلوا ، ونفس العدد من المدنيين في الحرب العالمية الأولى ، وقتل في الحرب العالمية الثانية ٢٢ مليوناً وجرح ٣٤ مليوناً ، وقتل في كوريا خمسة ملايين شخص"

وقامت ثورة اشتراكية غاشمة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وذهب ضحيتها ملايين من الناس ، وواجه الملايين منهم التعذيب والكبت والقتل وقمع الحريات ومصادرة الممتلكات ، وقامت دول استبدادية اتخذ فيها حكم الفرد للاستبداد شكلاً جديداً يتبع فيه جميع أنواع القهر ، وكانت أوربا الشرقية مسرحاً

www.abulhasanalinadwi.org

لهذه التجربة القاسية.

وفي هذه الفترة وجدت طبيعة الثورة على القيم، فزالت المثل والقيم ورعاية الحقوق، وانقلبت الموازين في دول كثيرة بمذاهب الانحلال التي نشأت في أوربا.

ثارت قضايا في مختلف أنحاء العالم أدت إلى التشريد والقتل، ودامت عشرات السنين بسلوك الدول الأوربية الاستعمارية كالهند و"الصين" و" فيتنام" و"كمبوديا"، و"كوريا"، ونيكاراجوا" و"شيلي" و"بناما" و"ليبريا". حيث قتل ملايين من الناس، وشرد ملايين آخرون.

نشأت في هذه الفترة منظمات إرهابية تقوم بتدريب الإرهابيين وتصدر خدماتهم إلى الدول الأخرى، ومقرها "إيطاليا"، و"أمريكا"، و"إنجلترا"، و"فرنسا"، وترجع مشاكل بعض الدول إلى هذه المنظمات.

وجدت وكالات للمخابرات لا تهمها أعمال الأخبار والجاسوسية فحسب، بل أنها تقوم بحياكة مؤامرات ودسائس لقلب نظام الحكم، وإحداث القلاقل في دول كثيرة، منها (سي آئي إي) و(كي جي بي) و(موساد) وأمثالها وبسبب نشاطات هذه الجمعيات وقعت حروب طاحنة في عدة دول وتتأزم الأوضاع.

وقعت في هذه الفترة حروب منطقية كحرب التحرير في أفغانستان إثر احتلال روسيا، وحرب إيران والعراق، وغارة إسرائيل على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وتستمر الاشتباكات المسلحة في "سري لنكا" و"السودان" و"الصومال" و"بورما"، و"الفلبين"، و"تهائليند"، و"الهند"، و"أفغانستان"، و"باكستان"،

www.abulhasanalinadwi.org

ودول آسيا الوسطى، وأوربا الشرقية.

كان من القضايا المستعصية في هذا العصر عصر الحضارة والتقدم والحرية والأمن استيطان اليهود لأرض فلسطين العربية بتأييد الدول الأوربية المتحضرة، وتشريد المواطنين الأصليين، ومنح الأجانب حق المواطنة وطرد المواطنين وتهيئة وسائل الحماية الكاملة لهذا النظام الأجنبي، وإن القضايا التي أحدثت في هذا القرن الذي بلغت فيه الحضارة قمتها تبلغ في العدد والضخامة والنتائج السيئة ما لم تبلغ قضايا القرون العددية الماضية.

ومن المسائل التي لم تحل رغم الجهود المركزة مسألة نزع السلاح وتخفيف الأسلحة، فقد عقدت من أجلها مؤتمرات على مستويات مختلفة، ويؤدي كل اجتماع إلى بيان يحث على ضرورة تخفيف الأسلحة المدمرة من الانتشار، لكن الأسلحة المدمرة تنتشر انتشاراً واسعاً، وتدخل في قائمة الدول المنتجة للأسلحة الفتاكة دول جديدة، وقد اكتشفت الأسلحة الكيماوية، ويجري التفنن في إنتاج هذه الأسلحة وإحكامها والتدقيق فيها، وتنفق معظم الدول على تكديسها ما لا تنفقه على التعليم، ورفع مستوى الشعب.

ومن هذه المسائل التمييز العنصري، والاستغلال الطبقي، وقد نصت دساتير معظم الدول على إزالة الفوارق بين مختلف طبقات المجتمع ومنح فرص مساوية، ولكن بدلاً من إزالة الهوة والتفرقة تزداد الهوة بين مختلف طبقات المجتمع البشري حتى في الدول الراقية.

إذا قام أحد بالمقارنة بين ما كسبه من الحضارة الأوربية في ظل السيادة الأوربية وبين ما خسره، وبين ما سعد به، وبين ما

www.abulhasanalinadwi.org

شقي به، لخرج بنتيجة واحدة إذا كان له قلب حساس، وذهن يميز بين الخير والشر، ولم يسلب لبه بريق الحضارة المعاصرة، ولم يرعبه تقلب زعمائها، أن الإنسان في العصر الحاضر يشقى أكثر مما يسعد، ويواجه المعاناة أكثر مما كان يواجهه من المعاناة في العهد الماضي.

إن العالم اليوم مهدد بالصراعات والنزاعات المسلحة، فبين كل بلد وبلد نزاع، وبين كل مذهب ومذهب نزاع؛ وكل نزاع يؤدي إلى مجابهة، وكل مجابهة تتطور إلى استخدام القوة، فلا يتمتع حكم في بلد، ولا مذهب بحرية، وإنما يتعرض للتدخل فيه، ويجبر أصحابه على التعديل فيه، وتملي الدول الكبرى رغباتها ومصالحها على كل بلد، وتتخذ وسائلها لإخضاع حكام البلدان الأخرى لمطامعها فلا تتمتع بعض البلدان بحرية تعيين وزير، أو ضابط كبير، وقد حدث أن بعض التعيينات غيرت، وعدلت لأنها لم تطابق مصلحة بعض الدول الكبرى.

إن أكبر مأساة الإنسانية المعاصرة هي عبوديتها للغرب، ويعاني هذه العبودية كل بلد من بلدان العالم صغيرها وكبيرها، باعتبار مساحة الأرض، والطاقة البشرية، ولعل هذه هي المأثرة العظيمة للغرب أنه استعبد العالم كله، وأسوأ العبودية أن يجعل أحد هواه تبعاً لسيده، فلا يستحسن إلا ما يستحسن سيده، ولا يستقبح إلا ما يستقبحه سيده، الطريف في ذلك أن مثل هذا الإنسان يعرف في القاموس المعاصر بالمثقف والمتحضر، ومن يعارضه بالأصولي المتزمت.

www.abulhasanalinadwi.org

سقطت السنبلة وارتفعت المطرقة[1]

تغنى الأدباء والشعراء المتجددون الذين سحرهم بريق الحضارة الغربية بالعلم، والتقدم، والسعادة، والرفاهية، وكرامة الإنسان، والمحبة، ونسبوا جميع المكارم والفضائل إلى العصر الحديث، وتجاوز الشعراء الاشتراكيون في ذلك إلى الثورة على القيم الأدبية المألوفة وأغراضها وتعابيرها، وجعلوا السنبلة، والمطرقة، والمزرعة، والمصنع، والمعمل والكادح العامل والمرابي الثرى، والكوخ والقصر رموزاً جديدة، وجعلوا كل ما كان قديماً في التعبير الأدبي موضع سخرية، وصوروا الإنسان من العصور السابقة مستعبداً متحارياً وحشياً قاسياً جاهلاً تابعاً للطقوس والخرافات، يستغله أفراد أو طبقات ذات امتيازات، وصوروا الحكام والملاك السابقين كأعداء الإنسان يتنعمون بشقاء بني جلدتهم، ولكن السنبلة والمطرقة وحرية الإنسان وكرامته لا تزال خيالاً رائعاً بعيداً عن الحقيقة.

ملايين من الجائعين وملائين من الكادحين، وملايين من المضطهدين، وملايين من الجهلاء، والعاطلين عن العمل يتدفقون في كل مكان، معظمهم يعيشون في جنة هؤلاء الأدباء المتجددين والعلماء المتحضرين في بلادهم التي وصفوها بمعاقل الحضارة

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٢٥، العددان: ٢٠ ـ ٢١، ١٦/أبريل وأول مايو ١٩٨٤م.

www.abulhasanalinadwi.org

الإنسانية.

طبعاً، هناك مصانع، ومعامل، ودور التعليم، ومختبرات، ونشأت الملاهي والمسارح، وأماكن المتعة، وتوسعت آفاق الدراسة والبحث، وسخرت وسائل الرفاهية والسعادة، ولكن برزت بجانب هذه المواضع بقع شقاء الإنسان وتعاسته، وتضخم عدد الأشقياء وعدد المستعبدين المحكومين بقوة السيف، وهي منتشرة على خريطة العالم، منها أفغانستان، وإيران، والعراق، والقدس، وبيروت، وفيتنام، وكمبوشا، والفلبين، وإريتيريا، وبلاد كثيرة ساخنة حيث يتصارع الإنسان، ويحترق في النيران التي أشعلها قادة العالم المعاصرون، ويعيش تحت المطرقة، بل تحت سيف قادة الحضارة المعاصرة للدول المتقدمة علمياً وحضارياً، تدور فيها رحى الحروب، وقد أنشئت فعلاً أفران صناعية، ولكنها خامدة بالنسبة للأفران البشرية التي يطرح فيها الإنسان كالوقود.

لقد وصف الكتاب المسحورون بالغرب العهد الحاضر بعهد كرامة الإنسان وحريته وانطلاقه من عهد العبودية، والاستغلال والجهالة، والفقر الذي كان تفرض عليه طبقة خاصة متميزة، فيصبح الإنسان فيه سيد نفسه، ولكن تلك الحرية والسيادة الموعودة، ولا تزال وعداً خلاباً في الحياة المعاصرة، فلا تزال في معظم أنحاء العالم حكومات تمارس أبشع وسائل القمع والكبت، وتفرض نفسها على شعوبها ضد رغبتها، وتفرض عليها أفكارها ضد طبيعتها وذوقها، وترغمها على تأييدها ومساندتها، رغم أنفها، ولا تزال أقليات فكرية وعقدية وسياسية وعنصرية تحكم بلاداً شاسعة ذات حضارات وثقافات مختلفة بالقوة، والإرهاب،

www.abulhasanalinadwi.org

وتحرم شعوبها حقوقها المشروعة، وتفرض عليها حروباً وصراعات، لا ترضى عنها.

وقد كان في قهر الشعوب وإذلالها وسحقها للمعسكر الاشتراكي دور قيادي، وقد تولى دور الاستعمار التقليدي، وأصبح هذا المعسكر رمزاً للاستعمار الذي طالما ادعى أنه يحاربه، وأنه رائد الإنسان المضطهد، ويتزعم الاستعمار الجديد للاتحاد السوفيتي الذي تغني به الشعراء والأدباء، مدة طويلة ويبدو أن عنايته الآن تتوجه إلى أن يفرض نفوذه على العالم كله، وينشئ إمبراطورية عظيمة، فيحكم بلاداً مباشرة، ويفرض نفوذه السياسي والاقتصادي على بلاد أخرى، ويحكمها عن طريق الوسطاء والحكام الموالين له.

كان رمز الاشتراكية السنبلة والمطرقة، ولكن الاشتراكية فشلت في تحقيق هدفها المنشود من السنبلة، فلم تحقق الاكتفاء الذاتي في الغذاء حتى في حقلها، إلا أنها حققت نجاحاً كبيراً في استخدام المطرقة فحلقت في الفضاء بتقدمها التكنولوجي، وتوغلت في بلاد مجاورة وغير مجاورة، بضرب المطرقة على رؤوس شعوبها، فلا سيادة اليوم إلا للمطرقة.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الباب الثاني

إلى نظام عالمي جديد
لماذا لا يجرب العالم الإسلام ؟

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الأول

إلى نظام عالمي جديد

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

إلى نظام عالمي جديد

كان انفكاك الاتحاد السوفيتي، كدولة شيوعية موحدة تشتمل على عدد من الجمهوريات الآسيوية، والأوربية، عنصر تفاؤل واستبشار كبير للدول الأوربية الغربية، وللعالم الإسلامي معاً، إنه كان مبعث سرور للعالم الأوربي، لأن الاتحاد السوفيتي كان معسكراً مناوئاً للمعسكر الغربي، ونظاماً متوازياً في السياسة والاقتصاد والعقيدة، وقوة متكافئة لقوته، وكان ملاذاً للثائرين على سيادة الدول الأوربية الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، فكانت بعض الدول الصغيرة تتحدى سيادة الدول الكبرى على ثقة التعاون من الاتحاد السوفيتي ودعمه المادي أو وعده بنصرته، كما فعلت كوبا وفيتنام وليبيا ومصر في الماضي، وفي العهد الأخير وقف العراق ضد العالم كله في أمل تأييد الاتحاد السوفيتي، واضطر الولايات المتحدة التي كانت تستطيع أن تتغلب على العراق وحدها، إلى حشد قوى متحالفة من ٢٨ بلداً، وتعبئة الرأي العالمي واستخدام الأمم المتحدة، وإقناع روسيا والصين قبل الإجراء الذي اتخذته ضد العراق، لأن الاتحاد السوفيتي كان يساند العراق، ويدعم قوته الحربية ويقوي جهازه ويرشد زعماءه، إضافة إلى ذلك كان الاتحاد السوفيتي وراء عدة حوادث وقعت في العالم، وعاملاً كبيراً من عوامل نشوب الصراعات في العالم، وقد

www.abulhasanalinadwi.org

كان العالم قبل جورباتشوف يعيش منقسماً بين الكتلتين الشرقية والغربية، وكان خطر الحرب النووية يهدد سلامة العالم بالسباق الذي كان يجري بين المعسكرين في إنتاج الأسلحة النووية الفتاكة، فلما سقط هذا النظام تنفس العالم الغربي الصعداء، لأن عدوه الأكبر انهزم، واستسلم، فأصبح الغرب سيد العالم، لأن الدول الكبرى الثلاث أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، متحالفة فيما بينها ومصالحها مشتركة، وكان الاتحاد السوفيتي الند الوحيد لها، ينافسها، ويتخذ طريقاً معارضاً في جميع قضايا العالم، وكان له نفوذ سياسي كبير في المنطقة التي ترتبط بها مصالح الدول الغربية السياسية، وكان عدة دول في آسيا وإفريقيا خاضعة كلياً لسيطرته، فكان تفكك هذا النظام العالمي الكبير مبعث سرور وغبطة، يشوبها الشعور بالانتصار والغلبة، للعالم الغربي بصفة خاصة.

إنه كان مبعث سرور وارتياح للعالم الإسلامي، لأن تفكك الاتحاد السوفيتي كان يشكل تفكك النظام الشيوعي، وسقوط دولة الإلحاد، وبانفكاك هذا النظام خرجت الدول التي كانت تعيش تحت نير العبودية من الإسار، فسقط الطغاة المستبدون في الدول الاشتراكية، ومنها الدول العربية القومية الثورية الاشتراكية، الذين كانوا يبطشون بالمسلمين سواء كانوا في الجمهوريات الآسيوية بالاتحاد السوفيتي، أو في بلغاريا، أو يوغوسلافيا، أو أثيوبيا، أو اليمن، ويشعر الزعماء الذين لم يسقطوا بالإحباط والهزيمة وينتظرون دورهم ولهم موعد قريب، فقد اهتزت عروشهم واستكانوا.

ظهرت بسقوط هذا النظام جرائم الشيوعية في مختلف

www.abulhasanalinadwi.org

الدول التي جربت هذا النظام وانكشف فشل هـذا النظام في تحقيق الأهداف التي قامت مـن أجلـها ، فقـد تغنـى الأدبـاء والشـعراء بـالفلاح ، والعـامل ، والمطرقـة ، والمنجـل ، والسـنبلة ، والحقـل ، والإنسانية ، والحرية ، والمساواة ، وجعلوا هـذه التعبيرات رمـوزاً لأدبهم ، كما ركز عليها الزعماء والقادة ، وأحدثوا الثورة في دول كثيرة باسمها ، وثاروا على العرف والقيم ، ومناهج الحياة ، ولم يترددوا في سفك الدماء ، ولم يتحقق شيء من هـذه الأهـداف ، وعلى العكس من الحصاد الغذائي الضخم والإنتاج الصناعي الفخم والمساواة والحرية ، تعرض الإنسان في ظل هـذه النظم ، لحصاد الرؤوس وقمع الحرية والبؤس ، فقد كانت بداية الثورة البلشفية من نفوس الأبرياء ، الذين قتلوا ومعظمهم من المسلمين لتطبيق الثورة الشيوعية ، وكانت نهايتها بـأكثر من مليوني شهيد ، في أفغانستان ، بالإضافة إلى معاناة الشعوب في الدول الاشتراكية الأخرى ، ولعل قتلى حرب الخليج أيضاً ينمون إلى هـذا النظام الغاشم.

كان سقوط هذا النظام من أجل الأسباب الظاهرة مبعث سرور للعالم الإسلامي والعالم العربي في وقت واحد ، ولكن هذا السرور والابتهاج لم يدم طويلا ، فقد بـدأت تحركات جديدة لتطويق الحركة الإسلامية ، وظهرت قوى جديدة لقمع صوت الإسلام ، وكبت الحريات ، وبرزت محاولات جديدة للاستغلال ، وفرض السيطرة على الدول الضعيفة الحرة.

قبل أن تستأنف الدول التي تحررت من عبودية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ، حياتها الجديدة ، وتتمتع بحريتها ، وسيادتها ،

www.abulhasanalinadwi.org

وتباشر أعمال بناء كياناتها من جديد، ارتفع الصراخ والعويل في العالم الغربي، عن مخاوف انتشار الأسلحة النووية التي تملكها هذه الدول أو انتقال الخبرة التكنية المتواجدة فيها إلى دول إسلامية أخرى، وزال النوم عن عيون هؤلاء الزعماء بأحلامهم الرهيبة عن إمكانية تكتل إسلامي جديد، أو عودة الإمبراطورية التركية، وظل التتار يخوفونهم، كأن التتار غزوا أوربا، أو كأن القنابل التي تملكها هذه الدول بنسبة ضئيلة بالنسبة للدول الأوربية المسيحية التي تملك أكواماً منها، تدمر العالم كله، فقام الزعماء الأوربيون يطوفون بالعالم، ويخوفونه بخطر الغزو الإسلامي الجديد، وأصبحت الحضارة الأوربية في خطر، ووجود كل ديانة في العالم في خطر، فجاء أحدهم إلى الهند، وعرض على زعماء الهند خريطة الجمهوريات الإسلامية التي خرجت من الاتحاد السوفيتي وأبرز خطورة الصلات بينها وبين الدول الإسلامية الأخرى، وخوف الهندوس بأنهم محاطون بالخطر الإسلامي، ودعاهم إلى الإعداد لهذا الخطر، وقام وزير الخارجية الأمريكي بزيارات للدول الأخرى.

ومن أجل هذا الخوف وهذه الخلفية حاربت الصحافة الأوربية القوى الإسلامية، وشنت هجوماً على ما وصفته بالأصولية الإسلامية، والحركات الأصولية على حد تعبيرها، وألغيت الانتخابات في الجزائر، وعاد الحكم العسكري، وبدأ عمل ضرب الحركات الإسلامية في دول أخرى.

إنه لمن المفارقات العجيبة أن أوربا أجبرت باكستان على إجراء انتخابات عامة وحاربت الحكم العسكري الذي كان يقوده

www.abulhasanalinadwi.org

الرئيس ضياء الحق، وفي الجزائر إنها طالبت بإلغاء الانتخابات، وأعادت الحكم العسكري، إنها تحارب الاشتراكية في بلد، وتؤيد النظام الاشتراكي في بلد آخر، وتساند الحكام العسكريين الذين يحاربون الإسلاميين، إنها تدعو إلى التقدم العلمي، والتكني، ولكن إذا تحقق هذا التقدم العلمي والتكني في بلد إسلامي، فإن هذا التقدم يصبح رجعية وخطراً للإنسانية، فتدعو هذه الدولة إلى تدمير مصانعها، وإبادة ذخائرها، لتبقى عالة على الدول الأوربية.

لقد تغيرت خريطة العالم منذ الحرب العالمية الكبرى، وسقوط الاتحاد السوفيتي الذي ظهر كدولة كبرى بعد الحرب العالمية دليل كاف على هذا التغير، وتقدمت عدة دول في آسيا، وإفريقيا، ولها مكانة في الأوساط السياسية في العالم، كما انخفضت أهمية عدد من الدول الكبرى، وانحسر ظلها، وهي الآن كبرى باسمها كبريطانيا العظمى، التي الآن هي صغرى بلدان العالم في المساحة وعدد السكان، وفي الاقتصاد والقوة الدفاعية، إنها كبيرة في السن فقط في الدول الاستعمارية، ولم تعد كبيرة في القوة، وفرنسا التي فقدت وزنها، وقوتها كثيراً، وأمريكا نفسها التي لا تقدر على التغلب على نفوذ اليهود، بل لا تستطيع أن تتصرف إلا تحت حكم اليهود، ولكن هذه الدول تحتكر قوة العالم كلها، وتملك حق القبول أو الرفض لأي قرار عالمي وتفرض رغبتها على الدول الأخرى.

إن هذه الأوضاع تدعو إلى إعادة النظر في نظام العالم وفي عضوية مجلس الأمن، وتفويض حق النقض أيضاً بطريق أن يؤخذ هذا الحق من الدول التي كانت كبيرة في الماضي، وهي الآن كبيرة

www.abulhasanalinadwi.org

في الذاكرة فقط ، ويمنح هذا الحق لدولة أخرى أو مجموعة دول أخرى.

تملك الدول الأوربية ثلاثة حقوق للنقض في مجلس الأمن للأمم المتحدة، وتسعى الآن إلى أن تحتفظ روسيا بهذا الحق ، وهي الآن دولة صغيرة بسكانها ومساحتها وتعولها دول أخرى في العالم ، وتفيد الأنباء بأن دولة آسيوية أخرى مرشحة له ، وتغض الدول الكبرى بصرها عن الدول الإسلامية التي تشكل ثلث سكان العالم ، وقد كان من حق هذه الدول التي لها منظمة تدير شؤونها السياسية ، وهي تتكون من ثلث دول العالم الحرة في الأمم المتحدة أن يكون لها حق النقض في مجلس الأمن ، وأن يكون لها مندوب دائم فيه ، فإن لها وزناً ونفوذاً ، ومن حق هذه المنظمة أن تطالب بهذا الحق.

إن مشاكل العالم ترجع أصلاً إلى حشد القوة في العالم في أيدي الدول الأوربية الاستعمارية التي تعمل حسب المصالح الأوربية القومية الطبقية والمسيحية المتعصبة ، أو تخدم مصالح اليهود ، وتجتمع على محاربة الأمم الأخرى المستضعفة ، وقد سقط الاتحاد السوفيتي وسقط النظام الشيوعي الغاشم الذي استعمر العالم واستصغر الشعوب ، فلابد أن تسقط النظم الاستبدادية الأخرى التي تستعبد الشعوب ، وتفرض سيادتها عليها وتظهر قوة جديدة.

www.abulhasanalinadwi.org

إلى استراتيجية جديدة

كان سقوط النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي الاشتراكي، والدول الأوربية الشرقية، مبعث سرور وابتهاج لأنه كا يعادي الدين، والقيم الخلقية، قبل أن يعادي عدوه الرئيسي الرأسمالية، فاعتبر رجال الدين سقوط هذا النظام حادثاً تاريخياً، وأبدوا ارتياحهم به، واعتبروا هذا الحادث مؤشراً إلى عودة الدين إلى هذه البلدان التي عاشت أكثر من سبعين سنة في حرمان من الفرص، لتأدية الشعائر الدينية بحرية، وواجهت عداء سافراً وحملة مكثفة ضد الدين، وبدأ النشاط الديني بعد إعلان الرئيس السابق جورباتشوف بمنح الحريات الدينية، وتدفقت الكتب الدينية، وفتحت المعابد، والمدارس، والكتاتيب الدينية، وأقبل العلماء والرهبان، والدعاة، من مختلف الأديان السماوية، على تجديد معابدهم، ومراكزهم وإحياء معالمهم، وكان في مقدمة هذه الأديان النصرانية التي انتهزت هذه الفرصة بدعم حكومات أوربا الغربية.

أعدت النصرانية الخطة لمواجهة هذا الوضع قبل سقوط النظام الاشتراكي، وحصلت على بعض الترخيصات، والتسهيلات للعمل في مختلف المناطق في ستار المساعدة التي كانت تقدمها الدول الأوربية، في آخر عهد الرئيس السابق

www.abulhasanalinadwi.org

جورباتشوف، فلما أطلقت الحريات الدينية، فتحت الكنائس أولاً، واستأنفت الجمعيات التبشيرية نشاطها، وحصلت على مساعدات ضخمة من الدول الأوربية، ولم يتمتع المسلمون بهذه الحرية إلا بعد مضي وقت طويل، وكانت محدودة، فبينما كان المبشرون يواصلون أعمالهم بوسائل متوفرة لديهم، كان المسلمون في ضيق شديد، فلما أرادوا إعادة المساجد في مناطقهم لم يكن لديهم وسائل البناء، فكان الناس يحملون من بيوتهم أدوات البناء، وقدموا في ذلك تضحيات جسيمة، وتطوعوا لهذا العمل، ولم تكن لديهم وسائل لشراء الكتب الدينية، حتى المصحف كان لا يوجد بكمية كافية، وقد كانت هدية خادم الحرمين الشريفين في ذلك العهد، مساعدة قيمة، قد ملأت فراغاً كبيراً، وتقبلها مسلمو الاتحاد السوفيتي قبولاً حسناً وشكروه عليها.

كان التعليم الديني في الاتحاد السوفيتي في عهد الظلام يجري في خفايا البيوت، أو في الكهوف، وفي أماكن معروفة لدى القليل من الناس من الثقات في الغابات، تحت الأشجار الكثيفة، بحيث لا يرى أحد من العيون والرقباء، وكانت الكتب الدينية محرمة، فكان الزوار إلى البلدان الإسلامية يهربونها فكانت معدودة، فلما منحت الحريات الدينية، وأقبل الناس على دراسة الدين، كانوا في حاجة إلى الكتب الدينية، لتعليم أطفالهم، ولتعرفهم أنفسهم على الدين، ولا يمكن أن تتوفر هذه الكتب في داخل البلاد، لأن تسهيلات طبع هذه الكتب ليست ميسرة، ويكلف استيرادها من الخارج نفقات باهظة لا يتحملها الشعب الذي لا يجد ما يكفي لشراء الخبز، وقد تبرعت بعض الجمعيات

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامية بإمدادها بالكتب والمعونات المالية، ولكنها كانت محدودة، ومتشتة لا تشكل إلا جزءاً يسيراً مما تقدمه الكنيسة العالمية بدعم المال الأوربية الغربية الكبرى.

إن الفارق بين عمل المنصرين، وعمل الدعاة المسلمين في العالم، هو أن المبشرين لا يكتفون بعرض المسيحية، بإلقاء الخطب وشرح الدين، بل يستخدمون وسائل اجتماعية، وإنهم يتابعون المدعووين متابعة الطبيب للمريض، والمعلم للتلميذ، ويتظاهر المدعو كأنه أب شفوق، فيهتم بمشاكل المدعو، فإذا كان فقيراً يساعده بالمال، وإذا كان مريضاً يساعده بالدواء، وإذا كان جاهلاً يوفر له تسهيلات التعليم، ويرفع مستوى معيشته، ويزور الرهبان أوساط الفقراء والمصابين، ويتكلمون معهم بلغتهم، ويقربونهم إليهم، ويلاطفون أولادهم، ويخلطون تعاليم دينهم بالتعاليم الإسلامية.

وقد ذكر أحد الدعاة المسلمين من إفريقيا أن المبشرين أقاموا في بعض المناطق الإسلامية كنيسة في شكل مسجد، أو مبنى بجوار مسجد فيه تسهيلات للوضوء والطهارة، والمسجد لا توجد فيه هذه التسهيلات، فيدعون المصلين إلى أن يزوروا ذلك المبنى ويستريحوا فيه، وإذا أرادوا يتوضأوا أو يغتسلوا ليتقربوا إليهم، ثم يعرضون عليهم تعاليم دينهم التي لا تتعارض مع الإسلام ويتعاطفون عليهم فيأنس إليهم المصلون، وتنشأ بينهم صلات، وبهذا الطريق تتاح لهم فرصة لدعوتهم، في مناسبات مختلفة، وفي هذه المناسبات يصادف المسلم ثقافة عالية، ومستوى رفيعاً ويدرك أنه إذا انضم إلى دين صاحب هذه الثقافة تغير وضعه، وارتفعت

www.abulhasanalinadwi.org

مكانته، وفتحت أمامه مجالات للتقدم والرقي، وقليل من الناس من يفرق بين الحق وغير الحق، وبين الدين والدنيا، ويتغلب على مطامع نفسه.

أما الداعي المسلم فهو يلقي كلمته في المسجد في مناسبة خاصة إذا دعي إليه، ثم لا تكون له أي صلة بالمدعو، وبمسائل حياته، ولا يهمه أن يتغير حاله، ثم إن المبشرين خلال اتصالهم بالمسلمين يبذرون بذور الشك والريبة، ويثيرون الشكوك والشبهات في بعض تعاليم الإسلام، والشخصيات الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، والمسلم الذي عاش في ظلام لا يعرف شيئاً من دينه، إلا أنه ولد في أسرة مسلمة، ولا يجد من يعرفه بدينه، فتبقى في ذهنه هذه الشكوك، فإذا وجد داعياً عابراً، لا يجد فرصة لإزالة شكوكه، وقد يكون الداعي غير مؤهل لبحث هذه القضايا ولم يفكر بعد فيها فلا يستطيع إرضاء السائل وإقناعه، فتزداد هذه الشكوك، لأن الذين يثيرون هذه الشكوك لهم اتصال به والذي يزيل هذه الشكوك عابر، لا تتاح فرصة الاتصال به إلا في مناسبات خاصة.

هذا الوضع للعمل الديني يشاهد في كل بلد توجد فيه الجمعيات التبشيرية، في إفريقيا وآسيا، وكذلك يحدث ذلك في بلدان الاتحاد السوفيتي التي خرجت من الحكم الشيوعي أخيراً، فإن الدعوة الإسلامية فيها محدودة، واتصال رجالها بأفراد الطبقات المختلفة اتصال مؤقت، أو محدود، ولا تقوم الدعوة الإسلامية على دراسة للأوضاع ومعرفة حاجات الأفراد والمجتمعات التي يجري عملها فيها، فتتسع دائرة التبشير في المناطق الإسلامية، لأن التبشير دعوة يرافقها مجهود شامل لحل القضايا

www.abulhasanalinadwi.org

والمشاكل للمدعو، وفيها متابعة للمدعو متابعة كاملة بل إنها تورطه في شبكتها كلياً، إذا اتصل بها، ومنهج المسلمين في الدعوة لا يعدو دعوة كلامية أو خطابية، وهو مجهود فردي، وكثير من الدعاة لم يتربوا على عمل الدعوة، وهم غير مزودين بوسائل الدعوة.

لقد اختار المبشرون بعض المناطق في البلدان الاشتراكية التي يشكل المسلمون فيها أغلبية وهي في حالة سيئة للغاية من الناحية الاقتصادية وزاد من معاناتهم الغلاء الفاحش كألبانيا مثلاً حيث كان الإلحاد المذهب الرسمي للدولة، والمناطق التي توجد فيها صراعات قبلية، ونزاعات داخلية، أو هي منقطعة عن المدن فلا توجد فيها تسهيلات للتعليم والتربية، ولا تتوفر فيها فرص العمل فتنشط فيها الجمعيات التبشيرية مستغلة للأوضاع الرديئة.

يعتقد بعض المتحمسين للدعوة الإسلامية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أن الحرية الدينية تضمن العودة إلى الإسلام لأن السكان مسلمون، وقد أثارت أوربا ضجة كبرى، وقامت بدعاية أن تحرر هذه الدول من الاشتراكية يشكل العودة إلى الأصولية الإسلامية، وإنها ستتحالف فيما بينها وتظهر كتلة إسلامية مدعمة بالقنبلة الذرية التي تهدد العالم كله، وانبعثت قوى أعداء الإسلام لتواجه هذا الوضع الخطير حتى الأقلام في بعض الصحف العربية بدأت تبدي مخاوفها وتنذر بخطورة التكتل لهذه الدول، ومن جهة أخرى ارتاح المسلمون بأنها قوة إسلامية متصاعدة، واقتنع المتحمسون للإسلام بهذه الدعاية المنبعثة من الدول الأوربية، ولم يخطر ببالهم أن حرية الدعوة متاحة للجميع، إنها كالسوق المفتوحة

www.abulhasanalinadwi.org

يأتي رجال التجارة بأموالهم، وفات هؤلاء المتحمسين أن سكان هذه البلدان كانوا منقطعي الصلة بالإسلام إلا تلك الأسر والأفراد الذين كانت معرفتهم بالإسلام قائمة بصورة سرية، وإن الحكومات القائمة في هذه البلدان هي علمانية، ويتولاها رجال نشأوا في حضن الاشتراكية، والإلحاد، فإذا كان الحكام في البلدان الإسلامية غير مثقفين بالثقافة الإسلامية، وليسوا متحمسين للدعوة الإسلامية، بل كثير منهم يحاربون الدعوة الإسلامية فكيف يمكن أن نتوقع ذلك من حكام هذه الدول الذين نشأوا في حضن الإلحاد وعداء الإسلام، ومصالحهم معقودة بالدول التي تعادي الإسلام وهي في حاجة إلى مساعدتهم المالية والاقتصادية والدفاعية.

لقد وقع الدعاة في الماضي في أوهام كثيرة، فقد وقعوا في وهم كون القرن الخامس عشر، قرن الصحوة الإسلامية، فكان القرن الخامس عشر قرن معاناة المسلمين بصفة خاصة لأنهم اكتفوا بالكلام، وكان أعداء الإسلام يخططون لتدمير العالم الإسلامي، وسيصبح انفكاك الاتحاد السوفيتي والحرية الدينية، وهما آخر وسبباً آخر لمعاناة أخرى إذا لم يتأهب العالم الإسلامي لمواجهة الوضع الجديد في آسيا الوسطى، ولم يضع خطة مدبرة لإعادة الإسلام حقيقة إلى هذه المنطقة المضطربة.

إن الوضع يتطلب دراسة وافية للأوضاع، ووضع حلول للمشاكل التي يعاني منها المسلمون في المنطقة، وفتح مكاتب للدعوة، ومؤسسات اقتصادية إسلامية للتمويل، والتعليم، والتثقيف محلياً، وفي الدول الإسلامية الأخرى، وفتح دور

www.abulhasanalinadwi.org

للقضاء لحل المشاكل وإجراء اتصالات مباشرة بالسكان لدراسة أوضاعهم ، وبذل الجهود المركزة لتأليف قلوبهم وجمع شتاتهم وتغيير أحوالهم ليدركوا أن العودة إلى الإسلام غيرت حياتهم ، وأن الإسلام يحمل سعادة حقيقية لهم ، وأنه حقاً منهج للحياة ، وليس مجرد فلسفة ، فقد جربوا فلسفة الاشتراكية ولم تسعد حياتهم ، وعاشوا أكثر من نصف قرن في تصور معجزة المطرقة والمنجل ، ونغمات السنابل والبساتين الخضراء ، ولا يزالون في حاجة إلى قطعة خبز ، إنهم الآن في حاجة إلى عقيدة ومنهج حياة ، وإلى الخبز والتعليم في وقت واحد.

إن الفلسفات لا تعيش طويلاً ، إذا لم تحقق أهدافها ، ولا ينتظر الإنسان السعادة طويلاً ، فإنه كما وصف القرآن الكريم : ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾[1]

لقد سقطت الاشتراكية لأنها فشلت في إسعاد شعبها ، فليكن ذلك درساً لكل صاحب فلسفة ومذهب ، وقد أتيحت للدعاة إلى الإسلام فرصة جديدة ، للتجربة في هذه الأرض التي تعست كثيراً ، في حرب الإلحاد والكفر ، وعاشت في جحيم الاشتراكية ، وخسرت كثيراً ، وهي في انتظار فلسفة جديدة ومنهج جديد لحل مشاكلها ، حقيقة ، وإذا تأخر المسلمون في انتهاز هذه الفرصة فإن هناك خطراً يهدد هذه الشعوب البائسة ، سواء قامت حكومات استبدادية جديدة تصرف الأمور حسب رغبة قادة الدول الأوربية ، أو شملتها موجة جديدة تصرفها عن الإسلام ، أو وقعت هذه الشعوب في مأساة أخرى.

---

[1] سورة الإسراء : الآية : ١١

www.abulhasanalinadwi.org

لا بد من تغيير الموقف الأوربي
إلى الإسلام والمسلمين

تقوم وسائل الإعلام الغربية بحملة إعلامية مكثفة ضد ما تسميه بالأصولية الإسلامية، ويساند هذه الحملة الدعائية زعماء وأعضاء البرلمان، وكتاب ومفكرون، بكتابات، ولقاءات، وعقد ندوات، وإعداد تقارير موجهة تذيعها أجهزة الإعلام السمعية والمرئية، للتأثير على الذهن العام بأن التطرف الإسلامي الذي تحدثه الأصولية الإسلامية يطرق الباب، ويهدد السلامة، ويقوم هؤلاء المذعورون بالإسلام بتحريض العالم كله على التصدى والصمود في وجه هذا الخطر الجسيم الذي يحدق بالحضارة والحرية والعلم والعقائد والمذاهب الأخرى.

تصعد هذا النشاط بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وانسحاب الشيوعية من مواجهة الدول الأوربية المسيحية الرأسمالية.

والواقع أن هذه الحملة تقوم على أساس الذعر من الإسلام الذي يراود الدول الأوربية، وقد كان هذا الذعر يساور الذهن الأوربي منذ قرون حتى خلال سيادة أوربا على العالم، واستعماره لدول المسلمين، واتخاذ جميع وسائل القمع والكبت وطمس معالم التاريخ الإسلامي، ومحاولته لقطع المسلمين بتاريخه، ولكن تجدد هذا الذعر بسقوط النظام الشيوعي، وانفكاك

www.abulhasanalinadwi.org

الاتحاد السوفيتي، وبروز الجمهوريات الإسلامية، واستئناف دورها السياسي وظهورها كقوة جديدة، ومنذ ذلك الحادث تصعدت هذه الحملة ضد الإسلام والمسلمين، ولهذا الذعر المتجدد أسباب عديدة.

كان الفكر الأوربي السائد قبل هذا الحادث التاريخي أن القوة العسكرية والتقدم التكنولوجي، هو الضمان للبقاء في الحكم، والسيادة على العالم، وأن الصناعة هي القوة التي يتحقق بها التفوق والغلبة، وأن الوسائل الحديثة العلمية للزراعة والبناء، هي التي تكتسب السيادة والرفاهية، وأن وسائل القهر والكبت وقمع الحرية وتكميم الأفواه، وغسل الدماغ تغير الأذهان والنفوس، وتولد إنساناً جديداً، ويتغير بها اعتقاد الناس وإيمانهم.

حسبت أوربا أن الإيمان واليقين، والعقيدة الذهنية هي كاللباس الذي يغيره الإنسان، أو كالإنتاج الصناعي أو المحصول الزراعي، الذي يعتمد على الصانع والمزارع، فالمزارع يغير زراعته، والصانع يغير صناعته، وسواء عليه صنع بندقية أم صنع محراثاً، كذلك سواء على المزارع زرع قمحاً أم زرع أرزاً.

لقد وقع الأوربيون في مغالطة عندما حسبوا الإنسان حيواناً يمكن تربيته أي تربية، ثم حسبوه كالمنتجات الصناعية والزراعية، وخططوا له كما يخطط للصناعة، أو الزراعة، أو كما تربى الحيوانات في حديقة الحيوانات.

وفات هؤلاء المخططين الذين يدعون أنهم درسوا الإنسان دراسة عميقة أن هناك قوة غيبية تلهم الإنسان، وتخرج من ذهنه أفكاراً، وتغرس في ذهنه أفكاراً، وتحدث فيه ميولاً وانجذاباً،

www.abulhasanalinadwi.org

وتصرفاً، إنهم درسوا الإنسان حقاً ولم يدرسوا ما هو خارج الإنسان، وخارج الطبيعة من قوى عاملة، وقد قال أحد الحكماء: "عرفت ربي بفسخ العزائم" ويتحدى القرآن الكريم هؤلاء الأدعياء بقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[١] ويقول في موضع آخر: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢]

إن خروج المسلم من حالة القمع والكبت المفروضة عليه في الاتحاد السوفيتي وفي دول الاستعمار الأوربي، التي بذلت كل ما بوسعها من كيد ودجل ومكر، وتضليل ليفصل المسلم عن تاريخه الإسلامي وحتى بعد أكثر من سبعين سنة، وانطلاقه إلى الإسلام، كان هذا الفراق كان حادث يوم أو يومين، كان مبعث ذعر لأوربا، فكان هذا الخروج من الحالة المفروضة، حالة الإلحاد، والكفر، حادثاً أكبر من سقوط إمبراطورية، وكان هذا الحادث درساً للكائدين من أعداء الإسلام وعبرة لهم، ومن الغباء الشديد أن يفكر أحد مرة أخرى في قمع المسلمين، وقطع صلتهم بالإسلام، لأن هذه السياسة في الواقع تأتي بنتائج سلبية، وقد حدث ذلك فعلاً فإن المسلمين في جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية اليوم أكثر حماسة للإسلام وأكثر حرصاً على العمل بالإسلام من المسلمين الذين عاشوا في الدول الإسلامية التقليدية بحرية.

كان من الحكمة للدول الأوربية التي تدعي باعتراف

---

[١] سورة آل عمران الآية: ٥٤

[٢] سورة الصف :٨

www.abulhasanalinadwi.org

الواقع، ودراسة الأحداث دراسة واقعية، أن تغير من سياستها إزاء الإسلام والمسلمين، فكما غيرت الجمعيات التبشيرية سياستها وبدأت تجري الحوار مع المسلمين وتسعى إلى التقارب معهم والتفهم معهم، كان يجب على الدول الأوربية أن تعترف بقوة الإسلام والمسلمين، وتهادنهم، وتتعايش معهم وتتعلم من حادث الاتحاد السوفيتي، ولكن الحقد الدفين والعداء الكاشح يغشى على العقول، والحقد مرض نفسي لا يزول إلا بموت الحاقد، ويتجرع الحاقد مرارة حقده طول حياته.

كان سقوط الاتحاد السوفيتي وخروج الدول الإسلامية الحديثة على خريطة العالم حادثاً اضطربت له أوربا كلها، وكان من الحكمة أن تخفي أوربا هذا الاضطراب القلبي، فقد عرفت أوربا بطبيعة الهدوء، والأناة، والصبر والاحتمال، لكنها أعلنت اضطرابها وقلقها النفسي لأن الألم كان شديداً، فصاحت واويلاه! ووجهت النداء إلى جميع القوى العالمية أن تهب لمواجهة هذا الخطر العالمي الذي يهدد الحضارة الأوربية والديانات العالمية.

كانت في هذا الحادث دروس كثيرة فاتت عقول حكماء العالم بسبب الحقد الدفين، كان الدرس الأول فيها، أن الدين هو الشعور القلبي الذي لا يقهر ولا يسخر، مهما سخرت له القوة وسخرت له الوسائل، ومن الحكمة أن لا يفكر أحد في قهر الشعور الديني، وكان من الدروس أن القوة الحربية مهما بلغت من صلاحية الهجوم والضرب ومهما حشدت وسائلها لا تحمى دولة من الزوال والانفكاك إذا لم تكن تتمتع بالتأييد الشعبي، وقد كانت بعض النفوس المريضة والعقول تدعي أن القوة الحربية هي

www.abulhasanalinadwi.org

الضمان الأكبر، والوقاية المضمونة لسلامة أي بلد، وإنها تستطيع أن تكسر أي قوة شعبية فكان من الدروس أن العقيدة لا تفرض بالقوة، وأن العقول لا تسخر، ولا تغير بقوة السلاح، أو بوسائل القمع، وكان من الدروس أن التدابير البشرية وحدها لا تسعد الشعوب، وإن الإنسان مهما تكبر عاجز، فقد كانت القوة الاشتراكية باسم الغذاء وكان شعارها المنجل، وادعى بعض الزعماء للاشتراكية أنهم غلبوا على الطبيعة، ففشلت الشيوعية في مجال اختصاصها، لأن هناك قوة خارجية بيدها كل شيء، وصدق الله العظيم: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ، أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ، إِنَّا لَمُغْرَمُونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[1]، لقد كان بعض القادة يقولون إن الشيء الذي يحتاج إليه العالم الإسلامي هو التفوق في التكنولوجيا، لكن سقوط الاتحاد السوفيتي كذب هذا التصور، فقد كان الاتحاد السوفيتي ثاني بلدان العالم الراقية في التكنولوجيا، ولكن علماء الاتحاد السوفيتي، وهم ألوف مؤلفة في حاجة إلى ما يسد رمقهم، وهم حيارى يبحثون عن عيشهم، فكان ذلك درسا من دروس هذا الحادث العظيم.

هذه بعض الدروس التي يجب أن تكون موضع الاعتبار لدى أعداء الإسلام، وأعداء الدين، وتستحق أن تبعث هذه الدروس على تغيير الفكر العالمي، وإيجاد عهد جديد، وإلا فإن ما

---

[1] سورة الواقعة: الآيات: ٦٣-٧٠

www.abulhasanalinadwi.org

حدث في الاتحاد السوفيتي سيحدث في أوربا أيضاً، وستسقط قوة متكبرة أخرى، ويبحث الناس عن أسباب سقوطها، ففي مزبلة التاريخ أمم تكبرت ثم انكسرت.

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام هو البديل [1]

يشهد العالم الإسلامي في مختلف أرجائه نشوء أنشطة، وتأليف مجالس وهيئات سواء للمشاورات، أو للشروع في عمل، أو لتنسيق مجهودات مختلفة، وتلك ظاهرة جديدة تلاحظ منذ بضع سنين، وغطت هذه الأنشطة مجالات متنوعة كالصحافة والإعلام والاقتصاد والتعليم والدفاع، والصناعة :

كانت الخمسينات والستينات من القرن العشرين فترة للدعوة إلى تنسيق الجهود الإسلامية المترامية واستثمار الطاقات الإسلامية المبعثرة في العالم واستقطابها لخدمة مصلحة الأمة الإسلامية، وقد أثمرت هذه الجهود رغم ما وضع في سبيلها من حواجز وعقبات، لأن الجهود التي تبذل بإخلاص، وتقترن بها تضحيات تثمر وإن طال الزمان، لقد كانت الدعوة إلى الاجتماع لبحث قضايا إسلامية، وتوحيد صفوف المسلمين، وحل مشاكلهم دعوة غريبة يتهم كل من يقوم بها بأنه يدعو إلى التخلف والرجعية إلى الوراء، ويشك الناس في ولائه للوطن والبناء القومي، ويصفونه بأنه عدو للحضارة والمدنية والعلم، لأن تلك الفترة كان يتحكم فيها رجال كان إيمانهم بالقومية أقوى من إيمانهم بالأمة الإسلامية وكان إيمانهم بالنظم الاقتصادية والسياسية التي

[1] نشر في الرائد السنة: ٢٣ العدد: ١٥، أول فبرائر ١٩٨٤م

www.abulhasanalinadwi.org

غزت العالم في أوائل القرن العشرين، أحكم من إيمانهم بالنظام الإسلامي، وكان اعتمادهم وثقتهم بالدول الكبرى أكثر إخلاصا وقوة، من ثقتهم في الإسلام والمسلمين، وقد كانت عقول هؤلاء القادة الذين احتلوا مناصب القيادة السياسية والفكرية تعاني من التبعية الفكرية الناتجة عن الخضوع للاستعمار، فكانوا يحاربون المستعمر سياسياً، ويسلطونه عليهم فكرياً وثقافياً واقتصادياً، فخرج المستعمر من باب، ودخل من باب آخر، خرج كحاكم ودخل كمعلم، ومثقف ومدرب، وموجه للإعلام، ومنسق لسياسة التعليم.

عاش الإسلام كالشبح المخوف للدول الغربية، وقد ضخم هذا الذعر أقلام الكتاب الغربيين الذين صوروا الإسلام تصويراً بشعاً، ونسبوا إليه كل ما ينسب إلى الهمجيين والوحشيين من جهل، واستبداد، وضيق فكر، وتزمت، وتشنج عقلي، وقد أثبتت التجارب أن الأوربيين قوم سذج يثقون بكل ما ينقل إليهم من أراء وأفكار شاردة ويقدسون علماءهم لتأثير النصرانية، واستغل علماؤهم هذه السذاجة لقومهم، فكانت أوربا نتيجة لهذه الدعاية ضد الإسلام والمسلمين في نفسية الذعر، يساورها الخوف أن ينبعث ذلك المارد الذي طاردها قروناً طويلة، ودك العرش الرومي التاريخي، فكانت الدعوة إلى الإسلام من جديد بالنسبة لأوربا والمؤمنين بعظمتها الأسطورية دعوة تنذر بعاقبة وخيمة لها كأنها دعوة إلى الرجوع إلى عهد غزو أوربا، عهد محمد الفاتح وصلاح الدين فكان جل اهتمام مفكريها وقادتها وكتابها أن لا تذكر هذه الكلمة المقلقة، ولا ينبعث ذلك العملاق الذي غير

www.abulhasanalinadwi.org

مجرى التاريخ، كلما هب وانتعش.

وقد أراد الله غير ذلك، فلم توفق جهود المستعمرين في قطع الصلة عن الماضي، وقطع الصلة عن اللغة العربية، وقطع الصلة عن العلوم الإسلامية، ومعاقلها التي أنجبت أفذاذ من الدعاة والمجاهدين في سبيل الله الذين حملوا راية الحق طيلة هذه المدة، وحاربوا الاستعمار بعدته وعتاده، وبعلومه وفلسفاته بثقة لا تتزحزح في سداد الإسلام وصلاحيته للبقاء، والتغلب على سائر النظم وبإيمانهم أن السحب مهما تراكمت ستنقشع، وأن النظم التي تقوم اليوم والدعوات التي تحارب الإسلام اليوم ليست إلا كسحب الصيف ستنقشع، وقد انقشعت في الماضي السحب التي كانت أكثر كثافة من هذه السحب ودامت أكثر مما دامت هذه النظم، فتغلب الإسلام، فلا يوجد لهذه الدعوات والنظم والفلسفات مكان إلا في بطون الكتب المطمورة، أو في المتاحف التاريخية، وخرجت حقيقة الإسلام ناصعة بينة من السحب المتراكمة، كان إيمان هؤلاء الدعاة المخلصين مصدر صمودهم في وسط الزحف الأحمر، والزحف الحضاري لأوربا، الذي حاول أن يغزو العالم باسم العلم، والتبشير، وحقوق الإنسان، والحضارة، فانكشف للعالم أن هذه الدعوات ليست إلا ستاراً للاستعمار، وغزو العالم.

إن العالم الإسلامي بدأ يتنفس وصوت الإسلام بدأ يرتفع ليس من مآذن المساجد، في الشرق، بل إنه يرتفع اليوم من المآذن في أوربا، معقل الغزاة المستعمرين إنه يرتفع في الأمم المتحدة، ووكالاتها ويعلو هذا الصوت، ويزداد العالم اليوم أنساً وائتلافاً

www.abulhasanalinadwi.org

بهذا الصوت.

كان العالم بتأثير الغرب قد قبل بعض النظريات كحقائق، وآمن أن ما يأتي من الغرب، هو صوت الحق والعدالة، والتقدم، وأنه في مصلحة الإنسانية، ولكن الحقائق بدأت الآن تنكشف، وبدأ العالم يشعر أن الشمس لا تشرق من الغرب.

لقد رفعت حجب كثيرة عن الإسلام، ورفعت شبهات كثيرة كان قد بثّها المشككون، فقد أقيمت مراكز إسلامية لعرض الإسلام في كثير من أجزاء أوربا، وأنشئت هيئات إعلامية ومؤسسات اقتصادية، ومراكز العلم والتربية الإسلامية، وتغطي هذه المؤسسات معظم مجالات النشاط، وهي إذا سارت بحسن نية، ووحدة، وانسجام يتكاتف بعضها مع بعض، بدون عصبية وتحيز، بالانتماء الكامل إلى الإسلام، والأمة الإسلامية، وخاصة إذا كانت تعاليم الإسلام سارية في الحياة الفردية، والاجتماعية وسويت المشاكل بها طوعياً فإنها ستثبت في وقت قصير أن الإسلام هو البديل، وأن الإسلام صالح للبقاء، وأنه هو الدين الخالد.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الثاني

لماذا لا يجرب العالم الإسلام ؟

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام والمذاهب الوضعية [1]

بين الإسلام والعقائد الأخرى فوارق واسعة، فالإسلام دين كامل اكتمل ونضج في العهد الأول، وأسسه ثابتة قائمة لم تتغير، أما العقائد الأخرى غير الإسلام فهي متطورة أصولها، وليست فيها مصادر موثوق بها، بل وجدت في عهود نشأتها، وعمرها الطويل نصوص مختلفة، متضاربة، ودخلت فيها تأويلات شخصية وشروح متعارضة وتصورات متعددة، كانت نتاج تفكير بعض الشخصيات التي نالت القدسية المطلقة، فأدخلت مفاهيم جديدة، وحذفت مفاهيم قديمة، وظلت هذه العقائد تتطور، وتتغير بتغير رجالها في عصور مختلفة، وتتلون بتلون أذهانهم، وتتجه اتجاهات مختلفة لاختلاف اتجاه رجالها، ويجد المتصفح لكتب الفلسفات الأساسية تناقضات، فيها إثبات و نفي، وإقرار بشيء من جهة و تفنيده من جهة أخرى، فكانت النتيجة الطبيعية لهذا التعدد تعددية التعاليم والمناهج وازدواجيتها.

وقد مرت بهذه التحولات والتعديلات بعض الأديان السماوية، كالنصرانية التي تنقسم إلى فرق متعارضة، وطوائف، وجميع هذه الفرق لها مراجع مختلفة، وشخصيات دينية تسيطر على الدين سيطرة شخصية، ويحلون ويحرمون، ويختارون موازين

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٧، العدد: ٢١، أول مايو ١٩٩٦م

www.abulhasanalinadwi.org

مختلفة، ولا يؤاخذون على ما يصدر منهم من أعمال، ولا ما ينطلق من ألسنتهم من أقوال، ولا ما يدعون إليه، ولا ما ينهون عنه، أقوالهم وأعمالهم هي الشريعة لمتبعيهم، فلم تعد هذه الأديان تقف في وجه المعاصي، ولا المآسي للإنسانية، ولا الانحلال الخلقي، ولا الشذوذ، بل تنساق مع كل اتجاه يسير إليه اتباعها بتأثير الحضارة أو الحياة المعاصرة المادية وتقبلها.

أما الوثنية فهي معروفة بتنوعها، وألوانها المختلفة، وكل عقيدة وثنية تختلف عن العقيدة الأخرى في منطقة محدودة، وفي زمنية محدودة، تختلف آلهتها وتعاليم آلهتها، وتختلف أصول التأليه أيضاً، فكل ما يخالف الطبيعة العادية يحمل طابع الألوهية في بعض العقائد الوثنية، والإنسان عبد لكل ما ليس بإنسان، كالأشجار، والأنهار، و الحيوانات، والجمادات، حتى الطيور، والحشرات، وتدعو طبيعة الوثنية إلى الخضوع لكل ما يخالف الطبيعة الإنسانية، أو هو خارق للعادة، حتى المولود الذي يولد على غير الفطرة.

وبلغ هذا الاختلاف حداً بدأت فيه بعض الطبقات الوثنية تعبد الجمال، وأخرى تعبد القبح، وبعضها تعبد القوة، وأخرى تعبد الضعف، ومن يزور المتاحف الأثرية في بلاد اليونان، والروم، والهند، ومواطن الحضارات البائدة، ومنها الكهوف داخل الجبال، وفي بلدان إفريقيا، وعند القبائل المنعزلة اليوم يصادف هذا التنوع، والاختلاف، ولا يجد وحدة بينها إلا الخضوع لشيء غير عادي.

ومن الفوارق بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى

www.abulhasanalinadwi.org

فقدان القيم الخلقية لكون تلك الأديان تابعة لتفكير واتجاه رجالها ، وحريتهم في وضع تعاليم أو شرح التعاليم المتوازنة ، شرحاً يلائم ذوقهم ، وطبيعة عصرهم ، أو بيئتهم

والإسلام له قيم ثابتة ، تابعة لعقيدة ثابتة مقررة ، وموضحة ، لا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة ، ولا علم ، ولا مكانة في النفوس أن يغيرها ، أو يشرحها شرحاً لا يتلاءم مع روح الدين ، وحياة رجال القرن الأول الذين يؤخذ منهم هذا الدين.

ومن أراد أن يبقى مسلماً ويبقى في جالية المسلمين كان عليه أن يتبع تلك التعاليم أويقر على الأقل بتلك التصورات سواء في العقيدة ، أو العبادة ، أو الأخلاق ، وعندئذ يكون مسلماً ، فإن رفضها كان خارجاً عن الدين ، فليس الإسلام ديناً قومياً ، ولا وطنياً ، ولا سلالياً ، ولا عنصرياً ، فيبقى كل من يولد في أسرة مسلمة ، أو بيئة إسلامية مسلماً ، مهما كانت عقيدته ، ونهج حياته ، وقد وضع السلف حدوداً ثابتة للإسلام ، إذا خرقها مسلم لم يبق مسلماً.

إن هذه الطبيعة للإسلام تخفى على كثير من الباحثين ، والكتاب في هذا العصر ، الذي يدعى فيه إنه عصر العلم ، وعصر حرية الرأى والتعبير ، وتصدر حيناً بعد حين كتابات من بعض الكتاب الذين يحملون اسماً إسلامياً لانحدارهم من الأصول الإسلامية تتنافى مع أصول العقيدة الإسلامية ، فمنهم من ينكر مكانة الحديث والسنة ، ومن ينكر كون القرآن الكريم كلاماً إلهياً ، وكلاماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن الله تعالى هو القادر المطلق ، وبيده الأمر كله ، يحيي ويميت ، وأنه علام

www.abulhasanalinadwi.org

الغيوب ، وأن الإسلام هو الدين ، وهو الحق المبين ، ولا جمع بين الحق والباطل ، ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ، ومن آمن أن القرآن كتاب إلهي منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أن يؤمن بما ورد في القرآن الكريم من آداب ، وأصول للحياة ، وتعليمات وأحكام وما ثبت في السنة لأن السنة شرح وتوضيح وأسوة عملية للقرآن الكريم.

ومما يستغرب أن أصواتاً ترتفع بين حين وحين لإعادة النظر في التعاليم الإسلامية ، والمصادر الإسلامية من الجهات التي لا تملك معرفة بالإسلام وتعاليمه ، والواقع أن هذا العصر هو عصر الاختصاص الذي لا يقبل منه إلا آراء الخبراء ، والمختصين في العلوم ، والفنون ، والآداب ، وذلك هو المنطق المعاصر لكن هؤلاء المتنورين لا يلتزمون بهذه الأصول ولا يشترطون معرفة لغة مراجع ذلك الدين ، فيصدرون أحكامهم رجماً بالغيب ، ولا يختلف أمرهم في ذلك عن المهندس الذي يصدر آراءه حول الزراعة ، أو المزارع الذي يصدر آراءه حول الهندسة ، أو المريض الذي يصدر آراءه حول مرضه وينتقد الطبيب ، ويرفض شرحه لمرضه ، ومعالجته ، ولا يرجع هذا الاتجاه إلا إلى طبيعة الأديان الأخرى التي كانت أدياناً سماوية ، ثم صارت عقائد إنسانية وضعية ، وصلاحيتها للتحريف والتغيير ، وعدم استناد تلك الأديان إلى الأصول العلمية والقيم العقلية ، بل منافاتها للطبيعة العلمية والعقلية ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله"

www.abulhasanalinadwi.org

إن الإسلام دين له موازين وقيم وأطر معينة من قبلها ودخل فيها كان مسلماً، ومن لم يقبلها وخرج منها كان خارجاً عن الإسلام، ولا يجبر المسلمون أحداً على الإسلام، ولكن الذي يقبله ثم يخالفه، كان من حق المسلمين أن يصدروا عليه حكم الخروج من الإسلام والارتداد، وأن يعتبروه خليعاً، ومتخاذلاً كما يقال لمن يخون وطنه بأنه خائن، ولا يستغرب ذلك عقلياً ولا علمياً.

www.abulhasanalinadwi.org

بين منهج الإسلام للتربية[1] ومنهج النظم الأخرى

كان أحسن وصف لخلق النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في رواية "كان خلقه القرآن" وكذلك إن أحسن وصف للإسلام وطريقة حكمه، ونظام حياته ما جاء في القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ فكان لهذه السيرة الطيبة والخلق العظيم، ومكارم الأخلاق، التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لاتمامها وسلوكها، وتخليد أسوة لها للأجيال القادمة، أثر كبير، في إقرار دعائم الإسلام، والدعوة إليه، ومهما تغافل المعاندون عن ملامح هذا الخلق، ومظاهره طول حياته الطيبة، فإن المعاملة مع أعداء الإسلام بعد المقدرة عليهم، وأفضل سلوك مع ألد أعداء الإنسان وحرص على إسعاد كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي، لم تعد سراً تاريخياً وإنما هي منجزة قاهرة نادرة المثال.

كانت هذه السيرة الطيبة أسوة للحكام من المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فكان أشبههم في السيرة أقربهم إلى روح الإسلام، ولم يقتصر الاقتداء بهذه السيرة على عهد الخلفاء الراشدين، بل يزخر التاريخ الإسلامي الممتد إلى العصر الحديث

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٢٤، العدد: ٣، أول أغسطس ١٩٨٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

بمظاهر هذا الاقتداء، لا يخلو منه عهد الحكام الذين ينعتهم المؤرخون الغربيون بالمستبدين في كل عصر، وفي كل قومية، ويقدم لنا التاريخ الإسلامي حوادث تعتبر منعزلة وقعت في حكم محمود الغزنوي وشير شاه السوري، وبابر، وكثير من الملوك الذين دوخوا البلاد، وقهروا الأباطرة المستبدين، فأزالت النوم عن عيونهم فلم يكتحلوا بالنوم إلا بعد أن انتصروا للحق، وأعادوا الحق إلى المظلوم.

إنها قصص منتشرة في التاريخ، تظل طي النسيان والتجاهل لدى المؤرخين الذين لا يلتمسون إلا منافذ التسلل للتشويه والتزوير، ولكن هذه القصص تكشف عن طبيعة النظام الإسلامي وأهدافه.

إن أقرب مثل إلى الفهم للتمييز بين طريقة الإسلام للنظام والقانون، ونظام حكم آخر، مثل الأطفال الثائرين الصاخبين، فيمكن إخماد ثورتهم، وتهدئة أعصابهم بإعطاءهم الألعاب النارية للتسلية، وترفيه البال، كما يمكن صرف اهتمامهم من هذا الصخب والشغب إلى أعمال بناءة أخرى، تجذب اهتمامهم وتدر للبلاد، فتجدي الطريقة الأولى بنفع عاجل، ولكن لا يدوم هذا النفع وحالما تخمد النيران، يبدأ الصخب فتستمر سلسلة اللفتات، واللافتات.

إن الإسلام يقوم ببناء المجتمع، وتربية الفرد، بغرس المثل والمبادئ، والشعور بالمسئولية، والتوجيه إلى قوة أكبر، ويضرب له المثل، وينصب أمامه أسوة للاقتداء بها، ويزيل العبودية من كل نوع من كل مرحلة ومنزلة، بين السيد والمسود، ويسد منافذ الفتنة

www.abulhasanalinadwi.org

والفساد، ولا تأخذه في ذلك رأفة، إنه أقرب نظم إلى الطبيعة البشرية، وأيسرها تطبيقاً وألينها سلوكاً، وأعمها تأثيراً، وأشملها لمرافق الحياة، ومقتضياتها.

ولذلك إن الإسلام يسير مع الحياة في ظل الحريات، حرية الرأى وحرية العبادة، وحرية التبشير، فلا يحرم في الحكم الإسلامي وجود وحدات غير إسلامية وممارسة نشاطاتها، فتجد في حكم إسلامي صحفاً ومؤسسات تعليمية ومنظمات لا تؤمن بالإسلام، بل إنها تتمسك بعقيدتها، وطرق حياتها، وتحاول نشرها، والدعاية لها، وقد حدث ذلك في التاريخ القديم، ويحدث كذلك في العصر الحديث، حيث يقوم حكم إسلامي، والواقع أن وجود حكم إسلامي تأمين لوجود عقائد أخرى، وأقليات أخرى وحماية لها.

وعلى عكس ذلك، إن القوى المعادية للإسلام لا تسمح بممارسة النشاط الإسلامي، والدعوة إلى الإسلام والعبادة في بعض الأحوال.

فلماذا تقشعر جلود المعاندين بذكر كلمة الإسلام، مهما كان شكله وطبيعته، سواء كان ذلك اسمياً، لا رسمياً وحقيقة.

www.abulhasanalinadwi.org

إن الباطل كان زهوقا [1]

يواجه النظام الذي كان يقوم على أساس فكّ كل نظام، ورفض كل دعوة، الانفكاك الكامل، وقد بدأ الصراع للثورة على هذا النظام، الذي كان أساسه الثورة، لأنه أصيب بجميع الأدواء التي كانت تتهم بها النظم الأخرى، من الاستغلال، والتخلف، والجمود، والتحجر، والاستبداد الفردي، وقمع الحرية، والظلم، والفساد، والصراع الطبقي.

كان الاشتراكيون يزعمون أن الدين أفيون الشعوب، وأثبتت التجربة مع الاشتراكية أن الاشتراكية هي في الواقع أفيون الشعوب، وعاشت الدول التي قبلت هذا النظام في حالة تخدير كامل، تنتظر للسعادة المرتقبة، وتحلم بالجنة البروليتارية، وتبددت الأحلام بعد التضحيات الجسيمة التي مرت بها شعوب الدول الخاضعة للنظام الاشتراكي، وبعد صحوتها عرفت أنها تحت أغلال وقيود، وأن الأرض لم تتغير، وأنها لا تزال في حاجة إلى صدقات وبرّ الدول التي كانت خارجة من هذا النظام.

قامت هذه الثورة في دول أوربا الشرقية، فتحررت دول منها، ورفضت الشيوعية، والنظام الشيوعي، ووضعت نير العبودية عن رقبتها، والآن يجري الصراع في أوربا الوسطى،

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٣٢، العددان: ١٧-١٨، ١-١٦/مارس ١٩٩١م

www.abulhasanalinadwi.org

والاتحاد السوفيتي نفسه القلعة الأخيرة، للشيوعية، ويواجه هذا البلد الذي كان جرت فيه التجربة الشيوعية الأولى، الانفكاك، وتستعد الدول التي يضمنها الاتحاد السوفيتي للانفصال.

لقد لقي الدين بأيدي الشيوعيين والاشتراكيين كل إهانة، ووجه إليه المفتونون بالاشتراكية تهماً كثيرة، ولكن في أقل من سبعين سنة يقفون أنفسهم في قفص الاتهام، وقد سقط عدد من طغاة الاشتراكية ولاقوا مصيرهم المشئوم، وينتظر آخرون دورهم.

كان من التهم الموجهة إلى المسلمين وحكامهم أنهم كانوا يكرهون غير المسلمين على عقيدتهم، واختيار منهجهم، وقد مارست الاشتراكية هذا الإكراه بأبشع نوع، وقد شهدت هذا الإكراهَ كلُّ دولة خضعت للحكم الاشتراكي، وقد عادت عدة دول منها تجاهد اليوم للخروج من الحكم الاشتراكي، ومن هذه الدول دول عاشت في حكم الأتراك، واتهمت الأتراك المسلمين بالاستبداد، والعصبية الدينية، وتستطيع أن تميز بين النظامين.

لقد سلك العثمانيون مسلك التسامح مع غير المسلمين رغم حروبهم مع الدول الأوربية الصليبية وعداء الصليبيين السافر لهم، فقد تمتع المسيحيون واليهود بحقوق المواطنة، كما كان المسلمون يتمتعون بها، وكان سلوكهم مع الدول المسيحية التي لم تجاوبهم سلوك صداقة، وودّ وتعاون، وقد أنقذوا عدة دول مسيحية مع مخالب العدو، ويجد الباحث في التاريخ أمثلة من هذه العلاقة بين العثمانيين وعدد من الدول المسيحية، وما كان المسيحيون يتمتعون به من حقوق، ولم تفرض قيود في مجال التعليم، وفرص العمل، ومناصب الحكومة، وخير شاهد على هذا التسامح، وجود الآثار

www.abulhasanalinadwi.org

المسيحية في البلاد التي حكمها الأتراك، والمكانة التي كان يتمتع بها المسيحيون في مجالات التعليم والثقافة والاقتصاد.

كل ذلك لأن الحكام المسلمين كانوا واثقين بالنفس، معتمدين على صدق القول والعمل، وكانوا بعيدين عن نفسية الخوف والذعر، فكانوا لا يخافون الأغلبية على اختلاف عقيدتها، ولا الأقلية على اختلافها في العقيدة والثقافة.

ولو سلك المسلمون في عهد حكمهم الذي دام عدة قرون السياسة التي يتهمهم بها أعداؤهم اليوم لما كان لغير المسلمين في بلادهم هذا العدد الزاحم، ولما بقيت لغتهم وثقافتهم، وتم القضاء على كل أثر غير إسلامي، ووجود غير إسلامي، ولا يعرف التاريخ ظلماً اجتماعياً على أساس الدين، أو مجزرة من المجازر الرهيبة التي شوهدت أمثالها في الاتحاد السوفيتي، بعد الثورة البلشفية، وما عامل به الشيوعيون المسلمين وخداعهم معهم، ثم الاستيلاء على أراضيهم، ومنعهم من ممارسة شعائر دينهم، وفي فرنسا بعد الثورة الفرنسية، ودول جنوب شرق آسيا، وإفريقيا باسم الدين والعقيدة السياسية والاقتصادية في هذا العصر الذي عرف بعصر الحرية والوحدة والمساواة والحقوق الأساسية، وفي عهد الأمم المتحدة، وما تمارسه الحكومات المتحضرة اليوم ضد الأقليات الدينية واللغوية والثقافية اليوم رغم دعوى العلمانية والمساواة.

إن الذين يتهمون المسلمين باستعمال القوة في فرض عقيدتهم وثقافتهم استعملوا قوة مضاعفة لمنع كل فكر يتنافى مع فكرهم، وحاربوا الدين بأقسى الوسائل لأنه كان يتعارض مع تصورهم.

www.abulhasanalinadwi.org

كذلك يشاهد في الحركة العلمية والغزو الفكري، فإن ما كتب واستخدم من وسائل دجل، وتزوير، وتشويه، وتحريف ضد الإسلام والمسلمين في مائة سنة تقريباً في أوربا وحدها لا يساويه ما كتب ضد الديانات العالمية خلال ألف سنة، ولا يزال هذا العمل يجري بنطاق واسع، وقد تكونت مكتبة كاملة ضد الإسلام.

هذه طبيعة أعداء الإسلام، وقد واجه الإسلام والمسلمون هذه الطبيعة في كل عصر وهي طبيعة أعداء الإسلام اليوم كما كانت بالأمس.

إنهم يتهمون المسلمين بأنهم هدموا المعابد وحولوها إلى مساجد، ولا يعرفون إلا ثلاثة أو أربعة مساجد يدعون أنها أقيمت على أنقاض المعابد، ولكن توجد اليوم مآت من المساجد التي حولت إلى أنقاض، أو حولت إلى معابد غير إسلامية، فقد حولت آلاف من المساجد في الاتحاد السوفيتي والصين إلى الملاهي والمتاحف، يقولون إن الإسلام هدم ما كان قبله من العلم والمعرفة والواقع أن الإسلام أحيا اللغة اللاتينية والعلوم اليونانية، ووسعها، بينما أتلف الأوربيون العلوم والمعارف للأمم الأخرى وقضوا على اللغات، ومنها لغات المسلمين وثقافتهم، ويقولون إن المسلمين أكرهوا غير المسلمين على قبول الدين الإسلامي، وليس لهم مثال لهذا الإكراه، وعلى العكس توجد اليوم مناطق شاسعة أجبر المسلمون فيها على التخلي عن دينهم، ووجهت الدعوة في الاجتماعات المفتوحة إلى التخلي عن دينهم، ولا يزال يهدد المسلمون علناً بأنهم سوف يطردون من البلاد أو يقضى عليهم، وأنه لا حق لهم في البلاد، ولا تمانع الحكومة مثل هذه الحركات،

www.abulhasanalinadwi.org

كذلك في العالم المسيحي اليوم في "الفلبين" "وأثيوبيا"، وفي كثير من بلاد غير المسلمين تتخذ وسائل لمنع النشاط الإسلامي، ولإجبار المسلمين على قبول أفكار معادية للإسلام، ويتهمون المسلمين بتعدد الفرق والمذاهب والاختلاف، ويلقون الستار على تعدد المذاهب في أديانهم والخلافات العميقة بينهم، ومن لا يعرف ما جرى من حرب وقتال في التاريخ بين البروتستنت والكاثوليك وبين المذاهب المسيحية الأخرى، وكذلك بين الفئات الهندوكية.

وإذا بحث الباحثون في ما يوجهونه إلى الإسلام من تهم لوجدوا أن هذه المساوئ توجد فيهم أكثر مما توجد في المسلمين أضعافاً مضاعفة.

واجه النظام الاشتراكي مصيره، لأنه كان عدواً لدوداً للدين بصفة عامة، والإسلام بصفة خاصة، وكان قد شنّ حرباً شعواء على الدين من أول يومه، وكان يعتبر الدين أول أعدائه، فثبت فشله في مدة قصيرة، وسيسقط النظام الأوربي الآخر الذي حارب الإسلام علمياً وفكرياً، وإن كان يبدي تسامحاً في الظاهر، لكنه كان يتآمر ضد الإسلام والمسلمين، ويقوم بتشويه الحقائق، وقد فرض على العالم الإسلامي ظروفاً وأوضاعاً تزيده عدم الاستقرار وفرض عليه الصراعات، والضغوط.

إن هذه الكتلة التي تتحالف مع الصهيونية والصليبية والعنصرية الأوربية التي لا تزال تستغل العالم الإسلامي، وتورطه في مشاكل، ستواجه الانفكاك والاندثار، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

www.abulhasanalinadwi.org

كيف يلتقي النظامان [١]

تشيع اليوم مصطلحات وتسيطر على الأذهان وتشغل بال عامة الناس وخاصتهم، ويتقدم الناقدون لشرحها وتأويلها، ولكن الباحث فيها لا يستطيع أحياناً أن يقرر هل وضعت هذه المصطلحات أولاً، ثم ألحقت بها فلسفاتها وما تنطبق عليه، أم وضعت الفلسفات أولا ثم وضعت لها المصطلحات، وهل تطابق التفسيرات المصطلحات، أم لها تفسيرات لا يعرفها إلا واضعوها، وذلك لاختلاف الشارحين في شرحها، وتحديد معانيها، وتعارض أقوالهم، وتباين المفاهيم التي يعرضونها لهذه المصطلحات، ولتعارض هذه المفاهيم والتعريفات يقع السذج من الناس في مغالطات عن سدادها، وصلاحيتها، وعن مساويها، ومضارها.

ومن هذه المصطلحات الشائعة اليوم التي يجري حولها البحث، وتكثر التفسيرات والتحليلات مصطلح العولمة الذي يكثر استخدامه اليوم، بعد أن فقد مصطلح النظام العالمي الجديد تأثيره على النفوس، ومن التفسيرات المتباينة للعولمة كما جاء في مقال الدكتور مانع بن حماد الجهني تفسير يقول: إنها التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطن

---

[١] نشر في "الرائد" السنة: ٤٠، العدد: ٢٠، ١٦/أبريل ١٩٩٩م

www.abulhasanalinadwi.org

محدد، أو لدولة معينة، ويقول تعريف آخر أنه إذابة الحدود وزيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمؤسسات والمجتمعات، ويفسر مفسر آخر أنه أيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم، ويقول تفسير آخر إنها حركة تهدف إلى تعميم تطبيق أمر على العالم كله، فيرى البعض أنها حركة اقتصادية، وآخرون يرون أنها سياسية واجتماعية وثقافية، ويرى بعضهم أنها استعمارية.

لقد شاع استعمال مصطلح النظام العالمي الجديد بعد انفكاك المعسكر الاشتراكي وتولى الولايات المتحدة الأمريكية قيادة العالم وسيادته، لأن حلفاء أمريكا كانوا جميعاً في حالة ضعف شديد بل في حالة احتضار، فكانوا يحتمون في حضن أمريكا، ويستمدون قوتهم من حمايتها، فكانت قوتهم وبقاؤهم بقوة وبقاء أمريكا، وذابت في بوتقتها الدول التي استعمرت العالم مدة طويلة، وفرضت هيمنتها على مستعمراتها وقضت على ثقافتها ولغاتها، وخصائصها القومية، وأعلنت أمريكا للعالم أنها هي القوة الكبرى الصالحة لسيادة العالم، وأنها هي التي تقدر الآن أن تملي على العالم ما هو النظام السياسي والاقتصادي الذي يجب أن تختاره دول العالم القريبة والبعيدة.

وبشيوع هذا التصور شاع في أوربا تصور الخطر الإسلامي، ونال هذا التصور الأرجحية، وذلك لأن حملة تصور النظام العالمي الجديد أدركوا أن الإسلام يدعو إلى نظام يختلف عن النظام الذي تدعو إليه دول الغرب، أو أمريكا، التي تعمل حسب التخطيط الصهيوني، الذي يرمي إلى إفساد الأمم وتمزيق شملها، وإشاعة الفحشاء، وحب المال، والاستغلال، فإن الإسلام

www.abulhasanalinadwi.org

بتعاليمه السمحة هو العقبة الوحيدة في سبيل الأفكار الملحدة، والمادية الجامحة والإباحية المطلقة، واللاإنسانية الماحقة التي يعتدي فيها الإنسان على الإنسان، ولا تراعي في السلوك معه حقوق ولا قيم، بل تكون المصلحة الذاتية هي المعيار الوحيد للسلوك مع الإنسان.

ولا شك في أن الإسلام لا يستطيع أن يحتمل هذه السلوكيات، وقد عرف الغرب هذه الطبيعة للإسلام قبل أن يعرف المسلمون أنفسهم، وأوضح هذا الفارق بين النظامين أحد مفكري الغرب بتعبير صراع الحضارات، فتكهن بوقوع حرب بين أتباع الحضارتين، الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، ولا يستغرب ذلك فإنهم درسوا الإسلام قروناً ودرسوا تاريخ الإسلام وأنشأ أسلافهم مكتبة زاخرة في الموضوعات الإسلامية، وإن كان في هذه المكتبة تشويش وتشويه ومحاولات جادة للتزييف، ولكنهم يعرفون جوهر تعاليم الإسلام وصلاحيته للتقدم والاحتواء، والتسخير للنفوس، وما لعبه الإسلام من دور في التاريخ، انهم يشيعون بأقلامهم أن الإسلام انتشر بالسيف ولكنهم يعلمون بنظرتهم الثاقبة في التاريخ ومعرفتهم لأحوال الأمم، وقد سادوا العالم كله، وعرفوا الأمم والشعوب وعرفوا ثقافتها، وأديانها، وميولها وعناصر تركيبها، يعلمون أن الذين دخلوا في الإسلام بتأثير الفتح الإسلامي أقل من الذين دخلوا في الإسلام بدون الحرب، وأن بلداناً بكاملها دخلت في الإسلام ولا تزال تعتز بالإسلام بدون أن يدخل فيها مجاهد مسلم.

وأوضح دليل وأقرب إشارة إلى هذا الواقع هو دخول

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام في أوربا نفسها اليوم، كيف ينتشر عدد المسلمين في بريطانيا، وأمريكا ودول أوربا المتحمسة للمسيحية، والحاقدة للإسلام هل ينتشر بالسيف أو ينتشر بالإغراء المالي؟ إن هذا الانتشار الواسع للإسلام مشاهد تعترف به وكالات الأنباء، وتؤكده التقارير الصحفية وتقارير قبول الإسلام.

إن الإسلام في العالم المعاصر ينتشر في البلدان التي يعيش فيها المسلمون كأقلية، ليس لهم وسائل الإعلام، ولا يتمتعون بمكانة أو وزن، وهم ضعفاء يواجهون محنة، ومحنة المسلمين عامة في بلدانهم التي يعيشون فيها في أغلبية، وفي البلدان التي يعيشون فيها في أقلية، تفرض عليهم قيود، وتحدد نشاطاتهم، ويمنعون من الإسهام في مشاريع البلاد الإنمائية، وتشاع عنهم مطاعن للإساءة إليهم وتشويه سمعتهم، وأغرب من ذلك أن الإسلام ينتشر في النساء في أوربا أكثر، رغم أن الإسلام يتهم بظلم النساء وتنشر الصحف تقارير للمؤمنات بأنهن يشعرن بسعادة الحياة وهنائها بعد الإسلام، وأن الحياة قبل الإسلام كانت حياة شقاء وحرمان.

وذكرت بعض الوكالات العالمية في تقاريرها أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في العالم.

أن أوربا تعرف ما هي الوسائل التي تسخرها لمنع زحف الإسلام، وما هي الوسائل التي سخرها أسلافها في تشويه الإسلام، وتمزيق شمل المسلمين في العالم، وما هي الصراعات التي يعاني منها المسلمون اليوم من غرس أمجادها، أو قادتها الذين سيطروا على العالم، وتعرف ما هي وسائل القمع والكبت والتعذيب التي استخدمها الجيل السابق للحكام الأوربيين، خلال

www.abulhasanalinadwi.org

الاستعمار البغيض لتغيير هوية الشعوب، ونال المسلمون منها النصيب الأوفر، ثم صمد المسلمون واحتفظوا بثقافتهم وصانوا دينهم من الضياع أو التحريف، فإن الأوربيين يقرأون ويفهمون ما يقرأون، أنهم يخدعون الشعوب، ولكنهم لا يخدعون أنفسهم، فمن يعرف الإسلام، ويعرف المسلمين في تاريخهم، من حقه إذا كان محروماً من نوره، وهدايته أن يخشاه، ولكن الله يهدي من يشاء من هؤلاء الأعداء، ويدخل منهم عدد ملحوظ كل يوم في دين الله.

ولو قدرت أعداد الداخلين في دين الله، وتضخم عدد المسلمين الجدد بعد هذا الصياح بخطر الإسلام، وبعد فرض القيود على النشاط الإسلامي، لما كان غريباً إذا اكتشف أن هذا العدد أضخم من عدد الداخلين في دين الله قبل هذه الضجة التي أثارها الغرب.

إن هناك تيارين متواصلين في العالم، تيار الاتجاه إلى الإسلام المتصاعد، ودراسة الإسلام والتعرف عليه، والاعتراف بصلاحيته لإسعاد الحياة، وهو تيار مشاهد معروف، وهو الظاهرة الطبيعية في العالم، وتيار آخر وهو اضطهاد المسلمين في مختلف أنحاء العالم، بأعذار مختلفة، ففي أماكن يضطهد المسلمون بتهمة الإرهاب، فإذا طالبوا بحقوقهم الشرعية التي ينص عليها دستور البلاد، وهم محرومون منها، كان احتجاجهم أو مطالبتهم إرهاباً، وإذا دافعوا عن أنفسهم في وجه اعتداء عليهم، كان دفاعهم عن النفس إرهاباً، حتى المدارس الدينية التي تعلم الأخلاق وتربى النفوس، وتحمل على الصبر والحلم، والعيش بالكفاف، ورعاية

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الإنسان تعدّ أوكار الإفساد والإرهاب.

ويضطهد المسلمون في أماكن لأنهم يطالبون بحقوق سياسية، ويريدون أن يشاركوا في الحياة القومية، فيتهمون بالانفصالية، والعنصرية، والواقع أن الذين يحرمونهم من حقوقهم لأنهم مسلمون أو أنهم ينتمون إلى أصل أو عنصر آخر، هم العنصريون وهم الطائفيون.

ويضطهد المسلمون في أماكن لأنهم يريدون أن يختاروا لأنفسهم ثقافة خاصة، ويعيشوا باحتشام واحترام، ويتبعوا تعاليم دينهم، فيتركون ما يحرمه دينهم ويختارون ما يحله دينهم في الأكل والشرب، والملبس، فيتهمون بمعارضة الحضارة، ويجبرون على الاندماج إليها، ولا يعتبر هذا الإجراء قمعاً وقهراً وإكراها ومخالفة للحرية والحقوق الأساسية.

لقد أراد الغرب بالنظام العالمي الجديد فرض سيطرته على العالم سياسياً وثقافياً واقتصادياً، وبالاصطلاح الحديث العولمة خطا خطوة أخرى، وهي صهر العالم كله في البوتقة الأمريكية التي تذوب فيها جميع الكيانات المستقلة بخصائصها، ومكوناتها، وسيذوب فيها من لا يتمسك بدين ولا ثقافة، وليس له تاريخ يعتز به، أو ليس له وعي بالأخطار المحدقة بالذوبان، ولكن الذي يتمسك بدينه، وثقافته، وله تاريخ يعتز به، وله وعي أوفيه بقية من أصحاب الوعي والشعور فإنه لا بد له من الصمود والتصدى في هذا الغزو الجديد.

من الغريب أنه إذا انتقد أحد على أساس العقيدة والقيم، الحضارة الغربية، قيل إنه يعارض التقدم والوسائل الحضارية

www.abulhasanalinadwi.org

الجديدة، إنه يدعو إلى السير في الصحراء، وركوب الإبل، ويحب أن يعيش في الظلام، إنه في الواقع فهم خاطئ وعقل عاجز، وقد تقدم المسلمون في عهد حضارتهم، ونشأ فيهم علماء وفلاسفة، واكتشفوا مجالات واسعة للبحث والتحقيق واستفاد منهم الغرب في عهد النهضة، واعتبرهم بعض العادلين من مفكري الغرب معلم أوربا، إن الحضارة ليست عبارة عن آلات، ومصنوعات، بل الحضارة تنطبق أيضاً على سلوك الإنسان ومنهجه للحياة، ومعتقداته وثقافته، ولكل حضارة فلسفة خاصة تسير في ضوئها حياة متبعيها، ولا يخلو جانب من جوانب الحضارة من هذه الفلسفة الخاصة، كالتعليم، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والنظام الذي يشتمل على هذه الأركان يجب أن ينظر في فلسفته وتطبيقاته وتأثيره على نفوس متبعيه.

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام نظام فريد متكامل غني[1]
عن سائر الأنظمة الوضعية على طول الخط

كل من يتملى الألوان الزاهية المختلفة للمقارنة بينها يظهر له أن الألوان تنقسم إلى فئتين: فئة البياض وفئة السواد وما شاكله من الألوان المتجانسة، أما اللون الأبيض فهو متباين كلياً عن الألوان الأخرى ومفرد، وهو لون صاف نقي ناصع لا يشوبه شيء، وإذا علاه كدر أو صعده غبار أغبر وتغير عن ماهيته وتغير اسمه وصفته ولم يعد بياضاً، وإنما هو لون آخر، فتجد في سائر اللغات أسماء مختلفة للألوان المتغيرة، وللبياض حساسية لا تحملها الألوان الأخرى، فقد تمتزج ألوان وتتشابه بحيث يعسر تبينها، أو تتحد ويتكون منها لون جديد.

والبياض هواللون الحقيقي الذي لا يشوبه شيء، ولذلك اختصت كلمة البياض في كل لغة للصفاء، والوضوح التام، وزوال اللبس، وانكشاف الحقيقة، وعدم التعكر كما تستعار كلمة البياض للنور والنور للبياض، وقد جاء في القرآن الكريم ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾[2] واستعمل القرآن الكريم السواد للظلام والبياض للنور، والنور للحق

---

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٤٥، العددان: ١١-١٢، ١-١٦/ديسمبر ٢٠٠٣م

[2] البقرة: ١٨٧

www.abulhasanalinadwi.org

والظلمات للكفر.

وأكثر القرآن الكريم من ذكر الفلق والغسق واختلاف الليل والنهار، وشبه التنافس بينهما لتشخيص الصراع بين قوى الظلام وقوة النور، أو بمعنى أصح بين قوة الحق وقوى الباطل فقال: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾[1] وقال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[2] فحيث أن النور لا يجتمع بالظلام لا يجتمع الحق بالباطل، وحيث أن النور لا يحتمل أن يشاب بظلمة أو البياض لا يحتمل التلوث بصبغة أخرى، لا يحتمل الحق وهو الشريعة السماوية أن يشاب بفكر وضعي نسيج خيال الإنسان.

والأمر الثاني الذي يتجلى في النور أنه كائن منفرد مستقل بذاته، والنور الحقيقي ليس كمثله شيء، أما النظريات والفلسفات الأخرى للحياة فهي متجانسة متشابهة تتغير بتغير الزمان والمكان يقتبس بعضها من الآخر، ولا يظهر زيفها إلا إذا قورنت بالحق، ولذلك تتحد قوى الظلمات المتصارعة فيما بينها لمحاربة الحق ولمحو النور الذي يبدد الظلام، وقد شخص القرآن هذا العداء للحق بقوله:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[4] فتشترك قوى الشرك وقوى الكفر في مكافحة النور.

---

[1] الزمر: ٥

[2] الإسراء: ٨١

[3] التوبة: ٣٢

[4] التوبة: ٣٣

www.abulhasanalinadwi.org

فالإسلام هو النور الوحيد﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾[1] ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾[2] والإسلام هو الوجه المشرق للإنسانية فلا يحتمل أن يمزج به نظام أو فلسفة كما لا يجتمع نور وظلام وبياض وغير بياض، فالنور نور، والظلام ظلام، والنور وحدة، والظلام تفرق، وتمزق، وتخبط، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله ﴿قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[3] ويحذر الله عباده ويقول: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[4]

إن الصفة الغالبة للحق لكونه نورا كما وصفه القرآن أن لا يكون مشوبا بشيء يخالف طبيعته، ويتفاوت ويتباين عنه، وأن الذوق السليم لا يقبل أن يجمع بين رائحة ذكية طيبة ورائحة أخرى متعارضة، أو يذوق طعما كريها بعد طعم لذيذ، فكل محاولة للخلط بين الفكر الإسلامي الأصيل والأفكار غير الإسلامية، والنظام الإسلامي المستند إلى القرآن والسنة وأنظمة غربية أجنبية تؤدي إلى التمزق والبلبلة، كما يحدث في كثير من البلدان الإسلامية اليوم.

تظهراستحالة مثل هذا الجمع بين الفكر الإسلامي والنظام الغربي للحياة، أو بين أجزاء النظام الإسلامي وأجزاء النظام الغربي بالنظر على المبادئ والمقومات المتعارضة للنظامين، وهو

---

[1] آل عمران: ١٩

[2] آل عمران: ٨٥

[3] البقرة: ٢٥٦

[4] الأنعام: ١٥٣

www.abulhasanalinadwi.org

تعارض لا يشبهه تعارض، ونقدم بعض الأمثلة البارزة لهذا التعارض في النظامين في الفكر والعمل.

يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[1] وتجد على الجانب الآخر في نظام الحياة المعاصرة الذي يمنح الإنسان حرية الاستمتاع في الحياة، وإشباع الغرائز الطبيعية، أنه يتفنن في مواد التسلية والإغراء الجنسي باسم الفن والثقافة، والتقدم، وحقوق المرأة، بحيث أنه لا يمكن إنشاء مجتمع نزيه عفيف.

يقول القرآن: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾والنظام المعاصر يقوم على أساس المادة والاستغلال، والنفع الذاتي، وتكديس المال وإن أدى إلى شقاء الإنسان، فتقوم الأنظمة الاقتصادية المعاصرة على الفوائد والربا، فلا يتصورأحد التجارة والاقتصاد إلا مقروناً بالربا.

يدعو القرآن الإنسان إلى إصلاح النفس، ورعاية حقوق الله، وحقوق العباد في حياته، ويحث على تزكية النفس وتنقيتها فيقول:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[2].

يجعل القرآن كل إنسان مسئولاً عن كل عمل يصدر منه في السر والعلن، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3]و﴿لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾، فإذا أفلت الإنسان من عقوبة القانون في الدنيا فإنه لا يستطيع أن ينجو منها في الآخرة.

---

[1] النور: ١٩

[2] الشمس: ٩–١٠

[3] المدثر: ٣٨

www.abulhasanalinadwi.org

يعترف الإسلام بعالمية الإنسان، ويجعله مساوياً أمام القانون، فلا يوزع الإنسان على أساس القوميات واللغات والثقافات، والميول الفكرية، فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، والتقوى في الواقع الشعور بالمسئولية في السر والعلن، وإتباع أوامرالله، والامتناع عن نواهيه.

أما النظام الغربي فهو يدور حول مصلحة مجموعة خاصة، تعتبر مصلحتها، مصلحة الدولة والمجتمع، ويخضع الشعب كله لفكر تلك المجموعة وتصورها للحياة، ولا يعرض القانون الوضعي لشيء إلا إذا كان متنافياً مع مصلحة الدولة.

ويتضح من هذه الأمثلة تعارض النظامين في الفكر، وفي نمط الحياة، وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة لما يدعو إليه الإسلام، ويمكن أن تلاحظ ملامح النظام الإسلامي، ومعطياته للإنسان من كرامته، وشرفه، وتأمين حياته، وسلامته وترابط مجتمعه، ونظم أسرته، والإيثار والمواساة في أفراد مجتمعه حيث طبق جزء من تعاليم الإسلام وهو أمر لا ينكره أحد.

وعلى الجانب الآخر يلاحظ في المجتمع الغربي تذمر، وعدم السلامة الفردية، وتفكك نظام الأسر، وعدم الالتزام بالحقوق الإنسانية، وعدم الثقة في أفراد المجتمع، والصراع في كل جانب من جوانب الحياة، وإهدار كرامة الإنسان، فأصبح الإنسان مقهوراً تابعاً لغيره، وتابعاً للذائذ الحياة فيشقى للذة، ولا نهاية للذائده، ولشقائه، وسائر الوسائل في ذلك العالم مسخرة لتحقيق ذلك الهدف، فكيف الجمع بين النظامين المتعارضين والتناسق بين أجزاء مضادة.

www.abulhasanalinadwi.org

يعد التناسق في الألوان والأشكال والجرس والظل من مستلزمات قدرة المصور أو الرسام لرسم صورة أو لوحة فنية تخص بفرد أو مجتمع، فإذا كان تصويرمشهد من مشاهد حياة فرد أو مجتمع محدود عاش أو يعيش في نطاق محدود أو فترة زمنية محدودة يتطلب هذا التناسق الدقيق ومعرفة الذات، فكم يتطلب إعداد صورة للمجتمع البشري العام من التناسق.

تقوم سياسة التربية والتعليم بإعداد خطوط تعين صورة الجيل المقبل، وتكون ملامحه، وتعين أدواره وقدراته في مجال أوسع وأشمل من الحياة، فتقتضي قدرات هائلة وذوقاً عالياً ودراسة دقيقة لطبيعة الإنسان وطموحه ومواهبه، ولكن من شقاء العالم الإسلامي اليوم أن قادة الفكروالسياسة وعلماء التخطيط، والبناء وخبراء التعليم والتربية يغفلون هذا التناسق لإهمالهم أوجهلهم بطبيعة الشعب المسلم وطموحه في حياته، وأفكاره ومشاعره وتاريخه، وذوقه، فكانت النتيجة أن الشعوب في الدول الإسلامية حائرة بين ما تؤمن وبين ما تمارس، وبين ما تسمع وتلقن أثناء التربية المنزلية وبين ما تشاهد خارج المنزل، إنه حيرة بين نور حقيقي وبين بريق زائف بريق الحضارة الغربية التي تكاد تنهار في عقر دارها، فمثل المسلم اليوم بجراء هذا التناقض كمن يدعى من جانبين متعارضين أو كمن يحاول أن يركب سفينتين متعارضتين.

ولو شاهدنا ما يجري اليوم لوجدنا أن المسلم رغم إيمانه والنور في قلبه يعيش في ظلام لأن ستائر كثيفة من الأفكار والفلسفات المستوردة المتنافية لنظام حياته الأصيل والفكر السماوي مرسلة عليه، فكلما حاول أن يرفع عنه ستار أرسل عليه

www.abulhasanalinadwi.org

ستار جديد فيحيط به ظلام، ولكن هذه الأستار سترفع ويتبدد الظلام بانتفاضة ظهرت بوادرها وستشرق الشمس وهاجة من الشرق من جديد، لأن حضارة الغرب آذنت بالغروب، وذلك عند ما تنتشر الحضارة الإسلامية، ويتحقق انقلاب فكري وعملي في سائر مرافق الحياة ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[١]

[١] الصف: ٨

www.abulhasanalinadwi.org

التربية الإسلامية وأبعادها [1]

الإنسان في نظر رجال التربية الغربية جسم وعقل، ومن ثم تركز اهتمامهم على تلبية رغباته، وتوجيهه إلى السبل والوسائل التي يصل بها إلى تحقيق مآربه، وأغراضه الدنيوية، سواء أكانوا من دعاة النمو الذاتي، وحرية الفرد، أم كانوا من دعاة تحقيق المصلحة الاجتماعية، فهم لا يختلفون في تحديد طموح الإنسان وقصره على المادية، أو المصلحة التي تتعلق بحياة الإنسان العاجلة، وغرائزه التي لا يختلف فيها عن الحيوان إلا بالعقل النامي، والشعور المتطور، والصلاحيات الموسعة.

ولذلك اقتصرت جهود علماء التربية على تهيئة فرص الكسب، ورفع مستوى المعيشة ليتوسع الإنسان في الانتفاع من وسائل الراحة، والحصول على العزة والمناعة، والغلبة، والانتفاع بما في الحياة من متع وملذات، واقتصرت وظيفة العقل على البحث عن وسائل إمتاع الجسم تلبية لمتطلباته، فتوجهت عناية واضعي نظام التربية والتعليم إلى ما يسد طموح الإنسان، وموقفهم في ذلك لا يختلف عن موقف التاجر الذي يستجيب لرغبات الزبائن وكان لهذه النظرة الخاطئة تأثير كبير على سير الحياة المعاصرة التي تغلب عليها طبيعة الاستغلال الفردي أو الجماعي، وأصبح التعليم

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٢٤، العدد: ٧، أول أكتوبر ١٩٨٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

وسيلة لتنمية الغرائز الطبيعية الحيوانية لأن المذهب المادي الذي يسيطر على العالم اليوم يدور حول ما حدده من مطالب الإنسان وهي الغذاء، والكساء، والإشباع الجنسي، أما الأمور الأخرى فهي ثانوية أو مقبولة ما دامت لا تصطدم بهذه المطالب الأولى.

ولكن الإسلام ينظر إلى الإنسان بنظرة مختلفة فإذا كانت العلوم الغربية تنظر إلى الإنسان كامتداد راق للطبيعة الحيوانية بعقل وشعور، ينظر الإسلام إليه كأنه أشرف المخلوقات، وخليفة الله على الأرض، ومسجود الملائكة، بدون أن ينتقص أو يكبت شيئاً من النوازع الفطرية، أو يقمعها كالمسيحية المحرفة كما لا يطلق العنان لجماح الإنسان كما تطلقه أوربا المادية.

وبهذا الاعتبار، الإسلام يربي الإنسان تربية تستجيب لنوازع جسمه وعقله وروحه في آن واحد، وتعتني برفع مستواه ليكون مؤهلاً لتأدية دور الخليفة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.[1]

يعترف الإسلام بالنشاط الحيوي للإنسان، ويحمله على التفكير والتدبر، والتحسين، وأن يزاول نشاطه، ويستخدم صلاحيته الجسمانية، والكفاءات العقلية، والقدرات الروحية، لخدمة الإنسان، وتأمين شرفه وقدسيته، وتأدية رسالة أسمى من مجرد الغرائز البشرية المحدودة، التي يستوي فيها الإنسان والحيوان، فالغذاء والكساء، وتلبية الرغبات النفسية، جزء من الطبيعة الإنسانية وليست كل ما يقتضيه الإنسان في الحياة.

[1] الإسراء: ٧٠

www.abulhasanalinadwi.org

ونستطيع أن نوازن بين العقلية المادية، والعقلية التي نشأت بتربية الإنسان بما قاله ربعي بن عامر لدى رستم، "إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده، ولنخرج العباد من ضيق الدنيا إلى سعتها"، لقد عد الغذاء والكساء وإشباع النفس الذي كان المجتمع في عصر قد وصل إلى ذروته، ضيق الدنيا ونوعاً من العبودية.

الإسلام دين الحرية، حرية العقيدة، وحرية المعيشة، بحيث لا تصطدم هذه الحرية في المعيشة بشرف الإنسان العام الذي أكرمه الله به، فردياً أو اجتماعياً، ولا يتحقق ذلك إلا بتكوين الفكر الإنساني وبعث الشعور بنزاهته وكرمه وشرفه ومسئوليته أمام خالقه، ولتحقيق هذا الغرض، كان من أولويات التربية في الإسلام تصحيح العقيدة من أول يوم، تبدأ هذه التربية بمولد الطفل فيبدأ حياته بسماع كلمات التمجيد لله الذي خلقه، والذي يرعاه، ثم اهتم الإسلام بتربية الطفل في مهد أمّه، واهتم بتقويم البيئة التي يعيش فيها الطفل ويتربى بدون أن يقيد من نشاطاته، أو يكبت من نوازعه، ويحرسه من كل غائلة شيطانية ويحتفظ بالتوازن في ميوله لكيلا تطغى نوازعه الطبيعية على القدرات الروحية التي أودعت فيه.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1] وقال في موضع آخر: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى، سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى، وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾.

[1] الشمس: ٧-١٠

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1]

﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

ويبدأ التعليم في الإسلام بتربية شعور الإنسان، وتذكيره بسبب وجوده وخلقه، ومسئوليته لدى خالقه، وتنبيهه بالأخطار والتحديات الناشئة عن غلبة النوازع البشرية، وفقدان التوازن فيها.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى، إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[3]

العقيدة في التربية الإسلامية هي أساس التربية، وعليها يتوقف نجاح الإنسان في حياته ومعاده، وهي الوازع والحارس الأمين، وهي كالعيون الساهرة، والعقيدة هي أساس تربية الأنبياء والرسل وهم قدوة التربية والتعليم، ولم يفرد الإسلام العقيدة، بل قرنها بالعمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر، أي تجشم المصائب في الحياة من أجل القيم ومن أجل نزاهة الحياة، وكرامة الإنسان، وبذلك احتفظ الإسلام بكرامة الفرد، وكرامة المجتمع، فليس الإنسان الأمثل في التربية الإسلامية المواطن الذي يكسب قوته، ويشبع نهامته، بل الإنسان الصالح في نظر الإسلام هو المؤمن الصالح الذي يعرف فضل خالقه، ويقضي حياته كما يحب

[1] التين: ٤–٦
[2] العصر: ١–٣
[3] العلق: ١–٨

www.abulhasanalinadwi.org

خالقه، ويعيش بين عباده كرجل صالح وعضو كريم من أعضاء الأسرة الإنسانية، يسعى إلى إسعاد البشرية جمعاء، ليس إلى إسعاد نفسه، بل الإنسان الأمثل في نظر الإسلام هو الذي يضحي بسعادة نفسه في سبيل إسعاد غيره، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]، وهنا تختلف التربية المادية عن التربية الإسلامية، فالتربية المادية تربية الأثرة، وتربية الإسلام هي تربية الإيثار والإخلاص في العمل.

تضع التربية الإسلامية كل شيء في موضعه بطريق لا يرتجح جانب من جوانب النشاط الإنساني، وبطريق تتزن نوازع الجسم والعقل والروح، وتوجه الإنسان إلى أن يكون المثل الأعلى لغيره وترغب في أن يصعد الإنسان إلى الدرجات العلى، فتشمل رعاية الإنسان في التربية الإسلامية على النشاطات الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية والذوقية والروحية والوجدانية، وتوجيه هذه النشاطات إلى غاية أسمى.

والفرد في نظر الإسلام هو مواطن مؤمن، والمجتمع في الإسلام مجتمع مسلم تتحقق فيه عبودية الله وحده، وتتحقق بتحقيقها فضائل الحياة الاجتماعية من تعاون وتكافل وتضامن ومحبة، بدون فقدان المواهب والذاتيات والمقومات الشخصية.

مميزات التربية الإسلامية

١ - إنها تربية لنفس الإنسان تتجه إلى الفضائل، وتدعو إلى خير الإنسانية، أفراداً ومجتمعات، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

---

[1] الحشر: ٩

www.abulhasanalinadwi.org

أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [1] وقال في موضع آخر: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ، وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [2]

٢- التربية الإسلامية تكتنف الحياة من جميع جوانبها، فهي تتميز بالشمول والتناسب الدقيق.

٣- التربية الإسلامية تربية إنسانية، تهتم بصيانة شرف الإنسان ومكانته، وتوسع آفاقه، وليست خاصة بأمة ولا بقوم.

٤- التربية الإسلامية تربى النوازع البشرية، والدوافع وتقويها وتوجهها إلى مثلها الأعلى.

٥- التربية الإسلامية تربية التوافق، والتعادل والتوازن، وهي تراعي فروق طبائع الإنسان، وتحترمها كقوله تعالى.

﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.[3]

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.[4]

ولا تتحقق آثار التربية الإسلامية إلا بالرجوع إلى القرآن والسنة، وهما المصدران الرئيسيان، لتوجيه الحياة العامة والقادة إلى هدف أسمى يبتغيه الإسلام، وهي طاعة الله، والاهتداء بهدي رسوله، والعمل لإسعاد البشرية جمعاء، بما وهبه الله كل إنسان

---

[1] الحجرات: ١٣

[2] الحجرات: ١١

[3] البقرة: ١٩٤

[4] آل عمران: ١٨٦

www.abulhasanalinadwi.org

من قدرات سواء كانت جسمية أو عقلية أو روحية وابتغاء وجه الله في كل عمل.

لقد قرن القرآن الكريم التربية بالتعليم فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١].

وقد أطلق القرآن الكريم لفظ الحكمة كذلك على الأخلاق والآداب، والتلطف في الكلام والحلم فقال في موضع ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢]، وقد دعا القرآن الكريم إلى الحكمة في الحياة كلها، وإلى الإحسان، واحترام كرامة الإنسان، والعمل والجد والاجتهاد.

أسلوب القرآن في معالجة طبيعة الإنسان

كان الكسب وإشباع الجنس من الغرائز الطبيعية للإنسان، فتميل إليها طبيعة الإنسان بدون توجيه أو إغراء، فاستعمل القرآن طريقاً مختلفاً في هذين الموضوعين، فإنه حدد مواضع الكسب بالحلال، وبحيث أنه لا يعوق ذكر الله لأنه هو المقصد الأول للإنسان، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، [٣] فقال وهو يصف الرجال الذين جمعوا بين الكسب وذكر الله.

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٤].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ

---

[١] الجمعة: ٢

[٢] النحل: ١٢٥

[٣] الداريات: ٥٦

[٤] النور: ٣٧

www.abulhasanalinadwi.org

فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[١]

وأكد القرآن على الإنفاق أكثر من الكسب، لأن الكسب من طبيعة الإنسان، فبين مواضع الإنفاق وحث عليه لتطهير الأفراد والمجتمعات من حب المال، والاستغلال والأثرة، التي هي مصدر كل بلاء، وحب المال أساس لفساد المجتمع، ووسيلة للاستغلال الطبقي.

ومثل تأكيد القرآن على الإنفاق واهتمامه بهذه الناحية، أكد الحذر والاحتراس، من إشباع الجنس، فبين أخطار التطرف فيه، فذكر المزالق وبين الحدود.

وفي سورة الإسراء آيات تستحق أن تعتبر ميثاق الأخلاق والتربية، وتبين مفهوم التربية القرآنية، فقد شملت جميع نواحي الحياة الهامة، وأشارت إلى سائر مواضع الضعف في طبيعة وبين حلولا لها.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا، وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا، وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

---

[١] الجمعة: ١٠

www.abulhasanalinadwi.org

مَحْسُورًا ، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ، وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ، وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ، وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ، وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾[1]

وتتلخص التربية القرآنية في ضوء هذه الآيات في الأمور الآتية :

١ - العبادة لله وحده.

٢ - الإحسان إلى الوالدين ورعايتهما.

٣- الشعور بأن الله يعلم ما تكن الصدور

وبذلك سد منافذ الشر في السر، ووضع الإسلام بهذا الشعور الذاتي، حارساً يراقب الإنسان في السر والعلن.

٤ - الإحسان إلى ذوي القربى ، و المساكين والغرباء ، وبذلك سد الإسلام منافذ الاستغلال من كل نوع.

٥ - الاقتصاد في الحياة ، والدعوة إلى عدم التبذير ، وعدم الإمساك كلياً ، والشعور أثناء الكسب أنه من الله ، ومقدر منه ، ولذلك يجب كسبه و إنفاقه في السبل المشروعة.

---

[1] الإسراء: ٢٣-٣٨

www.abulhasanalinadwi.org

٦- الاهتمام بتربية الأولاد، لإنشاء مجتمع نزيه يتطابق مع القيم الإسلامية.

٧- التحذير من التطرف في إشباع الجنس، ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ لسد منافذ الانحلال الخلقي والاجتماعي.

٨- التحذير من قتل النفس بغير حق، لتأمين الأمن الجماعي، وصيانة حياة الإنسان، وإنشاء مجتمع هادئ مكب على العمل وهادف.

٩- الحيطة في التصرف في مال اليتيم.

١٠- إيفاء العهد.

١١-إيفاء الكيل.

١٢- عدم التجسس في الحياة العامة ومنع الناس من الإرجاف.

١٣- التحذير من التكبر، والغطرسة، والتعالى على الناس. ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.

وأي ميثاق لتربية الإنسان في الدول المتحضرة، وأي نظام تعليم و تربية يستطيع أن يضاهي هذا الميثاق، التربية التي تبدأ بتقويم فكر الإنسان وتقويم سلوكه، وعواطفه وتنمية صلاحياته، وتوجيه حياته الفردية والاجتماعية، وتحويل مساعيه إلى أهداف أنبل وأسمى من المصلحة الذاتية الضيقة ورفعه من الخنوع إلى تصور أرفع للحياة.

وكل من يدقق النظر في هذه الآيات القرآنية التي تتضمن الخطوط الرئيسية للتوجيه، والتربية، علاوة على الآيات الكثيرة التي في مواضع مختلفة في تعليم أدب الحياة وتربية خلق الإنسان،

www.abulhasanalinadwi.org

وتكون الإنسان المؤمن خليفة الله على الأرض ، والشاهد على خلق الله ، والذي خلق له هذا الكون ، فإن لم تعمه العصبية ، ولم تكن على عينيه غشاوة ، لشهد بأن التربية الإسلامية هي العلاج الوحيد لفساد كل مجتمع ، وخاصة فساد المجتمع الحاضر الذي استشرى فيه الفساد في كل مجال من مجالات الحياة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان خلقه القرآن" ، وقال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] ، وقال : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

[1] الإسراء : ٧٠

[2] آل عمران : ٣١

www.abulhasanalinadwi.org

الحوار لا يجدي إلا إذا كان بين فرقاء متساوين[1]

الحوار وسيلة من الوسائل المؤثرة لحل المشاكل وتسوية الخلافات القائمة بين فريقين أو فرقاء، إذا كانت غايتهم التفاهم حقيقة، وقد سويت بهذا الطريق مشاكل معقدة، كانت قد أدت إلى سفك دماء الأبرياء في التاريخ المعاصر، وفي قديم الزمان، وأصبح أشد الأعداء الذين انغمسوا في سفك الدماء بينهم وتدمير الممتلكات أصدقاء متعاونين، فقد كان الحوار الذي جرى في غاية من السرية بين الصين الشيوعية وأمريكا اللتين كانتا في حالة مجابهة منذ مدة طويلة أداة للتعاون، وقامت العلاقات بين البلدين، كما سويت مشكلة فيتنام بإجراء المفاوضات بعد ما قررت أمريكا حل القضية سلميا، وإنهاء الحرب.

وقد انتقلت عدة قوى متحاربة من حالة حرب إلى حالة صداقة بالتفاوض في العصر الحاضر، وتستمر الأزمات والخلافات، وتتفاقم، إذا تمسك أحد الفرقاء في قضية بوجهة نظره، وغلبت الأنانية والنخوة أو التزمت، فيستمر الصراع، وتستمر الشكوك والشبهات، وتبقى حالة الحذر، والاحتراس من الفريق الآخر، وتتوسع الفجوة بمرور الزمان، وتتصاعد الشكوك

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٤٢، العدد: ١٩، أول أبريل ٢٠٠١م

www.abulhasanalinadwi.org

والشبهات، وتزداد الكراهية والعداء.

وقد أصبح الحوار والتفاوض سواء كان بين فريقين أو كان بين فرقاء من أنفع الطرق لحل النزاعات الإقليمية أو الدولية، فتعقد مؤتمرات ولقاءات وتتكرر زيارة الزعماء والقادة من بلد إلى بلدان الآخرين للتباحث والتفاهم والتعاون، وبسبب هذه اللقاءات وتبادل وجهات النظر تضيق فجوة الخلافات بين مختلف الدول التي تتبع مذاهب سياسية واقتصادية مختلفة ونظريات فكرية وتوجد مجالات التعاون والتزامل رغم الخلافات المنهجية والانتماءات الفكرية والمصالح المتعارضة.

والتزامل والتعاون شعار للحياة المعاصرة، وقد أصبح العالم بفضل هذا التعاون المشترك وبفضل الاتصالات والروابط القائمة بينها عن طريق منابر مختلفة في مجالات الحياة المتعددة قرية واحدة، وزالت الحواجز بينها في التجارة والصناعة ويجري تبادل الأفكار على أساس الأخذ والعطاء، كأن هناك نظاماً واحداً بفروق فرعية أو منطقية وتسود اليوم حضارة واحدة بخلافات جزئية يستوي فيها الشرق والغرب، بحيث أن زائر بلد إلى بلد آخر، لا يلاحظ فارقاً كبيراً في المعيشة في المجتمعات الراقية، واتسع نفوذ هذه الحضارة إلى الطبقات المتواضعة التي يتبع أفرادها رغم ضآلة الوسائل كثيراً من مستلزمات الحضارة الراقية، وبذلك سقطت فكرة صدام الحضارات التي كان قدمها أحد مفكري الغرب، وكانت موضوع البحث والنقاش، ففي واقع الحياة لا يوجد هذا الصدام، وقد ضاقت مساحة هذا الصدام بالاتفاقيات التجارية والصناعية التي أتاحت انتقال المصنوعات والمنتجات بحرية

www.abulhasanalinadwi.org

من مكان إلى مكان آخر، وللمستهلك أن يختار ما هو الأجود والأفضل، والأليق، لحاجته واقتضاء معيشته ولا تفرض عليه قيود في الاختيار والرفض، وبذلك تحقق هدف إيجاد نظام عالمي واحد.

إن هذا التسامح والتعاون في السياسة والاقتصاد والتجارة والصناعة التي يكثر فيها التنافس والتصارع، تحقق بالتفاوض والتحادث، وتبادل وجهات النظر والتفاهم بين مختلف الوحدات للمجتمع البشري المعاصر وعلى أساس هذا التفاهم يمكن تضييق فجوة الخلافات في المجالات الأخرى التي يجري فيها الصراع اليوم، والذي يهدد مصير الإنسانية.

إن هذا المجال الذي يعوزه التفاهم والتزامل وإزالة الشحناء والكراهية والعداء والذي يستنزف القوى البشرية ويؤدي إلى صراع بين الحكومات والشعوب، وبين دولة ودولة وبين طبقة وطبقة، هو مجال العقيدة الدينية، وحرية الدعوة إليها والعمل حسب تعاليمها والتثقيف بثقافتها، وقد نص عليها ميثاق الأمم المتحدة، وهذه الحرية هي أيضاً حاجة المجتمع العالمي الذي يتكون من أتباع الأديان المختلفة.

إن العالم اليوم يؤمن بالتفاوض وحل المشاكل بالبحث عن أوجه الالتقاء، وقد سويت في العصر الحديث مشاكل كثيرة كانت معقدة، وتم القضاء على عناصر الاشتباك والصراع في مجالات متعددة، ولكن الحرب التي شنتها أوربا الصليبية على الإسلام تستمر بدون هوادة، بل يستمر أوارها، ولا تحارب أوربا الإسلام وتمتنع عن طرق التفاهم والتقارب في محيطها بل تؤلب الدول الأخرى التي تخضع لنفوذها للمصالح السياسية والاقتصادية على

www.abulhasanalinadwi.org

حرب الإسلام بوصفه دين الإرهاب وتجفيف ما تسميه بمنابع الإرهاب وتدخل فيها المدارس الدينية والمشروعات الاقتصادية الإسلامية حتى جمع الزكاة وتوزيعها أصبح أيضاً عملاً رجعياً وعنصراً من عناصر الإرهاب، وكذلك تمويل المشاريع الإسلامية من رعاية الأيتام ومساعدة الفقراء وتعليم الأطفال الأخلاق عمل إرهابي في نظر قادة الدول الغربية.

وتتسع دائرة هذه الحرب إلى تضييق خناق كل دولة ذات أغلبية إسلامية تحاول تطبيق الشريعة الإسلامية واختيار منهجها الخاص للحياة بالإضافة إلى الحرب العلمية ضد القرآن والحديث والعلوم الإسلامية التي تستمر من قرون، ومحاولات التحريف والتضليل التي تبذل في وسائل الإعلام ودور النشر، وإصدار كتب وتقارير تثير ردود الفعل في المسلمين لاشتمالها على المواد الهجومية، فيعيش المسلمون في حالة حرب معلنة لا تهدأ من قرون.

إن هذا الموقف الذي مضت عليه قرون وهو لم ينفع الغرب، ولم يجد في إخماد الحرارة الإيمانية في المسلمين بل أحدث اندفاعاً مضاداً في الشباب، بل إقبالاً على الإسلام، يحتاج إلى إعادة نظر، وإلى تجربة وسيلة الحوار والتفاوض على غرار المجالات الأخرى، ولكن الشرط الأول هو أن يتخلى الغرب عن الحرب والاعتداء ويجري الحوار كفريقين متساويين.

يوجه بعض القادة في الغرب هذه الأيام الدعوة إلى الحوار مع المسلمين، وقد عقدت عدة جولات في مختلف البلدان، حضرها المفكرون المسلمون ورجال الكنيسة، ولكن هذه الحوارات

www.abulhasanalinadwi.org

لم تستطع أن تقطع الجليد، أو تخفف من حدة المعادين للإسلام والمسلمين الذين يطاردهم شبح الإرهاب الإسلامي فيصفون كل عمل من أعمال المسلمين بالإرهاب ويخوفون العالم بخطره، ولهذا الموقف المعاند يعاني المسلمون في مختلف أنحاء العالم، ويلاقون أشد أنواع القمع والكبت، وأصبح ذلك سياسة عالمية.

لقد ظهرت دعوة الحوار في عام ١٩٧٧م للمؤلف الفرنسي روجيه جارودي قبل إسلامه، ولكن دعوة الحوار وإن كانت تطابق طبيعة العصر الذي يدعو إلى التفاوض لحل المشاكل، لم تنل القبول، لأن الغرب لم يكن مستعداً للحوار مع المسلمين، لأنه ورث الحقد للإسلام، ولا يريد أن يتخلى عن هذا الإرث، ولأن المكتبة الغربية معمورة بمؤلفات الحاقدين للإسلام ولا يمكن تغيير التفكير إلا بتصفية هذه الأكداس الملوثة، وعلى عكس هذه الدعوة شاعت دعوة صدام الحضارات لصموئل هنتغتن فأقبلت الأقلام الغربية على بحثها لأنها كانت تلائم طبيعة تفكير الغرب وموقفه إزاء الإسلام والحضارة الإسلامية، والواقع أن الغرب لم يخلص نفسه من العقلية الصليبية التي فرضها عليه رجال الكنيسة في القرن الحادي عشر، وقد أدرك بعض رجال الكنيسة خواء هذه العقلية، فقامت جماعة منهم بزيارة البلدان الإسلامية للاعتذار عن هذه الحروب الصليبية والتفاهم مع المسلمين، ولكن هذه الجماعة لا تشكل إلا أقلية قليلة، ولا تمثل الرأى العام في الغرب.

ومن الأصوات للتفاهم صوت ولي عهد بريطانيا الذي أدرك صعوبة هذا التفاهم اللازم، فقال وهو يعترف بعدل الإسلام إنه يحتاج إلى بذل جهد كبير لفهم ذلك، وذلك لكثافة ما كتب

www.abulhasanalinadwi.org

وروج ضد الإسلام والمسلمين في الغرب، وقد وجه قادة ألمانيا والبابا أيضاً الدعوة إلى مثل هذا التفاهم عن طريق الحوار أخيراً، وبدأت ترتفع أصوات التفاهم من دوائر أخرى أيضاً، ولكنها لم تتوسع إلا أنها بداية أو بادرة في سبيل مكافحة التيارات الجارفة لحرب كل ما يمت إلى الإسلام بصلة بفهم ومن غير فهم.

إن هذا الاتجاه يمكن أن يقوى ويتسع إذا أنشئت في الغرب مراكز دراسة الإسلام دراسة أصيلة بعيدة عن الحقد المتوارث وبعقول منزهة عن التلوثات الصليبية وإن الذين يدرسون الإسلام بهذا الذهن المفتوح يجذبهم الإسلام فيدركون الحقيقة أن الإسلام هو دين عدل، ورحمة، وأن السعادة في الحياة والطمأنينة التي أصبحت السلعة الغالية والحلقة المفقودة في هذا العصر المادي لا يمكن التوصل إليها إلا باتباع تعاليم الإسلام.

www.abulhasanalinadwi.org

لا تحل مشاكل الإنسانية إلا بوجود قوة محايدة عادلة [١]

من الآراء الكاسحة التي روجها الكتاب الغربيون، واستساغتها عقول المتغربين في العالم الإسلامي، رأي يقول إن القرون الوسطى كانت قرون الاستبداد، وقهر الحريات، وسفك الدماء، ويخضع لهذا الرأي الكاسح جميع حملة الأقلام الذين يصفون ذلك العهد بالتصلب في الرأي، والانزواء، والظلم، والاستبداد، وقهر الشعوب، والحروب الطاحنة.

لا شك أن العصر الماضي كان عصر الحكم الفردي، ولم تكن فيه فرص كسب المال، وتحسين المستوى متاحة لكل شخص كما تتاح اليوم لانتشار المصانع والمعامل، وانتشار التجارة، والفرص المتاحة للتدريب المهني، ووفرة المال، ووجود مراكز تكنية، ومؤسسات التمويل، وشيوع الخبرة العلمية والفنية، وغلبة طبيعة التبادل، وانتشار العلم والثقافة، وتسهيلات السفر إلى الدول الأخرى، للبحث عن العمل وهي بدون شك من منجزات الحضارة المعاصرة.

ولكن رغم انتشار هذه الفرص، وقيام مؤسسات علمية وصناعية، والتعاون والتزامل في تبادل الخبرة لا يختلف العالم

[١] نشر في "الرائد" السنة: ٣٥، العدد: ٢٠، ١٩٩٤م

www.abulhasanalinadwi.org

المعاصر عن العصر الماضي في أمور كثيرة ، بل توجد اليوم مشاكل الإنسانية التي كانت يعاني منها إنسان العصر الماضي ، بشكل أو آخر ، بمظهر جديد وبعنوان جديد ، بل ازدادت ضخامتها وتحدث باستمرار في مناطق مختلفة وبنطاق أوسع وأقسى ، وتبقى معاناة الإنسان وشقاؤه وحرمانه بشكل أ و آخر.

ولمعرفة حقيقة الأوضاع التي يعيش فيها الإنسان اليوم ، تكفي دراسة تقارير منظمة العفو الدولية ، التي تلقي الضوء على واقع العالم المعاصر ، فتكشف مدى الاستبداد ، والقهر ، والتدخل ، والحرمان من الحقوق الأساسية ، والقسوة التي يعامل بها شعب من الشعوب ، وجالية من الجاليات ، لاختلاف في العقيدة ، ولاختلاف في منهجها للحياة ، ولاختلاف في الفكر السياسي ، وهو شائع اليوم في جميع أنحاء العالم غربيه وشرقيه ، ولا يحتاج الدارس إلى تعمق كبير أو تحليل دقيق ، لمعرفة الواقع ، فالحروب وسفك الدماء ، وإجراءات القسوة أصبحت ظاهرة متفشية في العالم المعاصر ، ومستمرة تنغمس فيها الحكومات الكبرى والصغرى ، ويدل على ذلك تدفق سيول النازحين واللاجئين من بلد إلى بلد ، وخروج أصحاب الكفاءات والصلاحيات والعقول النابغة من بلد إلى بلد بحثاً عن اللجوء السياسي ، وفيهم أدباء وساسة ، ومفكرون ، وصناعيون ، ووزراء سابقون لعدم شعورهم بالسلامة والضمان في أوطانهم ، وفتك جيوش مجهزة بالأسلحة الفتاكة والمواد الكيماوية المدمرة بالمستضعفين ، إنها ظاهرة من الظواهر السياسية والاجتماعية للعالم المعاصر ، ويصادفها كل من له إلمام بأخبار العالم ، ويتصرف القوي

www.abulhasanalinadwi.org

اليوم بحرية تامة، والضعيف مستعبد، يستبد به القوي، كما كان يفعله الأقوياء في الماضي، وتواجه البلدان الضعيفة المؤامرات والدسائس، وحملة الاغتيالات السياسية، وهي ظاهرة جديدة لا نظير لها في تاريخ العهود الماضية، فتتأرجح بها كفة الميزان، وتتغير الوجوه، فيكثر وقوع الانقلابات، وتتأرجح الدول بين حكام وحكام، وتظهر أيد جديدة تلغي ما فعله الأوائل، وتمحو آثار بنائهم، وتصب عليهم اللعنات، وتوجه البلاد إلى جهة جديدة، وتخرج رجالاً من الزنزانات وتزج بآخرين إليها.

كانت الحروب والغارات تقوم في العهود السابقة، ولكن الهجوم على مخيمات اللاجئين، وقتل النائمين المسالمين في بيوتهم، وقتل الأولاد، والأطفال حتى الجنين، بمئات وألوف، وقتل الراكعين الساجدين لله في المساجد، وإحراق المعامل والمصانع، وهدم المعابد والمساجد، والكتب المقدسة، وحرمان طوائف عن العمل وكسب العلم والمعرفة، وكسب المال للاختلاف في العقيدة والفكر، والتمييز على أساس العنصر واللون، لم يكن شائعاً بهذا النطاق الواسع الذي يشيع به اليوم، حيث تؤمن به وتمارسه حكومات متقدمة، وراقية، تدعي بالحرية، والمساواة، وتلقي نظرة احتقار على العهد القديم، لقد انتشر العلم والصناعة حقاً، لكن العلم والصناعة سخرت لإبادة الإنسان اليوم أكثر مما سخرت لبناء حياة الإنسان وإقرار كرامته، ويمكن أن يعرفه أي مقارن بين النفقات على الدفاع والنفقات على مرافق الإنسان.

من منطق الدول الكبرى في تدخلها في شؤون العالم أنها تريد الاحتفاظ بتوازن القوة، وتقدم دليلاً غريباً إذا تدخلت ولا

www.abulhasanalinadwi.org

تريد أن تخرج من المنطقة أن خروجها يحدث فراغاً، ويتغير بذلك التوازن في المنطقة، وتجعل هذا المنطق مبرراً لتدخلها في شؤون كثير من البلدان ومعالجتها للقضايا العالمية، ولكن تدخلها لا يخلو من مصلحة سياسية أو فكرية، فتتدخل في قضايا لا تستدعي تدخلها، ولا تتدخل في قضايا تستدعي تدخلها، بل تترك المعتدي يواصل اعتداءه، وتدع المعتدى عليه ولا تنصره، مهما كانت ضخامة معاناته، وخسائره، وقد ظهرت هذه المعالجة المتناقضة في موقف الدول الكبرى إزاء الصرب، والصهاينة، وموقفها إزاء "السودان" و"العراق"، و"ليبيا"، وموقفها إزاء الانفجار في المحلات التجارية في أمريكا، وإطلاق النار في المسجد الإبراهيمي، فكانت هذه المواقف متناقضة تناقضاً جلياً، وظهر فيها انحياز الدول الكبرى.

إن السبب الرئيسي لتعقد قضايا العالم واستعصاء حلها أنه لا توجد في العالم قوة محايدة، ولا منظمة محايدة، ولا محكمة عادلة، ولا قوة تتوسط بعدل ومبدئية في قضايا العالم، وتمنع المعتدى من الاعتداء وتغيث المعتدى عليه، وهو وضع ينذر بخطر عظيم للإنسانية اليوم، وقد كانت الأمم المتحدة في موقف لتحتل دور الوسيط، لكنها أصبحت الآن أداة في أيدي الدول الكبرى التي أصبحت كتلة وهي ذات مصلحة مشتركة واتجاه واحد، وهو استغلال معاناة البشر للاستعمار، والاستغلال السياسي، ولا تحل مشاكل الإنسانية إلا بوجود قوة محايدة عادلة تقف حاجزاً وسداً منيعاً لدى كل أزمة من أزمات العالم بدون تحيز أو غرض سياسي.

إن واقع العالم المعاصر، واقع مؤلم للغاية، مهما ادعى أصحاب العقول التابعة للغرب بالتقدم والحضارة، فإن التمييز

www.abulhasanalinadwi.org

العنصري شائع في أمريكا، وأوربا، وفي إفريقيا يمارسه البيض المتحضرون، وتساعد الدول المتحضرة على هذه الممارسة، وأن التطرف الديني شائع اليوم في سائر البلدان الأوربية، التي استعمرت العالم، فشوهت وجهها، وطمست معالمها، وفرضت عليها عقيدتها ولغتها وثقافتها، وهو أمر معروف يعرفه كل من يلقي النظر على ميزانيات الإرساليات التبشيرية وجولات البابا ودعاويه بتنصير قارة كاملة، والإذاعات والوكالات العاملة لخدمة الإنسان من أجل التنصير، وإن الحروب وسفك الدماء يجري بتأييد الولايات المتحدة، و"روسيا"، و"فرنسا"، والدول الأوربية الأخرى، وتجري مسرحيات دامية في مختلف أنحاء العالم، ويجري استعباد الشعوب وقهرها بنطاق أوسع.

يقف العالم المعاصر على فوهة بركان للسياسات الطائشة التمييزية، لبعض الحكام الغربيين، أما الأخلاق والمعاملات فقد كانت الفريسة الأولى، ولكن تمجيد الحضارة المعاصرة رغم الحروب، رغم قتل الحريات، رغم فرض نظم لا ترغب فيها الشعوب، رغم إبادة ملايين من الأبرياء، ورغم تفشي الخلاعة والمجون والانحلال الخلقي، ورغم تفشي الفقر في مساحات شائعة من الدول التي يحكمها الغرب تستمر في كل مكان ولدى كل شعب، لأن صلاحية التمييز بين الخير والشر، والتفكير الحر قد تلاشت، ووضعت غشاوة على العقول.

www.abulhasanalinadwi.org

التسامح والاحترام المتبادل تساعد في التقارب بين الغرب والعالم الإسلامي[1]

يجتهد المسلمون لنيل حقوقهم الأساسية في عدد من البلدان التي يعيشون فيها بنسبة معقولة، وقد بلغ عددهم في كثير من البلدان الأوربية مثلا نسبة تؤهلهم للحقوق التي يتمتع بها رجال الجاليات الأخرى، أو الشعوب الأخرى، أو طبقة المواطنين، وهي لا تزال غير مسموح بها للمسلمين، كبناء المساجد وإنشاء المدارس، ودفن موتاهم، وتأدية الصلاة، والآذان في أماكن قريبة، وتخصيص ساعات لدروس إسلامية للمسلمين في المدارس الرسمية، أو برامج خاصة للمسلمين في الإذاعة، ورعاية مشاعر المسلمين وأحاسيسهم في الإعلام والتعليم، وقد أصبح المسلمون جزءا من الشعب لوجودهم في هذه البلدان منذ مدة طويلة، وقد نالوا الجنسية، ولهم إسهام في مسير الحياة في البلاد، كما أن عددا كثيرا منهم ينتمي إلى نفس البلد، أو نشأ في البلد كليا، وتكيف بأرضه وجو بلاده ويحترم الدستور والنظام في البلاد.

إن المسلمين يطالبون بأن يعاملوا معاملة المساواة، وتسن لهم قوانين تضمن سلامتهم، وشخصيتهم الإسلامية، وتمنحهم حقوق المواطنين، ليعيشوا حياة شرف وكرامة، وذلك هو أساس

[1] نشر في "الرائد" السنة: ٤٢، العدد: ٤، ١٦/أغسطس ٢٠٠٠م

www.abulhasanalinadwi.org

الحضارة المعاصرة، فإن الحضارة تقوم على أساس كرامة الإنسان المتبادلة لا يميز فيها بين إنسان وإنسان، على أساس العنصر، أو العقيدة، أو الجنس، ويدعي كل بلد من البلدان في العالم أنه يتمسك بهذا المبدأ الحضاري.

يشكو المسلمون في كثير من البلدان الراقية وخاصة البلدان الأوربية أنهم في نظر القانون ليسوا سواسية، بل يميز القانون بين طبقة وطبقة، وجالية وجالية، فهناك مواطنون في الدرجة الأولى، ومواطنون في الدرجة الثانية ومواطنون في الدرجة الثالثة، ويوجد هذا التميز في معظم المجالات، كالتعليم والعمل، والقضاء والسياسة.

وقد بلغ عدد المسلمين في بعض البلدان نسبة تؤهلهم لخوض الانتخابات، والوصول إلى البرلمان، والاشتراك في نظام الحكم، وفيهم عدد ملحوظ من المثقفين والمتعلمين وأهل الحرف والمهن التي تكسب للبلاد موارد، وترفع مستوى المعيشة، كفرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة، وألمانيا، ولكن قوانين تلك الدول لا تزال تعامل هذه العناصر معاملة ثنوية، ولا تمنحهم حقوق المواطنة الكاملة، ولهذا التميز القانوني، أو المعاملة الثنوية يبقى المسلمون كجالية منفصلة عن الحياة، ويجدون صعوبة في إنشاء نظامهم التعليمي والتربوي، واتباع تعاليم دينهم في حياتهم، ويواجه المسلمون في بعض البلدان عقبات في بناء المساجد، كما يواجه المسلمون في أماكن صعوبات في الحصول على اللحم المذبوح بالطريقة الإسلامية، ودفن الموتى، وبالإضافة إلى ذلك يواجهون إعلاماً عدوانياً، يروج مواد الكراهية للإسلام والمسلمين،

www.abulhasanalinadwi.org

فيجدون أنفسهم محاربين، ولا ينالون احتراماً في المجتمع لهذا الإعلام العدواني الذي يشوه صورتهم ويبث الشكوك والشبهات في ولائهم، وقد تطورت نفسية غريبة في كثير من دول العالم أن كل عمل أو مطالبة دينية من المسلمين أو حركة لنيل حقوقهم يؤول عملاً إرهابياً أو تزمتاً، ولا ينظر إليه كمطالبة شرعية، أو كعمل إنساني طبيعي.

وعلى عكس ما يعانيه المسلمون لا يصادف غيرهم من أتباع الديانات الأخرى هذه العقبات، لأن الإعلام وموقف الحكومات والمؤسسات الشعبية لا تعاملهم معاملة التمييز القائم على أساس سوء النظر وسوء التصور، فينالون معاملة الاحترام كاليهود والمجوس وغيرهم، ولا توجد بينهم وبين المواطنين الأصليين تلك العداوة، أو الأرضية العدائية، التي توجد بين المسلمين والمواطنين الآخرين.

توجد نفسية الخوف أو الحذر بين المسلمين بسبب ذكريات التاريخ القديمة، ولم تتحرر الدول الأوربية من هذه النفسية، وقد تصاعدت هذه النفسية في أوربا كلها في وجه الحركة الإسلامية أو الصحوة الإسلامية، وبلغت حد الغليان، فتزيد الوضع تفاقماً وتأزماً، وتحدث مشاكل جديدة في حياة المسلمين الذين يعيشون في هذه الدول التي استوطنوها، فيجتهد المسلمون لتزول هذه النفسية، وتزول العقبات في حياتهم.

لقد ساهم الإعلام الغربي في إيجاد هذه النفسية، نفسية الشك في كل ما يقوم به المسلمون، مساهمة كبيرة، فأصبحت بذلك الكتاتيب القرآنية، وتوجه الأطفال إليها، والمساجد وتوجه

www.abulhasanalinadwi.org

المصلين إليها، وحلقات درس الحديث، واشتراك المسلمين مبعث قلق لدى بعض النفوس، ويسوق هذا الشعور بالخوف إلى المطالبة من الحكومات باتخاذ إجراء لتحديد هذه النشاطات الدينية التي هي حق كل مواطن.

كذلك المظاهر الإسلامية التي أقبل عليها الشباب أخيراً في المدارس، والأسواق وتحمسهم لها تحدث الشكوك في نفوس الذين لم يدرسوا الإسلام، ولم يعرفوا تعاليمه السمحة، ولم يتعرفوا على مزايا شخصية المسلم المتبع لدينه، وقد أوجد هذه النفسية للنفور من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة بعض أصحاب الأقلام في أوربا، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، فلا يبرزون بين ما هو الإسلام، وما هو غير الإسلام، فكل ما يفعله المسلم ليس من الإسلام ولا يتحمل الإسلام مسئوليته، بل قد يكون متنافياً مع تعاليمه، وقد يصدر من بعض الشباب عمل لا يتطابق مع التعاليم الإسلامية، ومنهج الدعوة الإسلامية بل وقد يكون انفعاله نتيجة لنشأته في البيئة الأوربية، أو لدراسة المذاهب الأوربية أو الحركات الأوربية، أو يكون نتيجة لانفعاله الزائد، فكيف يتحمل الإسلام مسئولية هذا العمل.

إن ما يسعى إليه المسلمون في البلدان التي يعيشون فيها هو نيل حقوق مشروعة في الدستور، وخاصة في الدول التي يجري فيها العمل على النظام الديمقراطي، وهو حق مشروع لهم بحكم استيطانهم لذلك البلد، ومن واجب كل نظام ديمقراطي حضاري أن يمنح هذه الحقوق كل مواطن للبلد، وأن يوقف كل عمل يخل بسلامة طائفة من المواطنين، ولكن موقف الإعلاميين، ورجال

www.abulhasanalinadwi.org

القضاء، والتعليم والإدارة، في بعض البلدان الراقية لا يدل على رحابة الصدر ولا على التسامح والحرية، واحترام القيم الحضارية فيما يتعلق بالمسلمين، وتوجد فجوات في القانون والعمل.

يسعى المسلمون في هذه البلدان في ظل القانون المدني، باحترام سيادة البلد، أن ينالوا حقوقهم ليعيشوا في البلدان التي استوطنوها كمواطنين معتزين ببلدهم، بشرف وكرامة، ويسهموا في تقدم البلاد إسهام المواطنين الآخرين ويصنعوا تاريخاً جديداً.

لقد عرفت أوربا نفسها باحترام الحقيقة والاعتراف بها، وهذه حقيقة أن المسلمين مهما كانت أوطانهم القديمة، استوطنوا دولاً أوربية، ونشأت أجيال كثيرة لهم، واندمجوا بالبيئة، ولكن لهم ميولاً وتعاليم، ومبادئ خاصة بحكم عقيدتهم، وهم يريدون أن يعيشوا في ضوء تعاليم تلك العقيدة، ويرغبون أن يعيشوا متبعين لتعاليم دينهم، ولا تتعارض هذه الرغبة مع النظام وطبيعة الحياة، فلو انسجمت أوربا مع هذه الحقيقة وأبدت التضامن مع هذه الجالية، لكان ذلك نموذجاً عالياً، وعنصر ريادة حضارية للعالم المعاصر، وقامت روابط متينة بين أوربا والعالم الإسلامي.

www.abulhasanalinadwi.org

المجتمع الذي يصلح لقيادة العالم [١]

إن المجتمع الذي يقيمه الإسلام، هو المجتمع الفاضل، والمجتمع الصالح الذي يعيش فيه سائر أفراده ومن يتصل بهم بكرامة، وهو مجتمع متكامل الأجزاء، ومتكافل للإنسانية، ليس للمسلمين وحدهم، بل لجميع الجاليات والطوائف، لأنه يقوم على أساس عقيدة واضحة محكمة، وتعاليم مفصلة تغطي جميع جوانب الحياة، وتحدد سلوك المسلم مع غيره، وتكون عقلية حرة نبيلة، وذوقاً عالياً، ليس في العبادة، والمراسيم الدينية فحسب، بل في الأكل والشرب، والبناء، والعمل، والتعامل مع الناس، ويتحلى المسلم فيه بنزاهة، ورحابة صدر، ووحدة شعور، وانسجام ولا يسمح فيه بالإساءة إلى أحد، أما الإنسان فهو أحق بالإحسان والبر من غيره لأن الإسلام يعتبر الخلق عيال الله، فلا فضل عنده لأحد على أساس الطبقة، واللون، والعنصر، أو الثروة، إلا بالتقوى، ولذلك حدد الإسلام الحقوق والواجبات الفردية والاجتماعية، وجعل من هو في موضع الاحترام والنفوذ مسئولاً عمن هو أحط منزلة منه، وبذلك يسير المجتمع المسلم مترابطاً متماسكاً متضامناً.

ومن أهم ما يتصف به صاحب هذه العقيدة أنه يحمل

---

[١] السنة: ٤٧، العدد: ١٨، ١٦/مارس ٢٠٠٦م

www.abulhasanalinadwi.org

الشعور بالمسئولية الذاتية، ورادعاً نفسياً، فيرتدع بنفسه، حتى في الأمور التي فيها الشبهات" دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" لأنه يؤمن بالله السميع الخبير، الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، وأنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

والمؤمن بربه محترس في حياته، خاشع لله، راض بما قدر له، لا يتبرم، ولا يتذمر، ولا يضطرب، ولا يتطاول، ولا يتكبر، ولكنه صاحب غيرة ومبدأ، وثقة بالنفس، فلا يستطيع أن يستعبده أحد، لأنه عبد لله وحده، ولا يجبن، ولا يخور، لأنه لا يخاف الموت، ولا يهن، ولا ينخذل لأنه لا يحب الحياة، فلا تغريه المنافع المادية، ولا تثنى همته الشدائد.

وقد بين القرآن الكريم أحكاماً دقيقة للحياة الاجتماعية التي تكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وحذر المؤمنين من عواقب اختراق هذه الحدود لكيلا يحدث شقاق في هذا البنيان، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1]

وقد أمر المسلم بكف اللسان، وكف اليد، وبإماطة الأذى

---

[1] الحجرات ١١-١٢

www.abulhasanalinadwi.org

عن الطريق لكيلا يؤذي أحداً، وعدم الاعتداء، وإن اعتدى عليه أحد، فسمح له برد الاعتداء، ولكن العفو والصبر أفضل منه، كذلك بين الإسلام حق الجوار، وأكد على أهمية حسن الجوار، وبين طرق الإحسان، وتنمية روح المودة بالتبادل والتعاون، وبين الإسلام طرق سلامة المجتمع بقطع ذرائع الفحشاء، والوقوع في أعراض الناس، واتخذ الإسلام إجراءات وتدابير محكمة مشددة لكيلا يحدث تفكك، أو تشرذم، بل يبقى المجتمع مرتبطاً وموحداً.

هذا ما يتصل بالمجتمع الإسلامي الداخلي، وقد بين الإسلام مبادئ التعامل مع غير المسلمين، لكيلا يحدث صراع بين مختلف الفئات والطبقات، فيعيش المجتمع الإسلامي في جوّ المودة المتبادلة مع المجتمع غير الإسلامي. فمنع من استخدام لغة نابية، أو إساءة إلى أديان أخرى، وقادة تلك الأديان، فجاءت في القرآن الكريم نعوت الإكرام والاحترام للأنبياء الآخرين كعيسى عليه السلام، وموسى عليه السلام، وغيرهما من الأنبياء، وقال﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١] وفي موضع آخر ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٢]

ومن أسوأ الآثام والذنوب قتل النفس ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ و﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في

[١] الأنعام الآية: ١٠٨

[٢] البقرة: الآية ٢٨٥.

www.abulhasanalinadwi.org

الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ وفي الحديث الشريف قصص وأمثلة لحسن السلوك مع الحيوانات والجزاء عليه، أو العقاب على الاعتداء على الحيوانات، وقد جمعت صفات المؤمنين الصادقين المحافظين على تعاليم دينهم في هذه الآيات القرآنية:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا، وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا، وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا، وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا، وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[1]

لقد خصصت الآيات المذكورة الآداب الاجتماعية التي يعيش الإنسان في المجتمع الذي يتكون منها بكرامة النفس، تصان فيه حقوقه، وهو المجتمع الذي لا يكون فيه الإسراف ولا البخل، بل تكون الحياة حياة اعتدال واقتصاد، وتصان فيه النفوس، وكرامتها، لا يعتدي فيه أحد على غيره، ولا تنتهك فيه الحرمات، يصدق فيه الإنسان، ولا يشهد الزور، ولا يتدخل أحد في شؤون غيره، بل يسوده الصفح و العفو، ولا يترك الإسلام من يتعدى

---

[1] الفرقان: الآيات: ٢٦- ٢٧.

www.abulhasanalinadwi.org

الحدود ويفسد النظام الاجتماعي، بل يتخذ تدابير رادعة، وله أحكام فيها صريحة، فقد أمر المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، فإن بغت طائفة فأمروا بقتال الطائفة الباغية، ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1]، وفضل الإسلام الصلح على الاعتداء بالقتل، والعفو والصفح.

إنها تعاليم اجتماعية مفصلة واضحة، وقد احتفظ المسلمون بها بمدى صلابتهم في عقيدتهم، وصدقهم مع ربهم، واتصف كثير من المؤمنين الصادقين بهذه الصلابة الإيمانية والليونة في السلوك والمعاملات، ويجب أن تجتمع هذه الصلابة والليونة في كل مؤمن صادق العقيدة، لأن عقيدة المؤمن تدعوه إلى التزام أوامر الله، والابتعاد عن نواهيه، فإذا قام مجتمع فيه هذه الصلابة والليونة فهو خير المجتمعات، وإذا قام مجتمع فيه هذا التوازن بين الحقوق الفردية والاجتماعية فهو أفضل المجتمعات.

وعلى عكس المجتمع الإسلامي، المجتمع الذي يكونه العقل المعاصر، والحضارة المعاصرة المادية الجامحة، هو مجتمع متطرف، ليست له خصائص ومميزات، أنه مجتمع يقوم على الأضداد، والمتناقضات، ليس فيه عنصر مركزي إلا لذة النفس، وخدمة النفس.

والمجتمع الذي يصوره الإعلام المعاصر هو مجتمع إفساد

[1] الحجرات ٩

www.abulhasanalinadwi.org

هذه القيم، بل يصح القول إن الحضارة المعاصرة لا تدعو إلى مجتمع، بل إلى مجموعة من الأفراد لهم أنانيات، كل شخص يريد أن يخدم أنانيته أو يجري وراء نفعه الذاتي، ويحقق مآربه على حساب غيره، لا يبالي بشقاء غيره إذا حصلت له سعادة، أو تحققت له متعة النفس، ولم يفقد الإنسان فيها كرامته بل فقد مكانته.

وتدل على هذه الطبيعة الجامحة الحقائق والأرقام للمجتمع المعاصر في كثير من دول العالم كيف يطغى إنسان على إنسان، وكيف يستغل القوي الضعيف، ويحاول استعباده، وكيف يتفرج الإنسان على شقاء غيره، ولا يحدث فيه الشعور الإنساني.

إن العالم اليوم عالم الصراعات والنزاعات التي تؤدي إلى استخدام القوة، يعتدي فيه الجار على جيرانه، والقوي على الضعيف، ويسلب حقوقه، ويعتدي فيه الغني على الفقير، ويعيش كل شخص في حالة شك، وارتياب، لا يثق فيه الإنسان بغيره، ولا يعتمد عليه، يعم فيه القتل، وتشيع الفحشاء وانتهاك الحرمات، ويتصاعد فيه الهوس لكسب المال وتبديده، تخترع فيه وسائل إمتاع النفس، وحصول اللذة، لأنه يعيش بدون مبادئ وبدون رعاية حقوق وواجبات، ويعيش في ظلمات، فيتخبط فيها، وتسن القوانين، ولكن هذه القوانين تدفع إلى البحث عن وسائل لتجنب العقوبات المفروضة بها، لفقدان الشعور بالمسئولية في ذات الإنسان، ويعدم تصور الإنسان أن هناك من يسمع ويبصر، ويدرك، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وبدون إحداث هذا الشعور الذاتي لا يمكن تهذيب الإنسان ولا تطهيره من

www.abulhasanalinadwi.org

الآثام، ولا يمكن إنقاذ المجتمع الإنساني من انحرافاته وترديه.

إن العالم اليوم حائر مضطرب بين الأزمات، والصراعات والاعتداءات، ولا ينقذه من هذه الأزمات، إلا ذلك الإنسان المؤمن المتصلب في عقيدته المحافظ على تعاليم دينه الذي ينتمي إلى عباد الرحمن. وعباد الرحمن الذين يتصفون بهذه الصفات وهذه السلوكيات هم المفلحون، وهم أحق بقيادة العالم الحائر.

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
تقديم الكتاب/فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي	٣
كلمة بين يدي الكتاب /المؤلف	٩
كلمة تعريف وتقديم /الأستاذ نذر الحفيظ الندوي	١٣
تمهيد	٢٥

الباب الأول : ٣١-٢٣١

الحضارة الغربية

واقعها

الاستعمار

التبشير

الاستغلال الاقتصادي

التحريف والتزوير الفكري

الفصل الأول

تناقضات واقع العالم الغربي: ٣٣-٨٠

أوربا القرون الوسطى وأوربا العصر الحاضر	٣٥
واقع العالم العربي	٤٣
معاداة دين وترويج دين	٤٨
السياسة المجردة عن القيم الدينية عنصر هدم للإنسانية	٥٣
النصرانية في عهد الظلام والنصرانية المعاصرة	٥٧
عبودية التقدميين	٦٥

www.abulhasanalinadwi.org

قهر الشعوب باسم تحرير الشعوب ٧٠
من النور إلى الظلمات ٧٥

الفصل الثاني

حضارة الغرب حضارة هدم وإرهاب

ومنبع حرمان وشقاء ٨١-١٣٥

أوربا مصدر الإرهاب في العالم ٨٣
الحضارة الغربية حضارة بناء وهدم ٨٩
حضارة الإرهاب والاستغلال ٩٣
حضارة الثنوية والازدواجية ٩٩
واقع الإنسانية لم يتغير رغم تقدم الحضارة ١٠٢
القلق النفسي ١٠٦
السلوك الإنساني في تدهور والحضارة في تقدم ١١٠
فقدان الشعور الإنساني في الحضارة الغربية ١١٤
الإنسان هو الضحية الأولى في الحضارة الغربية ١٢٠
الحضارة الأوربية ومآسي إنسانية ١٢٧
تضليل وتلاعب بالألفاظ لم تعرفه الإنسانية ١٣٢

الفصل الثالث

انحراف العلم والثقافة

عن وظيفة بناء الإنسان: ١٣٧-١٥٧

خيانة علمية وخداع للضمير الإنساني ١٣٩
عناصر الوحدة في عقلية المشركين والمستشرقين ١٤٤
التقدم العلمي وشقاء العالم ١٤٨
فلسفة التربية والتعليم في الغرب
وتأثيرها على العالم اليوم ١٥٢

www.abulhasanalinadwi.org

الفصل الرابع

تلاعب بالمصطلحات ١٥٩-١٨٣

المصلحون والمفسدون ١٦١
محاربة الأصولية ستار لمحاربة الإسلام ١٦٦
الأصولية تعبير يطلق على التمسك بالقيم الثابتة ١٧٣
المسلمون وحرية التعبير ١٧٩

الفصل الخامس

وسائل الغزو الفكري والاقتصادي : ١٨٥-٢٣١

أوربا ونفسية الخوف ١٨٧
تحول الغرب من الحرب إلى العلم والتربية ١٩٣
من تصدير البضائع إلى تصدير الأفكار والثقافة ٢٠٠
التغريب والتبشير بوسائل التسلية والخدمات الإنسانية ٢٠٦
اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب ٢١٢
متى تفيق أوربا من هول الحروب الصليبية ٢١٧
العلم بين قوة تبني وقوى كثيرة تهدم ٢٢٣
سقطت السنبلة وارتفعت المطرقة ٢٢٩

الباب الثاني ٢٣٢-٣٢٣

إلى نظام عالمي جديد

لماذا لا يجرب العالم الإسلام؟

الفصل الأول : إلى نظام عالمي جديد ٢٣٣-٢٥٩

إلى نظام عالمي جديد ٢٣٧
إلى استراتيجية جديدة ٢٤٣
لابد من تغيير الموقف الأوربي
إلى الإسلام والمسلمين ٢٥٠

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام هو البديل ٢٥٦

الفصل الثاني

لماذا لا يجرب العالم الإسلام؟ ٢٦١-٣٢٣
بين الإسلام والمذاهب الوضعية ٢٦٣
بين منهج الإسلام للتربية ومنهج النظم الأخرى ٢٦٨
إن الباطل كان زهوقاً ٢٧١
كيف يلتقي النظامان؟ ٢٧٦
الإسلام نظام فريد متكامل غني
عن سائر الأنظمة الوضعية على طول الخط ٢٨٣
التربية الإسلامية وأبعادها ٢٩٠
الحوار لا يجدي إلا إذا كان بين فرقاء متساوين ٣٠١
لا تحل مشاكل الإنسانية
إلا بوجود قوة محايدة عادلة ٣٠٧
التسامح والاحترام المتبادل يساعد في التقارب
بين الغرب والعالم الإسلامي ٣١٢
المجتمع الإسلامي الذي يصلح لقيادة العالم ٣١٧
فهرس الكتاب ٣٢٤
هذا الكتاب: إلى نظام عالمي جديد/أ.د/محمد اجتباء الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org